قِرَاءَة أوَّلِيَّة في سِيرَة

عبد الكريم قاسم

«1914/11/21 - 1963/02/09»



د. عقيل الناصري

الكتاب مقدم من قناة مكتبة وارشيف الزعيم وقناة ارشيف الزعيم

على التليجرام

هذا الكتاب اهداء الى الاستاذ رعد الشويلي وللأستاذ احمد حسين ناصر صاحب مكتبة ميزوبوتوميا للكتب

* قراءة أولية في سيرة عبد الكريم قاسم

* د. عقيل الناصري

* تصميم الغلاف: فيصل اللعيبي

* الطبعة الأولى: ٢٠٠٣

* التوزيع: دار الحصاد، سورية، دمشق

ص ب: ٤٤٩٠، ها/فا: ٢١٢٦٣٢٦

* رقم الاعلام: ٢٠٠٣/٨/٢٤/٧٥٤٧٥

First Edition 2003

Primary reading about Adulkarim Qasims biography

by Dr. AKEEL ALNASSERI

ISBN. 91 . 631 . 4169 . 8

Sweden

د. عقيل الناصري

قِرَاءَةٌ أَوَّلِيَّةٌ فِي سِيْرَةِ

عبْد الكريم قاسم

«1963/02/09 - 1914/11/21»

الإهداء

إلى العراق

وكل من رأى ذاته

في عراقيته

وفهم مضامينها

وانتماءها

الأرحب

الفهرست

المقدمة

عزيزي القارئ..

الكتاب الذي بين يديك، هو قراءة أولية لسيرة الزعيم عبد الكريم قاسم الذاتية. وهو في الواقع خطوط عريضة لمشروع أكبر، جُمعتْ مادته، ولا تزال، لقراءة واعية ومدركة لماهيات حقيقة قاسم وسيرته الذاتية بأغلب أبعاد مضامينها الحياتية، بغية إعادة إنتاجها معرفياً وتفهمها سلوكياً ومن ثم تقييمها، على عدة مناح، منها: النطاق الشخصي والمهني؛ ودراسة الظروف الاجتماعية والسياسية التي خلقت منه وبلورت فيه شخصية سياسية قيادية من طراز جديد، كما توصل إلى ذلك كثير من الباحثين الأكاديميين، وخاصةً الأجانب منهم؛ وكذلك حسب دراستي له، وفق منطلقي الفلسفي لرؤى الحياة وقوانين سيروراتها المادية والروحية.

منذ ما يقارب العقدين من الزمن ابتدأت في دراسة هذه الشخصية (اللغز[1])، كما يحلو للبعض أن يطلقوها عليه، حيث حاولت وسأحاول المكوث والتخصص فيها، بروح أكاديمية، فيها شيء من التحيز المعرفي المسبق لعبد الكريم قاسم كذات وكظاهرة عراقية صرفة، وذلك انطلاقاً من التطابق النسبي لرؤيتنا الفلسفية للقوى الاجتماعية لمادة حركة التاريخ عامة والعراقي على وجه الخصوص، وما أحدثته صيروراتها الاجتماعية التي غيرت

---

(1) يطلق الكثير من مناهضي قاسم.. هذا المصطلح عليه، بمن فيهم محمد حسنين هيكل وغيره من الكتاب والمؤرخين ذوي النزعة العروبية.. حتى إن أحدهم أطلق هذا المصطلح عنواناً لكتابه (عبد الكريم قاسم - اللغز المحير - خليل إبراهيم حسين، موسوعة 14 تموز)، الجزء السادس، بغداد 1989، طبع دار الحرية.

إن عدم الفهم هذا ينطلق في اعتقادي، من عدم استيعاب وفهم ذاتية ونفسية الفرد العراقي وتاريخية مجتمعه بكل تكويناته الاجتماعية والإثنية، ضمن صيرورتها التاريخية،، فمن يعرف الإنسان العراقي سيعرف قاسم بالضرورة.. ومن يستوعب واقع العراق سيتفهم الجوهر المحرك للمجتمع العراقي.

من وجهة سيرها الارتقائي، والموقف الأخلاقي والسياسي من جوهرها في بعده الإنساني المتمحور حول فكرة الصراع من أجل العدالة والمساواتية بين النظراء في الخلق، والاهتمام خاصةً بالفئات الفقيرة.

كانت القاسمية، إن جاز التعبير، واحدة من المشاريع النهضوية في عراق القرن العشرين، التي عبرت عن مطمح الفقراء والمعوزين، وجسدته عملياً قدر ما تمكنت نسبياً. إذ لم يطعم المشروع القاسمي هذه الجمهرة الشعبية الواسعة، وعوداً دنيوية بعيدة المنال أو أخروية غير ملموسة.. بل مشاريع مادية ومنجزات عملية رفعت من مستويات حياتها المادية والروحية بكل أبعادهما، وأشبعت جزءاً كبيراً من ضروراتها الملحة، وحررتها نسبياً من عقدة الاستلاب والاغتراب المزمنين، ومن انتهاك الكرامة والذات الإنسانية.

الكتاب في جوهر مادته كان مواضيع لسلسلة مترابطة من المحاضرات طورت ذاتها بذاتها، من خلال تفاعلها الجدلي المتبادل مع جمهرة من المستمعين والمناقشين، الذين أغنوها بالمضامين الجادة وبتنسيق أبعادها وشكل عرضها. لقد ألقيت هذه المحاضرات في النوادي والتجمعات الثقافية العراقية في عدة مدن منها: استوكهولم، يوتوبورغ، مالمو، هلسنبورغ، أوبسلا، فيستروس في السويد. وفي لايدن ولاهاي في هولندا، وفي لندن ومانشستر في المملكة المتحدة.

ثم اغتنت المحاضرات، بالمتابعة الجادة، بعد نشرها في حلقات في كل من جريدتي التلغراف الأسترالية والزمان اللندنية منذ 14 - 2001/3/22، وردود الفعل الذي أحدثته بين مؤيد ومعارض، وكذلك من خلال ما حصلت عليه من مصادر جديدة تصب في ذات الموضوع ومن رؤى نظرية واجتماعية متباينة.. كثير منها لم يكن على وفاق في المنهج والمضمون مع ماهية وذاتية الظاهرة القاسمية، إن لم يكن يرفضها، والتي شئنا أم أبينا، وسمت تاريخ العراق الحديث وغيرت من مجرى جريانه الارتقائي. كما كانت هذه المصادر على درجة كبيرة من الاختلاف في زوايا المنطق والمنطلق وأدوات البحث وفي الرؤية الفلسفية. ناهيك عن تجليات البعد الذاتي والنفعي المكتسيين الشكل الموضوعي فقط دون جوهره.

في الوقت نفسه، لا تدعي الدراسة لنفسها الكمال، بل يجب الاعتراف مسبقاً بنواقصها الناجمة عن كثرة من العوامل منها: عدم توفر المصادر الموضوعية والمحايدة عن ماهية قاسم، الابتعاد عن تلك المصادر الرسمية الكامنة في السجلات الرسمية والمحجور عليها أو تلك الشفوية الكامنة في ذاكرة جيل تموز ومن ساهم في إدارة تلك المرحلة وعاشها من جهة. ومن جهة ثانية **في الدراسة شيء من ذاتنا المقحمة بصورة غير واعية**

في بعض مفاصلها.. ومن جهة ثالثة من طبيعة المنهج العلمي المستخدم والنظرة الفلسفية التي درستُ بهما الظاهرة القاسمية، التي ستكون بالضرورة متقاطعة مع المناهج الأخرى، لنخرج بتفسيرات متباينة إن لم تكن متناقضة.

لكننا نطمح في الوقت نفسه إلى أن تكون الدراسة مادة للنقاش الواعي والملتزم بالموضوعية ضمن الأطر الأكاديمية ما أمكن.. لمعرفة سياقات تطور العراق ما بعد التغيير الجذري في تموز 1958.. بالترابط العضوي بين حلقات الزمن الثلاث. كما نطمح أن تكون مادة نقاش وبحث أوسع في المستقبل لجمهرة من الباحثين لدراسة هذه الظاهرة.

الهدف الأوضح لمادة الكتاب ينصب كما قلنا، على تبيان حقيقة الزعيم قاسم بعيداً عما عُلق عليه قسرا بصورة مخالفة للحقيقة التاريخية والمنطقية، بحيث غيبت مضامينه التي كمن جوهرها في مساهمته الأساسية في تحقيق صيرورة التغيير الأكبر الذي حدث في عراق القرن المنصرم.. ثورة 14 تموز، وما تضمنه من منهجية وبرنامجية لتطوير العراق وفقاً لروح العصر ومتطلباته. هذا الفعل الناجح، سواء ما يتعلق بالتغيير أو البناء والمتطابق مع الضرورة التاريخية، أكسب المشروع القاسمي المسار التاريخي للعراق الحديث، رغم أنه، كذات، لم يكسب شيئاً، سوى حب الأغلبية الشعبية له، كما رصد ذلك الكثيرون[2].

كما للكتاب غاية أخرى تهدف إيصال [**الحقائق الصحيحة**] عن قاسم، للجيل الجديد الذي مسخت معرفته وذاكرته كل حكومات القمع السلطوية التي سطت على الحكم من بعده بالفكرة الانقلابية وبمساندة المعونة الخارجية، لتحقيق مصالح رغبوية

---

(2) لقد أوضحت الحركة العفوية غير المنظمة التي اجتاحت معظم الحواضر العراقية برمتها، بعد سقوط حكم الاستلاب والقمع في التاسع من أيلول 2003، عمق تلك العلاقة المغيبة بين قاسم والفئات الاجتماعية الفقيرة.. يرصد د. عبد المنعم الناصر هذه الظاهرة بالقول ذي الدلالة: [بعد أن بدأ الحق يعود لأهله، وما زال هناك الكثير مما يجب تحقيقه في هذا المجال، فقد أخذ اسم الزعيم الراحل عبد الكريم قاسم يحتل مكانه في وسائل الإعلام بعد أن أخذ الناس حريتهم في التعبير عن مشاعرهم دون أن يخافوا ظلم القوى السوداء، والحقيقة أن هذا الموضوع تصدر مواقع النشر منذ شباط الماضي في ذكرى المؤامرة التي اغتالت أحلام قطاع عريض من جماهير شعبنا في العراق. ولا بأس من أن نسترجع بعض الذكريات ونعبرعن مشاعر ظلت حبيسة في النفوس زمنا ليس بالقصير. وما أثار مشاعري كان تلك الخطوة النبيلة التي تمت على يد الجماهير حين أبدلوا اسم الساحة في رأس القرية في شارع الرشيد من اسم ساحة الغريري، وهو أحد المتآمرين في عملية محاولة اغتيال الزعيم يوم 6 (الحقيقة 7 - ع. ن.) تشرين الأول 1959، وأصبح اسمها ساحة الزعيم عبد الكريم قاسم وكتبوا فيها تلك العبارة المؤثرة: **نعتذر منك أيها الزعيم**] (التوكيد منا - ع. ن) موقع صفحة كتابات في الأنترنيت في 4/9/ 2003

جزئوية، لا تشمل التركيبة الاجتماعية ذات الأطياف المتعددة للعراق ولا مستقبله القادم، رغم رنين شعاراتها الكبيرة.

نأمل أن نوفق في بسط هذه الخطوط العريضة، لسيرة قاسم، لمتابعة الإكمال المنتظر من الجزء الأول (من ماهيات السيرة الذاتية لعبد الكريم قاسم)، والذي من المؤمل إصداره في وقت لاحق.. خاصةً وأن الظرف السياسي للعراق، بعد سقوط نظام صدام، ربما سيسمح للباحثين والدارسين في الكشف عن الوثائق والدراسات الخاصة بمرحلة الجمهورية الأولى (14 تموز 1958 - 8 شباط 1963)، وكذلك الاتصال بمكان الحدث وأشخاصه الأحياء أو الوقوف على مذكرات الأموات، بغية التعمق والمساهمة مع الآخرين في ضرورة دراسة [الظاهرة القاسمية] من مختلف أبعادها الحقيقية، باعتبارها:

ظاهرة عراقية تربط هوية الإنسان ببيئته ومحيطه الاجتماعي والثقافي وإنتمائه القومي، كما تفسر لنا بعضاً من ملامح الحاضر، لنتوغل في البعد المستقبلي للعراق المتمنى بجماليته وإنسانيته.

وأشير هنا بقوة إلى أن الدراسة لا تستهدف مطلقاً إعادة إنتاج القاسمية بكل أبعادها.. انه الاغتراب الزماني. بقدر ما نطمح إلى فهم هذه الظاهرة والاستفادة منها قدر الإمكان في الوقت الحاضر.. وبالتالي إعادة المكانة اللائقة لهذه الشخصية السياسية التي أحبت العراق كذات وكينونة اجتماعية جيو - سياسية وانطلق منه في امتداده نحو أمته.

ينقسم الكتاب إلى جزأين، سيتناول جزؤه الأول ما له علاقة بعبد الكريم قاسم، بصورة مركزة ومكثفة، سواءً ما له: علاقة بنشأته وتكوينه والمؤثرات الفكرية التي تأثر بها، أو عن حياته العسكرية ونشاطه المهني والسياسي فيها وسلوكيته الحياتية، وكذلك مساهمته في تكوين حركة الضباط الأحرار وقيادته فعل التغيير الجذري في تموز 1958..

كما سيتناول هذا الجزء، تحليلاً وملامسةً لمنطلقاته الفكرية الأساسية وممارساته العملية، ليسلط الضوء العالي والمكثف على مبادئ الحكم عند عبد الكريم قاسم، ومن ثم محاول إجراء تقييم أولي لماهية عبد الكريم قاسم.. والتي ستكتمل عند نقدنا له، ضمن الأبعاد التاريخية المعاشة آنذاك.

وسأترك للقارئ الواعي اللبيب حرية المفاضلة والمقارنة، النسبية والمطلقة ين قاسم وحكام العراق السابقين أو اللاحقين له، بغية تمكينه من الوصول، ما أمكن، إلى تكوين رأي جديد في ماهية حقيقة هذه الشخصية، بصورة موضوعية مدركة، بعيدة عن التأليه والتنزيه والعبادة الفردية وتقديس الشخصية.

هذا الرأي، أو سمّه الحُكم إن شئت، سوف يستنبطه القارئ بذاته حسب اعتقادي، وستعزز أركان قناعته الخاصة به بعد الإحاطة بحقيقة تاريخ العراق آنذاك، ومن خلال مساهمتنا في إيراد آراء متباينة من حيث المنطلق والدافع ومن زاوية الرؤية، قيلت بحق عبد الكريم قاسم.. من شخصيات سياسية وأكاديمية، حزبية ومستقلة، والمتناقضة في المواقف، إذ بعضها مؤيدة له والأخرى مناهضة. وهذا ما سوف ينصب عليه الجزء الثاني من الكتاب والذي أطلقت عليه عنوان: دلالات ومغازي، بغية تكوين لوحة خلفية تنور القارئ ما أمكن عن حقيقة هذه الشخصية التي جاد بها العراق في القرن العشرين. يضاف إلى ذلك ما زودنا القارئ بالمصادر التي ستعينه في تحقيق ذلك.

علمتنا الوقائع إن القادة العظام في التاريخ لا يظهرون عفوياً، بل طبقا للضرورة التاريخية ذاتها وعندما تنضج الظروف الموضوعية والذاتية الملائمة، أي في مراحل الانعطاف الجذري، وضمن كون موهبتهم، هي ضرورة للتاريخ. وكلما كانت سجاياهم الشخصية تستجيب للضرورة، كان دورهم في التاريخ أكبر شأنا وبروزاً خاصةً إذا كانوا، بل بالضرورة أن يكونوا، مدركين للمجرى الموضوعي للتاريخ. وتستنبط قوة شخصية القائد من قوة الحركة الاجتماعية التي يعبر عنها ويتولى تحقيقها عملياً.

لذا نرى أن سجاياهم الذاتية والفكرية ليست قليلة الأهمية بالنسبة لمضمون التغيير ذاته. فالرجل المتسم بالذكاء وقوة المبادرة والطاقة الكبيرة والحزم وسعة فهم الأبعاد الاجتماعية والتاريخية لبلده، يستطيع إن يفي أكثر فأكثر بالمهام التي يلقيها عليه التاريخ. وكلما كانت سجاياه تتواءم وتتزامن مع متطلبات واقع التغيير المنشود، كان دوره مهماً وضرورياً. [... فليس القائد، كما تقول السير الشخصية، نتاج نفسه، وليس نتاجا عرضياً لمرحلته، إنه نتاج تفاعل حيوي بين النشأة الشخصية والنشأة الاجتماعية، وتتداخل السيرتان معاً (3)].، وهذا ما كان مع عبد الكريم قاسم وما سنحاول سرده وإثباته عبر التحليل وإعادة تركيب الرؤى والوقائع. إنه جهد الكثيرين ممن يبغون إعادة قراءة تاريخنا.

في الختام لا يسعني إلا أن اشكر كل المنتديات والنوادي الثقافية والاجتماعية العراقية التي وفرت لي ما أمكن في طرح ومناقشة مواضيع الكتاب. في الوقت نفسه أقدم جزيل الأمنية المعرفية والأخلاقية الطيبة إلى دار ليتنك للثقافة [Kulturhuset Latting] في مدينة يفلا Gavle السويدية، وأخص بالذكر السيدة الفاضلة BERGGREN NINNI

---

(3) زهير الجزائري، حنا بطاطو - البحث في التاريخ الضائع، مجلة النهج العدد 25 شتاء 2001، ص. 61.

مديرة الدار والسيدة معاونة مديرة الدار AINO CALMEYER والسيد STEFAN GAGNEFUR والسيد ULRICH LUNDEBERG والسيد JONAS ULLBERG وبقية العاملين في الدار، لما قدموه لي من مساعدات مادية ومعنوية وموافقتهم على منحي تفرغاً دراسياً لمدة سنة، ساعدتني في إنجاز هذا الكتاب إذ لولا ذلك لما استطعت من إنجازه. كما أقدم الشكر للسيدة الفاضلة CEMILE KOYUNCU على مساعدتها بما يتعلق بالقضايا الطباعية على الكومبيوتر.

كذلك الشكر بالعرفان للفاضلة الدكتورة بلقيس محمد جواد الناصري وبتول محمد جواد الناصري وأخي الكبير كاظم محمد جواد الناصري والصديق الدكتور عزيز الخفاجي على ما تجشموه من متاعب وعناء لتوفير عشرات المصادر من عراق القمع السابق.

العرفان الجميل والشكر الجزيل للمبدع الفنان فيصل لعيبي لتفضله بتصميم غلاف الكتاب، عبر اللوحة المعبرة بمضامينها الجوهرية لواقع يوم 14 تموز وماهية عبد الكريم قاسم.

كذلك للكم الوفير من الصديقات والأصدقاء الزميلات والزملاء الذين عاضدوا فكرة الكتاب وساهموا بشتى السبل في تهيئة مصادره أو أمدوني ببعض المعلومات المفيدة ووفروا ما أمكن من جهدهم المعرفي والروحي.. ولأولئك (هن وهم) الذين كانوا يحثونني على الإسراع في الإنجاز.. منهم: الدكتور عبد الخالق حسين والدكتور نجم الدين غلام والدكتور كاظم الموسوي والدكتور علاء الدين الظاهر والدكتور سلمان شمسة وغيرهم على كثرتهم، ممن زودوني بالطاقة المعنوية والنصيحة العلمية لتجاوز صعوبات العمل في المنافي وظلام الليالي القطبية السويدية.

وكذلك للذين لا أعرفهم لكنهم رأوا في عراقيتهم المنطلق نحو الانتماء الأرحب وأحبوا قاسم ومنطلقاته، لذا عاضدوا العمل، هم من الكثرة بحيث لا أستطيع معرفتهم سوى ألقابهم المستعارة أثناء المحاضرات التي ألقيتها في الإنترنيت.

أكرر شكري وامتناني للذين مدوني بالطاقة الروحية..

لها ولهن.. في قربهن وبعدهن

له ولهم.. في اقترابهم وبعدهم

إني مدين.

السويد

تموز 2003

القسم الأول

أولاً: في السيرة والتكوين

(إن الحقائق التي نسكت عنها تغدو سامة)

نتشه

ندخل عتبة العقد الخامس لذكرى ثورة 14 تموز، والنفوس مملوءة أملاً بعودتها ثانيةً، كمنهج وبرنامجية مستهدفة، ذات مضمون ثري العطاء وحلم يوحي بأبدية الحضور للذات العراقية، بكل مكوناتها الاجتماعية؛ الإثنية؛ الدينية والمذهبية، حتى للذات الفردية. وعلى الأخص في زمن الدمار الشامل والاستلاب والاغتراب، الزماني والمكاني، الناجم عن سقوط النظام الدكتاتوري، والمستقبل الهلامي للعراق الناجم عن عملية الاحتلال.

هذه الذكرى تفرض ذاتها علينا عند حلولها، بغية دراستها والتأمل الموضوعي الواعي في أبعادها، وفي صيرورة مسيرتها؛ فيما حققته وما أخفقت فيه؛ في مدى ضرورتها وواقعية مشروعها، ليس كعبرة للأمس المنصرم فحسب، بل للحاضر والقادم؛ كدلالة لتوحيد القوى الاجتماعية من أجل الخلاص من الكابوس المزمن والجاثم على شعبنا منذ رحيلها المبكر واغتيال قائدها؛ ومن أجل الغد بما يحمل من مهام جسام على الأصعدة التالية:

1 ـ الفرد والجماعة وحقوقهما الطبيعية والمكتسبة وبما يتلاءم وروح العصر وتقرير المصير؛

2 ـ البناء الاقتصادي / المادي والخروج من الخراب الشامل الحالي وتطويرهما وفقا لسنن التطور وبما يتلاءم وحراكية التطور العالمي؛

3 ـ الاجتماعي وتحقيق فكرة المساواة، عبر عدالة التوزيع للثروات بين الطبقات والفئات والتقليل ما أمكن من التفاوت الاجتماعي؛

4 ـ **السياسي المنطلق من جدلية أربعة أبعاد هي: النظام الجمهوري؛ الوحدة الوطنية العراقية؛ الاستقلال الوطني والانتماء للأمة العربية. وبما يحقق آلية التداول السلمي للسلطة ضمن التعددية السياسية، بعد إنهاء الاحتلال؛**

5 ـ **البناء الفوقي من العلاقات الاجتماعية التي تنطلق من واقع الماضي والحاضر لولوج المستقبل، سواء فيما يخص المكونات الفكرية والثقافية، والعلاقات الأسرية واحترام دور المرأة الطبيعي والاجتماعي منطلقين من مضمون قانون الأحوال المدنية الذي شرعته ثورة تموز وعجزت كل الحكومات اللاحقة عن الإتيان بما يماثله.**

وغيرها من المهام الأساسية، وما يتفرع منها ويستنبط، والتي اضطلعت الثورة في إرساء قواعدها المادية، وقطعت أشواطاً في تحقيقها رغم قصر عمرها الزمني. ينطبق هذا على ما رسمته الثورة من أجل تغيّر العلاقات الاقتصادية الأساسية ومن ثم الاجتماعية وكل مكونات البناء الفوقي، بما يفتح لها طريق الولوج لزمن قادم أفضل. يضاف إلى ذلك ما أرسته الثورة من مفاهيم وقيم إنسانية عبرت عن مدى شفافيتها كوسيلة لاستشراف المستقبل المفترض بلوغه.. كان منها:

شيوع فكرة التسامح والعفو عند المقدرة؛ اعتبار الهوية والانتماء الوطني أعلى وأرقى من العلاقات والولاءات الضيقة من قبيل (رابطة الدم، المناطقية، الطائفية.. الخ) الكابحة لتنمية الوحدة الوطنية؛ خدمة الشعب أسمى غاية؛ الانطلاق من فكرة المساواة في إدارة الحكم... الخ من القيم التي حاولت الثورة/ الزعيم قاسم غرسها في وقتها المناسب، بغية ضمان ترسيخ كيان العراق الجيوسياسي/ الاجتماعي، والتي نحن اليوم بحاجة ماسة إليها كثوابت استنهاض للقوى الحية من أجل التغيّر القادم وتموز جديد منتظر.

لقد قيمت مختلف القوى الاجتماعية والسياسية الحية، خاصة تلك التي تتطابق أو تتقارب مصالحها ومفردات مناهجها وتطلعاتها مع ثورة 14 تموز، قيمت فعل التغير الجذري (الثورة) ومضمونه وضرورته إيجابيا. لكن تضاربت عندما تعلق التقييم بشخصية قائد الثورة الزعيم عبد الكريم قاسم، وتباينت المواقف منه، حتى إن بعضها الأقرب إليه، برنامجاً وتطلعاً وحتى معرفةً، كانت تنعته آنذاك بـ«**الدكتاتور**»، وبعد استشهاده أصبح عندها «**من شهداء الوطنية العراقية**»، وبعد مرور 40 عاما على قيادته لفعل التغير الجذري أُهمل ذكره تماماً، ولم يُقيّم لا سلبا ولا إيجابا، كما لو أن عملية الثورة، كفعل واعي، قادتها قوى خفية وبدون فاعل عضوي. مما أفقد هذه القوى الموضوعية والمنطقية لا بل المصداقية والعلمية،

طالما لا يمكن الفصل بين الفعل والفاعل إلا بصورة تعسفية، إنهما علاقة جدلية متبادلة، إذ لا يمكن الكلام عن تموز (الفعل) دون الكلام عن الفاعل (الزعيم قاسم) والعكس بالعكس.

تعتبر شخصية الزعيم عبد الكريم قاسم من أكثر الشخصيات إثارةً للجدل في تاريخ العراق المعاصر، إذ أُثير حولها الكثير من الجدل والمساجلات بين مختلف القوى الاجتماعية والتيارات السياسية في العراق والمنطقة، أثناء حكمه أو من بعده. وفي الوقت نفسه كانت من أكثر الشخصيات التي شُوهت وطمست حقيقتها وماهيتها.

لقد ضُربت (مؤامرة صمت) على حقيقة وكينونة وشخصية الزعيم عبد الكريم قاسم من قبل كل حكومات الاستلاب والاغتراب (القومية) التي جاءت من بعده، وحتى من قبل العديد من القوى السياسية المضطهَدة، إذ ساهم جميعهم في تثبيت مؤامرة الصمت هذه.

كما شارك الكثير من أنصاره في هذه العملية عندما أخفوا الوقائع والحقائق طوال المرحلة السابقة ولم يتصدوا إليها بالعلنية، وهم كانوا من الصناع الحقيقيين للملحمة تموز وشهودها الأقربين، فالضرورة الأخلاقية والموضوعية تتوسم فيهم قول الحقيقة ورواية ما شاهدوه الآن وليس غداً، ربما غداً ولكن ليس بعده. إنها الأمانة التي استودعها التاريخ لديهم. **فمن حق التاريخ أن يكتب كما وقع. ومن حق هذا الجيل والأجيال اللاحقة معرفة ما حدث.**

في الوقت نفسه تفرض الضرورة التاريخية لفهم عراقنا لما بعد تموز 1958، دراسة شخصية الزعيم عبد الكريم بروح أكثر موضوعية، ضمن تطور صيرورتها التاريخية المقترنة بالمنطقية العلمية، لأجل إعادة الفهم الصحيح للظاهرة التموزية/ القاسمية والرقي بها درايةً وتحليلاً، بغية إعادة تركيبها ووضعها في مسارها الارتقائي السليم؛ وإغلاق منافذ تدمير الذات الفردية والجمعيّة للعراق الجيوسياسي/الاجتماعي؛ ووقف نزيف الدم الجاري منذ رحيلهما؛ وسيادة روح التسامح وقيمه الحضارية. طالما هي تجربة تحررية عبرت عن طموح مُعبرّ عنه شعبياً. كما كانت تنحو في دخول العصر ومستلزماته ضمن الظرف المتاح.

وارتباطاً بما ذكر، فإن دراسة شخصية الزعيم قاسم لا يمكن أن تنفصل عن دراسة واقع العراق الاجتماعي/الاقتصادي / السياسي، الذي عاشه وتبلورت سمات شخصيته في تفاعلها الجدلي مع ذلك الواقع وأحداثه والصراعات الاجتماعية/ الطبقية/ السياسية التي شهدها..

من هذه المنطلقات سنساهم، من خلال هذا الجهد المتواضع، في ترسيخ مناهج بحثية عن الظاهرة القاسمية، وسنطرح استفهامات استدلالية مقترنة بالموضوعية العلمية الخاصة بها، **إنها حركة معرفية سنوقدها دوماً، إن لم توقد ذاتها أو توقدها الضرورة.**

تلجأ الشعوب الحية إلى تخليد وإحياء رموزها وقادتها في مختلف شؤون الحياة السياسية والعلمية، الاجتماعية والدينية. وتسلط الأضواء على كل أبعادها المضيئة، وتتناقل تراثها وتسكنها في ضمائرها وأفئدتها.

كما تنسج حولها العديد من الحكايات التي تبلغ حد الأسطورة والخروج عن المألوف الاجتماعي، وتعطيها أبعاداً، ربما، خارج تخوم زمانها المحسوس، حتى انعكست هذه الرموز في الحس والوجدان الشعبي وبرزت في إبداعهم ونتاجهم المعرفي، بغية التقارب والتماثل معها وبما تحمله من صفات وطبائع، من سلوكيات وممارسات، من منظومة مفاهيم وقيم معرفية وحياتية، وقد تصل في بعض الأحيان، حد التأليه الاجتماعي، بعد ترسخها في أعماق الذاكرة الحية للشعوب.

وعند استقرائنا لتاريخ العراق، منذ بدء حضارات القرى الأولى، مروراً بحضارات المدن الشاهقة بل حتى في كبوات احتلاله وتخلفه، يرصد الباحث استقرار العديد من الرموز في الوعي الاجتماعي للفرد العراقي، حيث انطبعو في ذاته الفردية والجمعية، في إرثه المعرفي والسوسيولوجي، وأصبحوا بحق رموزاً يُشار إليها دوماً.

كان الزعيم عبد الكريم قاسم أحد هؤلاء الرموز، بغض النظر عن تعاطفنا الذاتوي معه أو لا. إن هذا الاستنتاج مستنبط من عمق عملية التغيير التي قادها يوم 14 تموز؛ ومن نمط سلوكياته في إدارة الحكم؛ ومما أحدثه من تغير في الحياة الاجتماعية والسياسية.

وبغية البرهنة على ذلك سنحاول تسليط الضوء بكثافة عالية على بعض من محطات سيرته الذاتية والمهنية ومن ثم استنباط العديد من مقوماته الفكرية والمبادئ الأساسية لنظراته إلى الحكم، لنعطف في الأخير إلى شيء من إخفاقاته ونقاط ضعفه، بروح من العلمية والموضوعية، ولنساهم في فهم موقعه في تاريخ العراق الحديث.

1 ـ الولادة والنشأة:

ولد عبد الكريم قاسم في (1914/11/21)، في محلة المهدية من رصافة بغداد، ومن أبوين عربيين هما: قاسم محمد البكر الزبيدي[4] ، وكيفية حسن يعقوب الساكني (عشيرة السواجن) التي يرجع نسبها إلى عشيرة تميم العدنانية.. أذكر ذلك بغية دحض الادعاءات الخاطئة التي تدعي أن والدة الزعيم غير عربية (أقرّا أن والدته من المذهب الشيعي)، لقد انطلى هذا الادعاء حتى على باحثين مرموقين ولهم مكانتهم العلمية في الشأن العراقي مثل الأكاديمي المعروف حنا بطاطو الذي نسب والدة الزعيم إلى قومية أخرى (كردية فيليه)[5].

---

(4) ادعى العديد من السلطويين وكتابهم، منهم أحمد فوزي، أن الزعيم قاسم قد غير اسم أبيه من جاسم إلى قاسم. ويكرر هذا الخطأ مجيد خدوري ويقول [لعل السبب في ذلك أن كلمة جاسم هي اللفظة العامية لكلمة قاسم] دون ذكر المصدر، راجع العراق الجمهوري، الدار المتحدة للنشر، بيروت1974، الهامش رقم 25 في الصفحة 130. ويقول حسن العلوي أن الأخ الأكبر للزعيم [كان معروفاً باسم حامد جاسم، ولدى استفسارنا عن الاختلاف بين قاسم الذي يسمى به عبد الكريم وجاسم الذي يسمى به حامد.. قالت أم حامد، أن عبد الكريم رفض منذ وقت مبكر كلمة جاسم.. وقال الصحيح هو قاسم] راجع، عبد الكريم قاسم رؤية بعد العشرين، دار الزوراء، لندن، 1983، ص. 13.

وقد سبق أن اعتمدتُ على هذه المعلومة وتبنيتها من مصدرها المذكور في كتاباتي السابقة. إلا أن الروائي المبدع محمود سعيد لم يثق بهذه المعلومة وتقفى أثرها وتتبعها من مصادرها الأصيلة وراجع مديرية الأحوال المدنية لقضاء الكرخ حيث سجل قيد نفوس عائلة عبد الكريم قاسم، ليتجلى حقيقة هذا الادعاء. وتبين له خواء مضمونه وعدم صدق مدعيه، إذ لم يجر أي تصحيح على سجل قيد نفوس والد الزعيم قاسم، إذ لم تشر السجلات إلى أية ملاحظة تدل على ذلك، ولم يدون قرار أية محكمة، التي يستوجب توفره عند تغيير الاسم، كما أوضح مدير السجل المدني في الكرخ.

استفسرت بدوري من الصديق حسين حامد قاسم الذي كذب بدوره هذه الموضوعة ونفى حدوث شيء من هذا القبيل، إذ تحتفظ الأسرة بشجرة نسبها الذي يعود إلى منطقة نجد الحجازية.

(5) راجع حنا بطاطو، الطبقات الاجتماعية القديمة والحركات الثورية في العراق، ترجمة عفيف الرزّاز، الكتاب الثالث، ص. 125، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت 1999، الطبعة الثانية. ويكرر هذه المعلومة الخاطئة، آخرون منهم، اليعازر بعيري الذي يقول: [**وطبقاً لبعض المصادر فإن أمه من أصل كردي**]، راجع، ضباط الجيش في السياسة والمجتمع العربي ترجمة بدر الرفاعي، دار سينا والمكتبة الثقافية، القاهرة وبيروت، 1992، ص. 171. ويثير ذات الشكوك مجيد خدوري، رغم اعترافه بأن والدة الزعيم [تنتمي إلى عائلة شيعية ترجع بنسبها إلى بني تميم، وهي قبيلة تنتمي إلى قبائل عدنان من جنوبي الجزيرة العربية. إلا أن قاسم على الرغم من تأكيده نسبه العربي، ←

إن تأكيدنا هذه الناحية لا يحمل في طياته انتقاصا من الأثنيات الأخرى التي يتكون منها الفسيفساء الاجتماعي العراقي، بقدر ما هو إيضاح للحقيقة المعرفية والموضوعية.

إن العديد من كتاب التيار القومي (اليميني) في العراق وأصحاب النزعات الطائفية يعتبرون الأغلبية العربية الشيعية غير عربية، ويطلقون عليها في أحيان كثيرة لقب (الشعوبية[6]). لقد رُدِّد هذا الادعاء سابقاً ولا يزال يُردده الكثير من الغلاة الطائفيين لحد الآن.

تكونت عائلة قاسم محمد البكر، حسب تاريخ الميلاد، من الأبناء:

حامد أكبر الأشقاء الذي تزوج من بنت عمه، الرئيس علي محمد البكر، وكان حامد يشتغل دلالاً للحبوب؛ وتأتي بعده أمينة زوجة ياسين محمد صالح القيسي؛ ثم عبد اللطيف نائب الضابط في القوة الجوية والذي بقي على رتبته العسكرية لحين تقاعده، وكان ساكنا في إحدى الدور الحكومية الصغيرة في منطقة (تل محمد) التي استلمها قبل ثورة 14 تموز، وبقي فيها إلى آخر حياته؛ ثم نجية زوجة ابن عمتها الزعيم الركن عبد الجبار جواد[7]، وأخيراً الأصغر في العائلة عبد الكريم.

ولعبد الكريم قاسم خالتان هما: عكاب حسن اليعقوب، والدة العقيد فاضل عباس

←**حقيقة كان أم خيالاً**، لم يفاخر بخلفيته العربية، ولم يستغل مذهب العائلة لا سنيا ولا شيعيا... وفرت له مناخا غير مشوب بالتعصب العرقي والتزمت الديني الذي يتميز به أولئك الذين ينشؤون في القسم الشمالي أو القسم الغربي من بغداد أما **نسبه العربي فكان موضع شك** (؟؟؟ - الناصري) من قبل بعض خصومه لسبب وقوفه بجانب الشيوعيين ضد الوحدويين. ولكن هذا لا يعني أن دعاة الوحدة العربية الشاملة كانوا جميعا عربا أقحاحا]، العراق الجمهوري، ص. 102،، مصدر سابق.

(6) يوسع مفهوم المصطلح د. علاء الدين الظاهر بالقول:

[لا تخلو مقالة أو كتاب عن الزعيم من اتهام معارضي الوحدة بالشعوبية. من هم الشعوبيون؟ هذه التهمة وجهت إلى الشيعة، الأكراد، التركمان ـ الصابئة، الأثوريين، الأرمن، الشيوعيين، الديمقراطيين، وكل من لا يؤمن بمشيل عفلق وساطع الحصري. من بقي إذن من العراقيين ذا الدم العربي النقي]، التاريخ كما لقنه القصخون، منشورات المجرشة، الكراس الثالث، ص. 22

(7) هو الشقيق الأصغر للضابط الطيار محمد علي جواد، أول قائد للقوة الجوية العراقية والذي اغتيل مع بكر صدقي في الموصل في العاشر من آب 1937، وكان أحد مراكز القوى في الجيش العراقي في الثلاثينيات، ومن المحسوبين على الاتجاه الوطني المنادي بأولوية عراقية العراق. وكان والده جواد محمد جعفر من الضباط العراقيين في الجيش العثماني الذين قاتلوا ضد القوات البريطانية الغازية للعراق.

المهداوي، والثانية وصف حسن اليعقوب التي تولت العناية بالمهداوي بعد وفاة والدته المبكر. كما ولعبد الكريم قاسم خالان هما: محمد حسن اليعقوب، وكان من أبطال المصارعة آنذاك وقد توفي في عمر مبكر أيضا، ومطلك حسن اليعقوب، الذي استشهد في إحدى الحملات العسكرية عندما كان مجنداً قسرياً في الجيش العثماني (السفر بر) كما أطلق عليه العراقيون آنذاك.

لعبد الكريم عم واحد هو علي محمد البكر، الذي كان ضابطاً في الجيش العثماني برتبة الرئيس (النقيب). وقد أستشهد أثناء دفاعه عن بغداد ضد الاحتلال البريطاني عام 1917، ولم يخلف سوى بنت واحدة تزوجها حامد قاسم. وقيل، كان جد عبد الكريم قاسم يملك محلاً للجلود في بغداد، كما تقول بعض المصادر.

يصف أحمد فوزي ولادة عبد الكريم قاسم على النحو التالي:

(عندما كانت شمس يوم 21 تشرين الثاني 1914، تنحدر إلى مغيبها.. كانت هناك في محلة المهدية في صوب الرصافة ببغداد، امرأة تتلوى من ألم المخاض.. وطال بها المخاض.. فتوافدت النسوة الساكنات إلى جوار بيت حسن اليعقوب الساكني، الملاصق لبيت حمودي الدواح، في ذلك الزقاق الضيق القديم، حيث المرأة الملتوية من الألم، المشرفة على الوضع!

وكان يقف إلى جوار (المرأة) صبيان وطفلتان صغيرتان، ينظرون جميعهم إلى أمهم (كيفية بنت حسن اليعقوب الساكني) بعيون ممتلئة بالدموع، ووجوه كلها عطف وحنان.. ويدعون الله عز وجل أن ينقذ أمهم، وأن يريحها من هذه الآلام!

وكانت شقيقتاها (عكاب بنت حسن) و(وصف بنت حسن) تقفان إلى جانبها، تعاوناها، ريثما تأتي المُوَلِّدة (القابلة) لتوليدها. وقبل أن ينتصف الليل، دخلت الدار (المولدّة) العجوز، وتطلعت إليها العيون جميعا تستحثها على إنقاذ (الوالدة). وكشفت المولدّة على المرأة المتعبة من ألم المخاض.. وأطلقت صيحة خافتة: إنها في إعسار وخطر. وقامت من مكانها، وتوجهت نحو الزوج (جاسم محمد البكر) الواقف بانتظار النتيجة، وبجانبه أولاده الأربعة الصغار، وقالت له:

ـ أن زوجتك في خطر.. وان الوليد بخطورة أيضاً.. هل تريد الأم.. أم الطفل؟

فتلفت (جاسم محمد البكر) ـ وهو واقف في بيت عمه (والد زوجته) ـ وأجال النظر في وجوه أولاده الصغار.. ولم ينطق ببنت شفة..!

وفهمت (المولدّة) العجوز، إن الرجل يريد إنقاذ الأم، لأجل هؤلاء الصغار.. في

الأقل! وعندها رفع (جاسم محمد البكر)، رأسه إلى السماء ـ وكان تقياً ورعاً ـ فدعا الله عز وجل أن ينقذ زوجته (كيفية) من هذا البلاء..!

انطلقت صيحة من الأم وانطلق بعدها صراخ الوليد الجديد.. وركن الوليد إلى جانب أمه. واهتمت (المولدة) والنسوة جميعهن بالأم، خوفاً أن تقضي نحبها بعد أن نزفت كثيراً من الدماء[8]...

إن أكثر الدلائل المادية المتوفرة تشير إلى وضع العائلة الاقتصادي البائس لكنه لم يصل حد الإدقاع، حيث ولد الطفل عبد الكريم وعاش فترة شبابه، في بيت لازمته الحاجة والعوز المادي ولفترة طويلة نسبياً.

كان أبوه يعمل في النجارة ويستمد المعونة المادية من أخيه علي محمد البكر، الذي كان آنذاك، يخدم كضابط في مقر الجيش العثماني السادس عشر في بغداد. كما يمكن الاستدلال على وضعه المادي السيئ من واقع المنزلة الاجتماعية لمحلة السكن، إذ كانت محلة المهدية، ولا تزال، إحدى المناطق الشعبية التي تقطنها العوائل الفقيرة والكادحة، وتجاورها محلات النازحين إلى بغداد من أرياف العراق برمته وخاصةً من شمال بغداد.

لقد كان الطفل عبد الكريم مرهف الحس منذ طفولته، وكان دائم التفكير في وضعه الذاتي ووضع العائلة المادي والاجتماعي. وكان يحاول منذ نعومة أظفاره البحث جاهداً عن مبررات مقنعة لذلك الوضع الذي أثر في نفسيته بقوة جعلته [**قليل الاختلاط بزملائه في المدرسة... وكان صبوراً جداً، فإن أراد أو اشتهى شراء شيء يلزمه ورأى ظروف أبينا المالية لا تسمح.. ينتظر.. وقد يطول به الانتظار دون أن يضج أو يشكو...**[9]].

هذه الوضعية الاجتماعية وواقع عمقها القاسي ستؤثر لاحقاً في ماهيات منظومة أفكار الشاب عبد الكريم قاسم، إذ تأثر منذ ريعان شبابه بـ(**فكرة المساواة**) وتبناها كحلقة مركزية في مشروعه اللاحق وأصبحت تمثل المبدأ الأول من منظومة أفكاره. لذلك انصب اهتمامه على كيفية محاربة الفقر واجتثاث مقوماته المادية ما أمكن ذلك. كما انعكست حتى في شعوره الداخلي وفي ممارساته الحياتية، التي تعمقت بصورة خاصة بعد أن تفهم

---

(8) أحمد فوزي، عبد الكريم قاسم وساعاته الأخيرة، ط الثانية، بغداد، 1989، ص. 15، الدار العربية للطباعة.

(9) مجلة المصور القاهرية العدد 1773 في 1958.10.03، ص. 11. مستل من جمال مصطفى مردان، عبد الكريم قاسم البداية والسقوط. المكتبة الشرقية، بغداد 1989

مسببات الفقر والتفاوت الطبقي من الناحية النظرية المبسطة، والذي اقترن بالإدراك السياسي الحسي لواقع البلد بعد احتلاله، وما نجم عنه من مؤسسات ونظم وقواعد للحكم تأسست على أسس خاطئة ومن ممارسات عملية عمقت هذه الأخطاء وذاك التفاوت، وما رافقها من انتفاضات شعبية عبرت عن رفضها وسخطها على هذه السلطة وأسس تكوينها وتوجهاتها الاجتماعية /الاقتصادية والسياسية وعلى ارتباطاتها الغربية (بريطانيا).

واستنطاقاً لما ذكر، فقد كان عبد الكريم قاسم دائم الصراع مع واقع الفقر وفكرته، حيث كان يكرهه بصورة غير عادية ويرى فيه عقبة أمام تطور الفرد والمجتمع، لأنه خبر الوضع الاجتماعي والنفسي للأفراد الفقراء وعرف معاناتهم في الحياة وصراعهم من أجل القوت اليومي. لقد تحسس بكل حواسه ذلك الألم، لذا عندما تسلم قيادة إقرار القرار المركزي للدولة كان يصرح دائماً دون حياء وبعزة نفس أبية: [**أني ابن الفقراء.. أنني فقير.. شخص فقير وجدت وعشت في حي الفقراء وقاسيت زمناً طويلاً مرارة العيش، ولكننا نملك الغنى، غنى النفس وكنا نملك الغنى، غنى الإباء..**[10]].

واقع الفقر والعوز الذي رافقه كظله وصعوبة إمكانية تجاوزه وانتقال الوالد من مهنة إلى أخرى ومن مدينة إلى ثانية.. عوامل كانت كافية لدفع الفتى عن الوسط الاجتماعي والقذف به بعيداً عن منظومة الأفكار المحلية السائدة والتزاماتها الانتمائية من طائفية وعشائرية وأثنية. كما دفعته إلى التعمق في دراسة الأسباب النظرية الكامنة وراء هذا التباين الاجتماعي ومدى قدريته. ولأجل تعميق معرفته، نراه ينسجم مع ذاته في الخدمة بعيداً عن العاصمة (المركز الحضاري) ويلتحق بالعمل في المناطق النائية حيث ستتجذر معارفه العملية أكثر فأكثر ويتعرف عن قرب على هذا الواقع الشديد التعقيد والتخلف..

إن الهلع والمعاناة والألم الحزين في التراجيديا، أي كل تلك الحالات التي تنحشر في وعي الذات، كما يقول هيغل، لتشكل طريق التنقية والخلاص والذي كان يجري في خطاه كل ما كان ينبغي له أن يحدث. ذلك الوعي نستخلصه من الممارسات الواعية التي انصب الخطاب القاسمي على التأكيد عليها والتي تمحورت حول الارتقاء بالذات الإنسانية إلى مصاف أعلى..

---

(10) انظر عبد الكريم قاسم، جيشنا المظفر في ذكرى تأسيسه الحادية والأربعين، وزارة الإرشاد، بغداد 1962، مستل من ليث الزبيدي، ثورة 14 تموز في العراق. ط الثانية، مكتبة اليقظة العربية، بغداد 1981. وقد أشار الزعيم إلى حالة عائلته المتواضع في خطاب له بتاريخ الخامس من تموز 1959، راجع الجزء الأول من خطب الزعيم لعام 1959، ص. 147، وزارة الإرشاد بغداد.

هذه الظروف الحسية والأوضاع المادية، عمقتها قراءاته للأفكار الحديثة التي بدأت جماعة الرحال تبشر بها عبر حلقاتها الثقافية، وجريدتهم (الصحيفة) وما تيسر نشرها في الجرائد الأخرى في عراق عشرينيات القرن المنصرم، والتي كان مرشده ومعلمه في حياة طفولته، الأديب والوزير لاحقاً، مصطفى علي يزوده بها[11]. لقد صهرت هذه الأفكار الشاب قاسم في أتونها لتكون منه رجلاً ذا رسالة، يسير في دروب الحياة المحفوفة بالمخاطر والصعاب. إنه يتماثل وما قال نتشه من أن:

[العظيم من الرجال يبحث دائما عن الحياة المحفوفة بالمخاطر التي تتفق مع طبيعته ورسالته نفسها، حيث تتطلب منه أن يُصهر في النار ليبدو في أسمى قوته، أما الرجل المتوسط المواهب والكفاءات، فهو ينشد لنفسه دائما حياة هادئة، ولا يرغب لنفسه بمأساة، بل ليس هو في حاجة إليها.. هذا الصنف لا يرغب في تحمل تبعات تاريخية، بل يتفاداها ولا يبحث عن الآلام، بل تفرض عليه فرضاً، غير أن عذاب الإنسان المغمور أدعى للشفقة من عذاب الإنسان الممتاز، لأنه كرجل الفن شعر بالسعادة حين يعبر عن ذلك العذاب بآثار فنية[12]].

وعند دراسة سيرة حياة الزعيم قاسم العسكرية ومواقفه السياسية في الملمات وعند إدارته للحكم وحتى عند لحظات إعدامه الحياة، أكدت بكل أبعادها مدى انطباق القول أعلاه على رجل الدولة الذي غيّر من مسار تاريخ عراق القرن العشرين.

في الخامسة من العمر يدخل الطفل كرومي (أسم التدليل الذي يطلقه العراقيون على كل من يحمل أسم كريم) إلى أحد الكتاتيب مقابل جامع الفضل بن ربيع، ليتعلم القراءة والكتابة ويحفظ ما تيسر له من القرآن الكريم التي كانت تديره (الملاية فاطمة الحاج مصطفى عبد الله الجبوري)، ابنة إمام وخطيب جامع الفضل. هذه الدراسة مكنته من الولوج المبكر في عالم القراءة، التي سيشغف بها في مراحل عمره القادمة، كما مكنته من امتلاك أسس اللغة العربية.

---

(11) كان مصطفى علي أكبر من عبد الكريم في حدود 14 عاماً.

(12) مستل من عقيل الناصري (ليلة الصعود إلى سماء الخلود، تحليل لليوم الأخير من حياة عبد الكريم قاسم)، كراس ملحق جريدة المجرشة، العدد (42) شباط1977. الذي أعيد نشره في مجلة الموسم التي تصدرها أكاديمية الكوفة في هولندا، العدد (32) لسنة 1997.

وتحت وطأة الحاجة والفقر التي أصابت الطبقات الفقيرة بعد الاحتلال البريطاني نتيجة لتغير نمط الحياة الاقتصادية وزيادة سرعة إيقاعها وما نجم عنها من تضخم اقتصادي، تسافر العائلة عام 1921 إلى مدينة الصويرة، ليعمل رب الأسرة في أرض تعود ملكيتها إلى العائلة والتي كان يشرف عليها أخوه الضابط المستشهد.

آنذاك يدخل الصبي عبد الكريم المدرسة الابتدائية ويدرس فيها لمدة أربع سنوات، قبل أن تعود العائلة إلى بغداد ثانيةً عام 1926. تسكن هذه المرة في محلة [قمبر علي]، المجاورة لمحلته السابقة، والمعروفة أيضاً بفقر ساكنيها وتعدد انتماءاتهم الأثنية والطائفية.. من عرب وكرد، ويهود ومسيحيين، ومسلمين، سنة وشيعة، وبغداديين ومتريفين نزحوا من القصبات والقرى. بمعنى آخر عاش في وسط اجتماعي خليط، عكس أغلب مكونات الواقع الاجتماعي/ الأثني للمجتمع العراقي.

لقد شكلت هذه المعايشة الاجتماعية، إضافة نوعية جديدة إلى منظومة أفكار الشاب عبد الكريم والتي تمحورت حول فكرة «**الهوية الوطنية العراقية**»، حتى أصبحت، فيما بعد، تمثل المبدأ الثاني في منظومة أفكاره. إذ نظر إلى العراقيين كنسيج اجتماعي يمثل مختلف الأثنيات والتكوينات الدينية والمذهبية لذا لابد من الحفاظ عليه مع الاستقلالية النسبية لكل تكوين بمفرده، لذا لم يتعصب إلى واحدةٍ منها، فعروبته هي امتداد لعراقيته، وإسلامه لا يتعارض مع الديانات الأخرى، ولم يفضل مذهباً على آخر.

هذه الحالة ناجمة في بعض جوانبها، من بيئته العائلية ذات الانتماء المذهبي المختلط، ومن الأفكار المساواتية التي تتلمذ عليها من الرواد الأوائل للفكر الاشتراكي في نهاية العشرينيات. لذا حارب الطائفية السياسية في الحكم والتي كانت قائمة منذ تكوين الدولة العراقية وما قبلها، وقد أدرك إن تلاحم الهوية الوطنية لا تستوعب النظرات الضيقة والولاءات الدنيا والمناهج الجزئية.

لذا [من يقرأ تاريخ 14 تموز عام 1958، لابد أن يلتمس نسيجها الوطني المعادي للطائفية والعنصرية، ولا نجافي الحقيقة إذا قلنا إن العراق لم يشهد طيلة تاريخه الحديث حاكماً يمقت الطائفية كالزعيم عبد الكريم قاسم الذي عمل طوال فترة حكمه والتي استمرت أربعة أعوام ونصف تقريباً وبشكل متواصل ودؤوب على إلغاء الطائفية من برامج الدولة العراقية، مما جعله يتبوأ مكانة خاصة في نفوس العراقيين على اختلاف عقائدهم ومذاهبهم، فالمعارضون والمناصرون لقاسم لا ينكرون هذه الحقيقة.

وفي ملف الزعيم عبد الكريم قاسم شيئان لم يستطع أحد من المقربين إليه اكتشافهما، وهما انتسابه العشائري وولاؤه المذهبي. وفي المقابل هنالك شيئان أوصلا العراق إلى حافة الكارثة (إن لم تكن الكارثة بعينها ـ ع. ن) فيما بعد وهما تعصب الحاكم للعشيرة وولاؤه الطائفي. وربما تكون النشأة العائلية المتوازنة للزعيم قد ساعدته على ذلك. فقد نشأ في مدينة محايدة لم تنشغل بقضايا العداء الطائفي أو العنصري، فقد ترعرع الزعيم في عائلة كريمة من سواد الناس والتحق بالجيش في ريعان شبابه وشارك في معارك فلسطين عام 1948، كل ذلك منحه ثقة عالية بالنفس وعصامية لا تفخر بالاحساب وبالأنساب. ولهذا اكتفى باسمه الثنائي دون ذكر العشيرة أو اللقب أو اسم الجد... ولو استمر قاسم بالحكم فترة أطول لكان قد وضع المسمار الأخير في نعش الطائفية، حيث كانت سياسة التدرج بإلغاء التمايز الطائفي التي سار عليها، قد أثارت المخاوف في نفوس غلاة الطائفية، فقد عثر انقلابيو 8 شباط عام 1963 في مكتبه على مسودة القانون الجديد للجنسية العراقية والذي كان سيلغي القانون القديم الذي يُقسم العراقيين إلى مواطن من الدرجة الأولى والثانية، والذي استغله صدام فيما بعد لتهجير أكثر من نصف مليون مواطن[13]].

ينهي الصبي عبد الكريم دراسته الابتدائية من مدرسة الرصافة عام 1926، ويتخرج منها في العام التالي ليدخل الثانوية المركزية[14] ـ الفرع الأدبي. وينتهي منها بتفوق في عام 1931. وقد أشار العديد من أساتذته وزملائه الطلبة إلى حالة تفوقه العلمي، مقارنةً بأقرانه الطلبة، وما كان يتمتع به من سرعة البديهة والذكاء[15]. كما رصد أساتذته أثناء دراسته تذوق الطالب عبد الكريم قاسم للأدب العربي، إذ كان يحفظ الكم الوفير من

(13) د. عدنان فاضل، عبد الكريم قاسم والطائفية، جريدة المؤتمر، العدد 162 في 2 آب 1996

(14) كانت المدرسة الثانوية الوحيدة في بغداد آنذاك، وكانت تضم بالأساس أبناء النخب السياسية الحاكمة والعوائل الأرستقراطية وعلية القوم. هذه الوضعية حفزت الطالب عبد الكريم قاسم على مجاراة زملائه الطلبة من خلال تفوقه العلمي رغم فقره المادي.

(15) للمزيد راجع ما نقله أحمد فوزي عن لسان أساتذته وزملائه في كتابه، عبد الكريم قاسم وساعاته الأخيرة، مصدر سابق. كذلك مشتاق طالب في كتابه، أوراق أيامي 1958 ـ 1900، دار الطليعة بيروت، والذي تذكر عبد الكريم قاسم في الصفحة 568 بالقول: [أنه تلميذ قديم من تلامذتي في المدرسة الثانوية المركزية في بغداد سنة 1927، إنه تلميذ هادئ يبتعد عن مخالطة زملائه ويقضي فترة التنفس في زاوية منعزلة، مظهره يعلن عن فقر الحال وفقدان المال، مكتئب النفس عابس الوجه، ضعيف البنية، مشروم الشفة العليا من جهتها اليسرى، وهذه العاهة على ما يبدو سببت له شعوراً بالنقص جعلته منقبضاً على نفسه، يتجنب الاجتماع برفاقه وبالناس أجمع].

جماليات الكنوز الشعرية العربية. لقد كان معجباً، من شعراء تلك المرحلة بالشاعر معروف الرصافي حسب قول أستاذه في اللغة العربية آنذاك محمد بهجت الأثري. ويفسر في بعض جوانبه لأنه كان متأثراً بمواقفه السياسية المناهضة للمشروع البريطاني في العراق وفلسطين.

تحت وطأة حاجة العائلة وتحسين وضعها الاجتماعي وتوفير حدود معقولة لها من العيش والخروج من ضرورات العوز المادي المزمن، يحسم الشاب الطموح عبد الكريم صراعه الداخلي الذي كان يعاني منه في مسألة الاختيار بين تحقيق طموح الذات الفردية، لإكمال الدراسة الجامعية الطامح إليها، أو العمل ومساعدة الأهل مادياً. لقد أخذ بالرأي الأخير وتم تعيينه في وزارة المعارف بتاريخ (1931.10.22) بوظيفة معلم وينسب إلى إحدى المدارس الابتدائية في قضاء الشامية[16].

لقد استفز مكان العمل (الريف المتخلف ومنظومة قيمه العشائرية) كوامن مشاعره، نظراً لما لمسه من هول الفوارق الاجتماعية والتخلف الحضاري بين بغداد وبقية المدن الريفية؛ بين الفلاحين المعدمين والشيوخ وسراكيلهم، الذين بدأت توا عملية تحولهم إلى طبقة اجتماعية جديدة، وما رافق ذلك من طرد كيفي واسع للفلاحين، اقترن بالتعسف والقسوة، وهجرتهم إلى حواضر المدن القريبة. **ولعل هذه الآونة كانت واحدة من أكثر الآونات في حياته أثراً وأبعدها غوراً حتى طبعت نفسه بطابعها مدى ما عاشه بعدها من سنيه.**

طرحت ظروف المعايشة الحياتية في المحيط المتخلف، على المعلم الشاب ضرورة تفسير هذه الظواهر المنتشرة بالريف ومسبباتها وطبيعة العلاقات الاجتماعية النامية بيعدها الاستغلالي والقيم السائدة فيه والمستنبط من العالم المعزول، والحضور القوي المكثف للخرافة والفنتازيا، والإحساس المبهم بالزمان والمكان.

حاول تفسيرها من خلال القراءة المعمقة، لما كان متوفراً له من أدبيات سياسية وعلمية آنذاك، للمواضيع الاجتماعية والتاريخية، ليسبر غور هذه الظواهر ويجد تفسيرات للوضع الخرافي السائد واللامعقول. اعتكف مع ذاته ليتحاور وإياها في الوضع العام، فكان كما قال مدير مدرسته في حينه أن:

---

(16) ذكر الزعيم عبد الكريم ذلك في خطابٍ له ألقاه في المؤتمر الأول للتربية والتعليم في 15 أيلول 1960 [ما زلت ذلك الفرد البسيط من زمرتكم، من زمرة التعليم، فقد سبق لي أن اشتغلت بمهنة التعليم مدة من الزمن وخبرت بنفسي الصعوبات والمصاعب التي يعانيها ويلاقيها أخواني وأخواتي المعلمون والمعلمات]،، مستل من ليث الزبيدي، مصدر سابق، ص 325.

المعلم عبد الكريم قاسم ملفت للنظر بوداعته وقلة كلامه وحدبه على طلابه وبعده عن أي نوع من القسوة التي كان يمارسها الكثير من المعلمين حين يستثيرهم الطلاب الأشقياء[17]] . كما أنه كان خلافاً لزملائه المعلمين، يرفض تكرار الجلوس في مضايف الشيوخ لأجل قتل وقت الفراغ بعد انتهاء الدوام الرسمي، إذ غالباً ما كان يخرج، بصحبة كتبه في أغلب الأوقات، إلى عمق الريف مستطلعاً الحياة اليومية الواقعية ومحاوراً ذاته عن المحيط الاجتماعي ومظاهره، عن هذا الوضع البائس الذي يلفه بكل أبعاد كينونته الحية.

كان يؤثر العزلة على مخالطة الناس الذين ينعدم إحساسهم بالوقت ولا يشعرون بأهميته. كما كان أميل إلى حوار النفس منه إلى حوار الغير. أكد هذه الحالة هديب الحاج حمود، الذي أصبح وزيراً في الحكومة الأولى للثورة، وكان طالباً في الصف السادس في مدرسة الشامية آنذاك، بالقول:

[إن عبد الكريم قاسم كان معلماً ناجحاً في درس اللغة الإنكليزية وكان منعزلاً عن زملائه وعن سكان القضاء، فلم يقم أية علاقة صداقة مع أي شخص في قضاء الشامية بالرغم من أن زملاءه المعلمين كانوا يترددون على مجالس الضيافة في القضاء[18]].

يقول حسن العلوي: **[لم يكن عبد الكريم قاسم في بيته اجتماعياً، ولم يكن سياسياً، كانت العسكرية عالمه كله. ولعل ذلك ساعده على عدم كشف نواياه الثورية، كما ساعدته عزلته عن الناس وميله إلى الحوار النفسي والعمل بنظرية المونولوج بدلاً من الدايلوج. ويبدو أن الأشخاص الذين مارسوا النظرية الأولى ساهموا في صناعة التاريخ، بينما لم يستطع أصحاب النظرية الثانية أن يصنعوا شيئاً لا للتاريخ ولا لأنفسهم[19]].**

---

(17) المصدر السابق، ص. 20 وما بعدها.

(18) انظر، ليث الزبيدي، مصدر سابق، ص. 324، في حين يشير مجيد خدوري دون ذكر المصدر، إلى فحوى مغاير لقول هديب الحاج حمود، عندما يذكر في ص. 103 [أن عبد الكريم قاسم لم يكن معلماً ناجحاً. إن نظرته إلى التلاميذ كانت نظرة القاسي المستبد. غير أن علاقاته هو معه كانت ودية]. إني أشك في أمانة النص المنقول من قبل خدوري الذي لم يكن موضوعياً في الجوهر مع الزعيم قاسم، كما أن سلوكية الزعيم في المدرسة أو الكلية العسكرية كانت تناقض هذا الادعاء.

(19) حسن العلوي، عبد الكريم قاسم، مصدر سابق، ص. 12

2 ـ في الحياة العسكرية:

لم ترق مهنة التدريس إلى نفسية المعلم عبد الكريم، لذا قرر تركها، رغم معارضة أقرب أصدقائه لهذا القرار، والذين كانوا يعتقدون أنها المهنة الأقرب إلى وضعه الاجتماعي والنفسي وبنيته الجسمانية التي كانت آنذاك ضعيفة متصفة بهزال عام، إضافة إلى التشنج الذي أصيبت به يده اليسرى أثناء اشتغاله بالنجارة مع والده أيام طفولته.

لكن مع ذلك ترك مهنة التدريس، واعتبرت هذه من المبادرات العملية الأولى التي نمّت عن قوة شخصيته وطموحه الذاتي، ليلتحق بالكلية العسكرية بناءً على النصيحة، المتوافقة مع مزاجه، التي أسداها له ابن عمته عبد الجبار جواد والذي كان له ذات الطموح في الانتساب للكلية العسكرية، وشد من أزرهما الضابط الطيار، محمد علي جواد، والذي تأثر به عبد الكريم قاسم، والكثير من الضباط الشباب خريجي المدرسة العسكرية العراقية، إذ كان يعتبره مثله الأعلى، حيث سار على ذات سلوكياته في التعامل مع الحياة السياسية والمهنية والمحيط الاجتماعي.

كما كان محمد علي جواد قدوته في الحياة السياسية، نظراً لما اشتهر به من روح وطنية عادت توجهات السلطة المتماهية في تحالفها مع البريطانيين الذين كان يعتبرهم سببا لتخلف الجيش العراقي وعدم تطويره وخاصة من الناحية النوعية، ولما قام به من تطوير القوة الجوية العراقية عندما أصبح أول آمر لها، ولما اشتهر به من تواضع وانضباط واحترام المراتب الدنيا من ضباط صف وجنود.. إذ [كان الطيارون وعلى رأسهم محمد علي جواد يتعاملون مع ضباط الصف والجنود معاملة سبورت أي من دون عجرفة عسكرية بيروقراطية، ولم يكن للإضراب الصامت (الذي قام به منتسبو القوة الجوية ـ ع. ن) نتائج سلبية كالطرد والملاحقة، فالروح الوطنية كانت هي السائدة بين الطيارين. أما في سائر القطعات العسكرية فالعصا هي السائدة في العلاقة بين الجنود والضباط[20]].

التحق المعلم الشاب عبد الكريم قاسم بالكلية العسكرية في خريف 1932، والتي بدأت باتباع سياسة التوسع الكمي والتطوير النوعي من خلال تحديث شروط القبول فيها، بعد حصول العراق على استقلاله السياسي (!!) وانتهاء مرحلة الانتداب عام 1932. حيث بدأت الحكومات المتعاقبة الاهتمام بالجيش باعتباره الأداة التي ستحافظ على الاستقلال

---

(20) زكي خيري، صدى السنين في ذاكرة شيوعي عراقي مخضرم، ص،. 90، دار النشر والتاريخ بلا

السياسي. ونظرا لحاجة وزارة الدفاع إلى ضباط جدد، أعلنت الكلية العسكرية عن سياسة التوسع في قبول عدد أكبر من الطلاب، خاصةً خريجي المرحلة الإعدادية.

وعلى ضوء ذلك تقدم العديد من الموظفين والمعلمين بطلبات الانتساب للكلية المذكورة، وكان من بينهم المعلم عبد الكريم قاسم، الذي قُبلَ تلميذاً فيها بتاريخ 1932.09.15. ودرس في الكلية مدة عام ونصف، وتخرج منها في 1934.04.15، برتبة ملازم ثان، ليساهم بإبداع، من ذلك التاريخ، في أغلب الحركات العسكرية التي خاضها الجيش العراقي الداخلية والخارجية، مما أهله إلى أن يمنح العديد من أنواط الشجاعة والتقدير، كان أولها لمشاركته في حركات الفرات عام1935[21].

أثناء دراسته في الكلية، اندمج عبد الكريم قاسم في الحياة العسكرية كما اندمجت هي في كل كينونته وتألق فيها بعدما استوعب موادها وأنظمتها، جديتها وانضباطها، حتى غدت العسكرية، بمفهومها الواسع، عالمه الروحي والمادي بكل شموليته، وأصبح مزاجه النفسي متلائماً وإياها بصورةٍ أدهشت أقرب المقربين إليه من الذين حاولوا إقناعه بعدم الانتساب إليها في حينه.

ولأول مرة بدأ يحس حقيقة كيانه، [**ففي هذا الجو كانت الشجاعة والانضباط هما معيار الاعتبار والتقدير وليست المنزلة الاجتماعية، وهنا استطاع أن يستعيد ثقته بنفسه، لا لشيء إلا لأنه كان تلميذاً منضبطاً قوي البنية**[22]].

كما سبق أن أظهر سجله في الكلية العسكرية، مدى جديته وتفوقه في أمورٍ لم يسبق أن تفوق فيها كما في دراسته العسكرية، مما أكسبه رضى ذاته ورؤسائه والمحيطين به من الطلبة.

---

(21) كتب آمر فوجه عندما كان آمر فصيل في الفوج الثالث تقريراً [أشاد بأخلاقه وشهامته التي فاقت حد التصور، حيث أبت وطنيته وإخلاصه أن يكون بعيداً عن فوجه عند قيامه بالهجوم على العصاة في الرميثة. في الوقت الذي كان فيه مريضاً ومصاباً بالحمى طلب منه آمر الفوج أن يتأخر في ثكنة الفوج طلباً للراحة، ولكنه أبى ذلك، وكان رأس فصيله في الهجوم، فدخل به قصر (خنيفر) قبل أي شخص آخر ـ وقد منح نوط الخدمة الفعلية لاشتراكه في حركات الفرات في 14 آب 1935] مستل من أحمد فوزي، مصدر سابق ص23. وحول الأنواط التي حصل عليها راجع الملحق.

(22) مجيد خدوري، مصدر سابق، ص. 108

ومن نافلة القول، لوحظ نمو الوعي السياسي بتوجهه الوطني العراقي النزعة لدى هذا الجيل الجديد وخاصةً بين الضباط الصغار وطلبة الكلية العسكرية، وذلك بتأثير مجموعة من العوامل الموضوعية والذاتية للبلد وللمؤسسة العسكرية. لقد لعب الضباط المناوئون لتوجهات النخب السياسية الحاكمة وقوى الانتداب آنذاك، دوراً مهماً في بث الوعي الوطني والمتشرب بروحه والمنادي بتعجيل الاستقلال السياسي. كما ركزوا على المطالبة بتطوير الجيش نوعياً وكمياً من خلال تعميم التجنيد الإجباري التي كانت ترفضه السلطات البريطانية.

كما لعب بعض أساتذة الكلية العسكرية دوراً مهماً في تعزيز هذا التوجه، منهم الضابط توفيق حسين[23]، الذي كان من خلال تدريسه لمادتي التاريخ والجغرافية العسكريتين، يركز على التوعية السياسية لطلبة الكلية. كما أنه كان يوزع عليهم الكتب السياسية التثقيفية المناهضة لبريطانيا ومشاريعها في المنطقة. وكان يكيل الاتهام بحق الشريف حسين وأبنائه بتواطئهم مع البريطانيين أثناء ما سميت ب «الثورة العربية».

بالإضافة إلى أن الظروف السياسية لتلك الفترة، التي نشأ في كنفها وترعرع الجيل الجديد من الضباط، قد شهدت مقاومة عنفيه وسلمية قويتين ضد الانتداب البريطاني وسياسته في العراق والمنطقة العربية (فلسطين تحديداً)، من قبل قاعدة اجتماعية عريضة من السكان وخاصةً في بغداد وبقية المدن الكبرى. لذا شب ذلك الجيل (ومنهم عبد الكريم قاسم) على كره السيطرة الأجنبية، التي لم توفر النفع والخير إلا لنخب الحكم وقاعدته الاجتماعية الضيقة.

في هذه الفترة المبتدئة من مطلع الثلاثينيات، اطلع الشاب عبد الكريم لأول مرة على الأدبيات التقدمية ومنها الماركسية، من خلال حلقات أصدقائه العاملين في الحقلين السياسي والأدبي، ضمن المعارضة الوطنية العراقية التي كان يتزعمها آنذاك محمد جعفر أبوالتمن ومجموعة الأهالي قبيل انشطارها إلى الاتجاهات الثلاثة التي مثلت الظاهرة

---

(23) توفيق حسين: تخرج من الكلية العسكرية في الآستانة عام 1913، تخرج من دورة الأركان عام 1927، دَرَّسَ في الكلية العسكرية العراقية منذ عام 1930، وقد كسب العديد من الطلبة المؤيدين له وكون كتلة عسكرية يربو عدد أعضائها على السبعين ضابطاً. وكان يركز على توعية الضباط بضرورة التنظيم السياسي، متخذاً من الأتاتوركية نموذجاً له ومناضلاً ضد المشروع البريطاني في المنطقة. وكان يعتبر حركة الشريف حسين من صنع البريطانيين. كما كان يدعو إلى الجامعة الإسلامية. لقد اختلف مع صلاح الدين الصباغ الذي كان من مجموعته قبل انضمامه إلى المجموعة القومية التي ترأسها لاحقاً.

التاريخية للمعارضة إبان المرحلة الملكية وهي: [الوطني - الحزب الوطني الديمقراطي؛ القومي - حزب الاستقلال واليسار - الحزب الشيوعي].

هذه القراءات وذلك الاحتكاك بالقوى السياسية وملموسية واقع الصراع الاجتماعي/ السياسي وبروز المؤسسة العسكرية كقوة أساسية في الساحة السياسية[24]، والتي كانت متأثرة بمثيلاتها في تركيا خاصة، وإيران، عوامل صاغت منه مَعلَماً عسكرياً يتفوق على زملائه في مهنته وفي تصوراته السياسية العامة وأبعادها المستقبلية. إذ يمكن اعتباره في هذه المرحلة **عسكرياً ذا أهداف سياسية**، نظراً لغلبة الأولى كمهنة ومن حيث الاهتمام والقراءة والممارسة الحياتية، لكن المعادلة ستتغير بعد عقدين من الزمن ليصبح **سياسياً بلباس عسكري، خاصة بعد مساهمتة الجدية في تأسيس حركة الضباط الأحرار وترأسه للهيئة العليا** ومن ثم قيادته لتحقيق فعل ثورة تموز وقيادته للبلد في ظروف انتقالية صعبة لبلد أصعب.

كان الملازم عبد الكريم قاسم يراقب عن كثب في منتصف الثلاثينيات، ذلك الصراع والاحتراب، الذي كان دموياً في بعض مفاصله، بين كتل النخبة السياسية الحاكمة، وبينها وبين القوى الوطنية المعارضة، والتي انعكست في بعض جوانبه على المؤسسة العسكرية وقيادتها العليا، التي انشطرت إلى كتلتين رئيسيتين هما:

- **الكتلة القومية التي كان يتزعمها العقداء الأربعة وعلى رأسهم العقيد صلاح الدين الصباغ، وكانت الكتلة تنطلق في أفكارها من أولوية عروبة العراق، دون مراعاة الواقع الاجتماعي / الإثني /الديني/ المذهبي؛**
- **والكتلة الوطنية العراقية، التي كانت ذات نزعة عراقية تؤمن بأولوية عراقية العراق وضمت العديد من الضباط المتأثرين بالنزعة الوطنية وبجماعة الأهالي منهم بكر صدقي، محمد علي جواد وغيرهم.**

لقد تأثر الملازم عبد الكريم بالكتلة الثانية بحكم مكوناته الاجتماعية ومنطلقاته الفكرية وجذوره الطبقية، ونتيجة تأثره بأفكار مدرسة الأهالي ذات النزعة العراقية، كما كان متأثراً بقائد القوة الجوية ابن عمته، المقدم الطيار محمد علي جواد الذي كان من

---

(24) حول موضوعة الجيش ودوره في هذه المرحلة راجع:
- كتابنا، الجيش والسلطة في العراق الملكي، دار الحصاد، دمشق 2000 الفصل الثالث.
- د. رجاء حسين خطاب، تأسيس الجيش العراقي وتطور دوره السياسي 1941 - 1921، ط 2، بغداد 1982، كلية الآداب جامعة بغداد

زعمائها والذي لعب أدواراً مهمة في تطوير المؤسسة العسكرية، خاصةً بعد انقلاب بكر صدقي. لكن نزعة عبد الكريم قاسم العراقية لم تجعله يتخندق في إطارها، ولم تكن ضيقة عصبوية. كما لم يضعها في تعارض مع توجهه القومي. بل مزج بينهما بصورة واعية، منطلقاً من عراقيته نحو عروبته.

في تلك الفترة بدأت تتبلور مطامح عبد الكريم قاسم السياسية وتعتمل في نفسه. وأخذ يتطلع إلى القيام بدور خطير، ومهيئاً نفسه لذلك الدور. [وأسر في نفسه على تخليص الوطن من الأوضاع الفاسدة وأضمر أن ينقذها من سيطرة الاستعمار الذي هو رأس البلايا.. وبالتالي أصر على إذكاء الروح الوطنية بين زملائه وأن يعمل بكتمان وحذر وأناة لتحقيق أهدافه، آخذا بنظر الاعتبار قوة شكيمة خصمه ومن هنا وفي هذا الوقت بالذات كانت البداية، بداية النضال وبداية الكفاح المستمر الطويل الشاق[25]].

وعمق هذا الشعور تأثره البالغ بالعقيد كامل شبيب، أحد العقداء الأربعة، عندما كان يخدم تحت إمرته، وازداد هذا الشعور عندما شاركه العمل وحارب معه أثناء حركة مايس التحررية عام 1941 [26] .

وبعد وقوع الانقلاب الأول عام 1936[27] وتأييده له، وصعود مكانة القوة الجوية

(25) عبد الكريم الجدة، ثورة الزعيم المنقذ، ص. 18

(26) بعد نجاح ثورة تموز، أصدر الزعيم قاسم في اليوم الرابع من أيلول القانون رقم 23 لسنة 1958 وأطلق عليه قانون العفو العام عن الجرائم السياسية التي وقعت في المدة من أول أيلول 1939 إلى ما قبل 14 تموز 1958، والذي بموجبه أعاد المكانة إلى العقداء الأربعة واعتبرهم شهداء للوطن، كما شمل القانون يونس السبعاوي ورشيد عالي الكيلاني وغيرهم من الضباط الأكراد الذين التحقوا بالحركة الكردية عام 1945 وأعدموا الحياة بعد استسلامهم للسلطة منهم محمد أمين در بند. كما أخذ الزعيم قاسم يرعى شخصياً عائلة كامل شبيب بعد إعدامه الحياة، حتى إنه عين إبنه الملازم عوض كامل في مقره في وزارة الدفاع وبقى ملازماً له حتى انقلاب شباط، حيث أُحيل على التقاعد وكان برتبة ملازم أول. كما عين عام 1961محمد سلمان، وزيراً للنفط، تكريماً لأخيه العقيد محمود سلمان، وتم طرده من قبل انقلابيي شباط وأودع السجن، لا لشيء سوى كونه وافق أن يكون وزيراً في حكومة عبد الكريم قاسم.

(27) لقد لاقى الانقلاب تأييداً واسعاً من الجماهير العراقية التي خرجت بعد خمسة أيام (1936.11.03) في مظاهرة كبيرة ساهم فيها لفيف من المثقفين وعلى رأسهم يوسف إسماعيل البستاني ضمت طلاب كلية الطب والحقوق ودار المعلمين العالية وجماهير غفيرة كان يقودها يوسف متي وقد ناهز عددها الخمسين ألف متظاهر وهذا رقم ذو دلالة آنذاك مقارنةً بمستوى تطور الوعي الاجتماعي وتجلياته السياسية، وكذلك بعدد نفوس بغداد.

باعتبارها سلاح المستقبل والتي طورتها حكومة الانقلاب بصورة سريعة جداً وكانت محل اهتمام وفخر عموم الضباط من خريجي المدرسة العسكرية العراقية، تقدم الضابط عبد الكريم قاسم عام 1937 بطلب نقله إليها، لكن طلبه رُفض لأنه لا يصلح أن يكون طيارا.

وبعد الانقلاب الثاني (1937.08.11) واغتيال كل من الفريق بكر صدقي وقائد القوة الجوية، واجه عبد الكريم قاسم العديد من المصاعب في عمله العسكري، نظرا لفقدان سنده وظهيره، حيث أغلقت في وجهه إمكانيات تحقيق طموحاته العسكرية، نظراً للإجراءات التعسفية التي عمدت إليها قوى الانقلاب الثاني والتي طالت كل من له صلة بالانقلاب الأول، سواءً بإنهاء الخدمة أو التنقل من الوحدات الفعالة إلى غيرها من الإجراءات. وكان من نصيب الملازم الأول عبد الكريم قاسم وابن عمته عبد الجبار جواد أن نقلا من بغداد إلى مقر إحدى الوحدات العسكرية في الديوانية.

وفي مايس/ أيار 1938 يُنقل إلى الكلية العسكرية ويُعين بمنصب آمر فصيل في سرية الدورة السابعة عشرة، حيث يتعرف فيها على العديد من ضباط المستقبل، الذين التفوا حوله لاحقاً بقصد تغيير النظام. كان من بينهم: عبد السلام عارف، عبد اللطيف الدراجي، رفعت الحاج سري، فريد ضياء محمود، إسماعيل العارف، طاهر يحيى، فاضل عباس المهداوي، أحمد حسن البكر، وصفي طاهر وغيرهم ممن لعبوا أدواراً مؤثرة في العراق الجمهوري. [وقد اشتهر بين طلابه بالجدية وأدب الحديث والتزام جانبهم والدفاع عنهم إزاء رؤسائه حقاً أو باطلاً[28]].

ويصف أحد طلابه القوميين، (اللواء فيما بعد) مدحت عبد الله، سيرة آمر فصيلهم في الكلية العسكرية وصفاته برسالة موجهة إلى خليل إبراهيم حسين حيث يقول:

[نقل إلينا في قيادة الفصيل الملازم الأول عبد الكريم قاسم الذي وجدناه ضابطاً ذا همة ونشاط كبيرين وجدياً وبشوشاً بعين الوقت، وكان يحرص على تدريبنا وتدريسنا ويحثنا على المزيد من الجهد والتدريب والدراسة، وقد تميز عن غيره من آمري فصائل الدورة بمحاضراته المتواصلة منتهزاً كل فرصة ليلقي علينا كلمة حماسية مطولة يحثنا فيها

---

(28) هكذا أورده العميد خليل إبراهيم حسين، في الجزء الأول من موسوعة 14تموز، ص. 20. علماً بان المؤلف كان من الذين يناصبون العداء للزعيم قاسم، وينطبق عليه قول د. عزيز الحاج: [أما الذين عادوا قاسماً وحقدوا عليه وحاربوه بتهمة الانحراف القومي، فإن قلة قليلة منهم فقط هي التي عدلت نظرتها القديمة، والتقييم الذي لا يزال سائداً هو تخوين عبد الكريم قاسم وتجريمه واعتباره أباً لمآسينا الراهنة أو جداً] جريدة الحياة في 16 تموز 1999.

على التمسك بالروح الوطنية، طالباً منا أن نكون ضباطاً مخلصين مسلحين بالإيمان والعلم والروح الوطنية وأن نسعى إلى تقوية الجيش بعد تخرجنا وإنقاذ الوطن من الاستعمار والتبعية واستعادة مجدنا الزاهر.

... عندما عاد منتسبو دورتنا... مررنا في طريق العودة... بمحلة البتاويين عند شارع السعدون الحالي وكانت بيوتها حديثة تتميز عن دور بغداد ويسكنها أغنياء اليهود (وغيرهم من الأغنياء ـ ع. ن) فما كان من عبد الكريم قاسم إلا أن خاطبنا قائلاً: **انظروا إلى هذه الدور إنها سوف تكون ملكاً مشاعاً لكم جميعاً في المستقبل، إن المستغلين سوف يفقدون امتيازاتهم والمحرومين ينالون حقوقهم...**

وذات يوم زارنا مفتش الجيش الجنرال ووتر هاوس وهو إنكليزي الجنسية ليفتش الدورة المتخرجة من الكلية العسكرية ووقفنا في ميدان العرض بوضع التفتيش، التفت إلينا عبد الكريم قاسم وهو واقف أمام الفصيل قبيل وصول المفتش إلى قاطعنا وقال: انظروا إلى هذا الجنرال الإنكليزي الكلب إننا إذا نؤدي التحية، نؤديها لرتبته لا لشخصه... قبيل التخرج دار حوار بين طلاب الفصيل عن أقوى شخصية بين آمري فصائل الكلية، فقال الطالب عبد القادر البهرزي **إن عبد الكريم قاسم هو أرجل ضابط في الكلية وقد أيده الباقون**][29] (التوكيد منا ـ ع. ن) .

في 1939.09.12 يتم ترقيته إلى رتبة رئيس (نقيب)، وكانت طموحاته تزداد كلما ترقّى في المؤسسة العسكرية، حيث اتضحت، إحدى أبعادها في تصميمه على الانتساب إلى كلية الأركان التي، بالضرورة، ستفتح أمامه الطريق المهني لبلوغ المناصب العليا في الجيش، والتي تمكنه من تحقيق ما كان يخطط له لعراق المستقبل. ولهذا تقدم عبد الكريم قاسم، في عام 1939 بترشيح نفسه للكلية المذكورة، ويجتاز امتحان القبول بتفوق ملموس ويصبح، بحكم النتيجة، مؤهلاً للانتساب إليها.. لكن الصراعات السياسية بين الكتلتين القومية والوطنية، ألقت بثقلها هنا ثانية وحاولت عرقلة قبوله. إذ حرضت، كما أُشيع، مجموعة العقيد صلاح الدين الصباغ القومية على عدم قبوله رغم نجاحه في امتحان القبول، نظراً لصلة القربى التي تربطه بقائد القوة الجوية السابق الذي كان من مراكز القوى في الجيش آنذاك والمحسوب على الكتلة الوطنية[30] وانتماء قاسم إلى هذه الكتلة، التي

---

(29) مستل من موسوعة14 تموز، خليل إبراهيم حسين، الجزء السادس، ص. 15و16، مصدر سابق.

(30) تم اغتيال محمد علي جواد، أثناء محاولته إلقاء القبض على قاتل بكر صدقي في الموصل. وقد تمت العملية بتواطؤ واضح بين ضباط الكتلة القومية وخاصة كتلة الضباط السبعة ←

أغلب أعضائها من خريجي المدرسة العسكرية العراقية وكانت في حالة صراع خفي ودائم مع خريجي المدرسة العثمانية، كما إن قاسم لم يكن يمت بصلة رحم بضباطها المسيطرين على المفاصل الأساسية للدولة عامةً والمؤسسة العسكرية خاصةً، ولكونه كان في البدء، حسب ادعاء محمود الدرة: قد [اشترك معنا. وكان ملازماً مثلنا في أول جمعية للضباط القوميين في سنة 1935 وكانت تلك الجمعية تسير على هدى المبادئ القومية... ولكن قاسم سرعان ما انحرف عنا ليقف إلى جانب بكر صدقي وابن عمته محمد علي جواد[31]].

لكنني أعتقد ببطلان رأي انتساب عبد الكريم إلى التكتل القومي، لأن، الدرة كان من المناوئين والمحرضين ضد الزعيم قاسم وهو من الذين شاركوا في عدة محاولات انقلابية ضده، منها في محاولة الشواف حيث صاغ بيانها الأول، كما يقول هو. كما كانت لعبد الكريم قاسم علاقات وطيدة تمتد إلى مرحلة الدراسة الثانوية مع الاتجاهات الفكرية التي كانت تبشر بها المجموعة الماركسية الأولى حسين الرحال وجماعته من خلال الأديب مصطفى علي، وما ذكره الدرة أعلاه يمت بصلة إلى الصراع غير الموضوعي الذي قاده التيار القومي ضد عبد الكريم قاسم بعد الثورة مباشرةً.

ولأجل رفض طلبه بصورة مبررة طلبت دائرة الأركان العامة، التي كانت برئاسة ضباط الكتلة القومية، إحالة عبد الكريم قاسم، دون غيره من المقبولين، إلى اللجنة الطبية لتقرير مدى صلاحيته، مدعيةً عدم قدرته نتيجة لمرض سابق ألم به. ومَثُلَ عبد الكريم أمام

← (صلاح الدين الصباغ، كامل شبيب، فهمي سعيد، محمود سلمان، حسين فوزي، أمين العمري والضابط الكردي الأصل عزيز ياملكي) وبمساعدة بريطانيا التي كان لها دور كبير فيها، نظراً لما لعبه الثنائي، كأحد الأسباب، بكر صدقي / محمد علي جواد في تطوير المؤسسة العسكرية خلافاً لرغبة بريطانيا وخارج نطاق الاتفاقية العراقية البريطانية وملحقاتها العسكرية لعام 1930. حول دور الثنائي صدقي/علي، راجع د. عبد الرحمن البزاز، العراق بين الاحتلال والاستقلال. [وقد اشتهر محمد علي جواد قائد القوة الجوية بكونه... **وطنياً شهماً وجسوراً ولم يكن يميل لدول المحور**]، زكي خيري، صدى السنين مصدر سابق، ص. 105.

(31) راجع محمود الدرة، قاسم كما عرفته، مجلة الأحد البيروتية، العدد 451 في 1959.10. 04. والتي يقول فيها أيضاً [إنني أحتفظ بصورة واحدة لعبد الكريم قاسم، نشرتها مجلة التايم الأمريكية... ولقد رأيت في هذه الصورة شخصية السفاح بمختلف نواحيها المتعددة المتناقضة... ويشعر بمركب النقص عندما يرجع إلى بيته - وهو يعيش في مجتمع متأثر بالأصل والفصل، وبالأخلاق البدوية الأصيلة العميقة الجذور، **فيرى في نفسه عربياً، وليس من أصل عربي**]. مستل من أحمد فوزي، مصدر سابق، ص 23.

اللجنة وأوضح لها ماهية طبيعة الصراعات ومسببات إحالته إليها، وإنه غير مريض مطلقاً كما ادعت دائرة الأركان. وبعد إجراء الفحوص الطبية، أصدرت اللجنة قرارها الذي نصه:

[قررت اللجنة بصراحة، أنه يتمتع بصحة جيدة وله قابلية قصوى على تحمل المشاق].

وحول هذه الحادثة كتب عبد الكريم الجدة في كتابه (ثورة الزعيم المنقذ) ما يلي:

[لقد أحسَّ رجال الحكم بوطنية الزعيم عبد الكريم قاسم وإخلاصه إلى عمله، فلم يرق ذلك للبعض منهم، فحاول أن يقف بطريق تقدمه، ووضع العراقيل أمامه، وإن كانت بوسائل غير شريفة، من ذلك انه عندما بلغهم نبأ ترشيحه للأركان، وبخاصة بامتحان القبول، وقبوله في الكلية، أرادوا إخراجه منها على طريقتهم الخاصة في مراعاة الأنظمة والقوانين، فأصدروا أمراً بـإحالته إلى الفحص الطبي دون رفاقه من الطلاب المقبولين، وألفوا لجنة خاصة لهذا الغرض. ولما تقدم إلى الفحص الطبي أمام اللجنة الطبية المذكورة، شرح لهم بكل صراحة بأن الغاية من إجراء هذا الفحص عليه، إخراجه من كلية الأركان بهذه الوسيلة. وطلب إلى الأطباء تحكيم وجدانهم في القضية، لأنه غير مريض، وليس فيه ما يمنعه من الاستمرار على الدراسة في هذه الكلية، فأصغت اللجنة إلى وحي الضمير وكان أن قررت بصراحة، أنه يتمتع بصحة جيدة، وله قابلية قصوى على تحمل المشاق[32]].

وعلى ضوء قرار اللجنة الطبية دخل عبد الكريم قاسم كلية الأركان في (1940.01.24). واستمر في الدراسة إلى غاية بداية الاحتلال البريطاني الثاني في مايس/أيار 1941، حيث تم استدعاؤه مع بقية طلبة كلية الأركان، إلى المشاركة في الحرب التحررية، وتم توزيعهم على الوحدات العسكرية لمنع القوات الغازية من احتلال البلد. وتجمعه الصدفة ثانيةً للخدمة تحت إمرة العقيد كامل شبيب بمقر الفرقة الأولى والتي استمرت إلى غاية انتهاء الحرب وفشل الحركة وترك قادتها العراق. آنذاك يعود قاسم ثانية إلى كلية الأركان لاستكمال دراسته فيها ويتخرج منها بتاريخ (1941.12.11) وينال درجة (أ) وقدماً لمدة سنتين. ومن ثم يشترك في امتحان اللغة الإنكليزية الذي أجرته وزارة الدفاع للضباط الأركان ويحصل على الجائزة المخصصة للناجحين نتيجة تفوقه في الدورة.

(32) عبد الكريم الجدة، ثورة الزعيم المنقذ، بغداد، مستل من أحمد فوزي، مصدر سابق، ص 24.

انطلاقاً من مقولة: إن الأمة تعي ذاتها من هزيمتها، فقد شكلت هزيمة حركة مايس/أيار التحررية منعطفاً في تفكير عبد الكريم قاسم السياسي وفي رؤيته إلى دور مثلث الحكم المتكون من (البلاط ورئاسة الوزارة وقوى الاحتلال ـ السفارة البريطانية)، في عدم حصول العراق على استقلاله السياسي والاقتصادي الحقيقيين وعدم إمكانية القيام بإصلاحات جذرية تنتشل واقع البلد من تخلفه العام. كما إنها أثبتت عدم إمكانية القيام بالتغيير السلمي لتداول الحكم عبر الآلية البرلمانية التي كانت ممسوخة ويتحكم فيها مثلث الحكم. لقد مثلت خسارة هذه الحرب وما أعقبتها من نتائج تمثلت في سعي بريطانيا والوصي على حل الجيش العراقي أو على الأقل، في حالة عدم التمكن، إضعافه كمياً ونوعياً إلى درجة كبيرة بحيث لا يستطيع القيام إلا بالمهمات الأمنية الداخلية، وهذا ينسجم مع ما كانت تريده بريطانيا بصدد تجسيد وعد بلفور واقعياً من جانب، ومن جانب آخر كانت هذه العملية أحد أسباب التكتل الغائي لحركة الضباط الأحرار التي بدأت منذ مطلع الأربعينيات بالتكوين الجنيني على شكل تجمعات صغيرة وقتية انفعالية وكنتاج لرد فعل تبلورت أثناء حرب فلسطين الأولى وتجسدت بشكل مادي ملموس في الخمسينيات. كما حفزت هذه الحرب على التفكير في دور التدخل الخارجي في إحباط الثورة في حالة القيام بها للإطاحة بالنظام الملكي. وقد أصبحت هذه النقطة واحدة من أهم العوامل التي أقلقت حركة الضباط الأحرار طيلة الخمسينيات وقبل إنجازهم لثورة 14 تموز 1958[33].

وتأسيساً على ذلك وغيره من العوامل، يمكننا الاستنتاج: **أن قناعة عبد الكريم قاسم بتغيير النظام قد رسخت في ذاته، أكثر فأكثر منذ ذلك الوقت، وأخذ ينظر إلى نفسه ويعدّها إلى القيام بهذا الدور الجدي في المستقبل.**

---

(33) شكل هاجس التدخل الخارجي واحدة من أهم المعضلات التي وقفت عندها الهيئة العليا للضباط الأحرار، وقد أوفد الزعيم قاسم كلاً من حسين جميل ومحمد حديد إلى الرئيس عبد الناصر، كما أوفد ممثله رشيد مطلك إلى قيادة الحزب الشيوعي العراقي، ليطلب منهم استطلاع رأي الاتحاد السوفيتي السابق والصين الشعبية حول إمكانية مساعدتهم لحماية الثورة من التدخل الخارجي وهذا ما قام به كل من سلام عادل وعامر عبد الله. حول هذه المواضيع راجع للمزيد: ليث الزبيدي، ثورة14 تموز في العراق؛ عامر عبد الله عن ثورة تموز، الثقافة الجديدة، العدد 144 لسنة 1983، كذلك مقالته، الاتحاد السوفيتي وثورة تموز ـ موقف تاريخي مشهود جريدة الغد الديمقراطي العدد 57 في أ تموز 1988؛ ثمينة ناجي يوسف ود. نزيه الدليمي، مذكرات سلام عادل، جريدة الزمان، نشرت مختصرة في ثلاث عشرة حلقة من تاريخ2000.04.17؛ للمؤلف، تموز التغير بين تحالفات الأمس واليوم، جريدة طريق الشعب، العدد 9 آذار 1998.

في الوقت نفسه أخذت قوة شخصيته القيادية بالبروز والنمو رويدا رويدا، وينال الإعجاب والتقدير من رؤسائه، الذين كان يواجههم بأخطائهم وتصرفاتهم بصورة مباشرة، وأغلبهم كانوا من الضباط العثمانيين/ إذ [كان الكثير من ضباط الجيش آنذاك لم يكونوا قد تلقوا غير التعليم الابتدائي[34]]. مما جعله في موقع التقدير وفخر زملائه من خريجي المدرسة العسكرية العراقية. حتى إن آمر جحفل اللواء الثالث قد كتب في تقريره السنوي بعد الحركات الفعلية التي جرت في زيبار في عام 1945 بأن عبد الكريم قاسم [**ضابط ركن خلوق جداً، وكريم النفس، شهم، مخلص، دقيق في أعماله وثقافته العامة جيدة جداً من كافة الوجوه وسوف يكون في المستقبل من ضباط الجيش القديرين[35]**] . وأكد نفس المضمون آمر لوائه للعام ذاته عندما كتب: [**إنه رقيق القلب، عفيف اللسان لا يبالي بالمتاعب الجسمية والفكرية ما دامت متعلقة بالواجب[36]**].

في عام 1947 يسافر عبد الكريم قاسم إلى لندن، وهي المرة الأولى التي يسافر بها إلى خارج العراق، لغرض معالجة الشق في شفته العليا، ويلتقي أثناء السفرة بالشاعر الكبير محمد مهدي الجواهري الذي كان ضمن وفد نظمته الحكومة البريطانية لمجموعة من الصحفيين العراقيين لزيارة لندن[37]، وقد اصطحب الزعيم قاسم الجواهري في جولاتهما المنفردة، وأثناء مراجعة الجواهري للأطباء لغرض الترجمة. وقد كان الزعيم قاسم معجباً أيما إعجاب بالجواهري وشعره وبالكثير من مواقفه السياسية.

---

(34) راجع حنا بطاطو الطبقات الاجتماعية والحركات الثورية، مؤسسة الأبحاث العربية، ترجمة عفيف الرزاز، بيروت 1990، الجزء الثالث، ص. 98.

(35) راجع فالح الشاوي، زعيم ملهم وقائد عظيم، ص. 17، دار اليقظة العربية، بغداد 1962. مستل من جمال مصطفى مردان، عبد الكريم قاسم - بداية السقوط، المكتبة الشرقية، بغداد 1989، ص 17

(36) المصدر السابق، ص. 17.

(37) حول هذا الموضوع راجع سليم طه التكريتي، محمد مهدي الجواهري، دار الريس، لندن 1986. وقد أشار الجواهري في مذكراته إلى هذه المقابلة، وذكرها في الجزء الأول، ص. 473، حيث يقول فيها: [في الملحقية العسكرية بلندن... كانت بعثة عسكرية خاصة تضم ملحقين وموفدين من ضباط يتسابقون عليّ ويحجزني الواحد بعد الآخر من أرادني... وكان بينهم ضابط شاب، كان من دونهم، أشد إلحاحاً عليّ بأخذ حصة أكبر أو الحصة الكبرى من الجلسات واللقاءات، من جملة ذلك أن اصطحبني إلى بيته وهو شقة متواضعة بملحقاتها.
هذه «الدويرة» شهدت ثلاث لقطات، تصح أن تكون على بساطتها ذات كلمة ومغزى، لما سيكون لهذا الرجل من دور خطير في تاريخ العراق... لم يكن هذا الضابط أحداً آخر سوى «عبد الكريم قاسم».

3 ـ في حرب فلسطين الأولى:

ساهم عبد الكريم قاسم بكل جدارة في حرب فلسطين الأولى عامي 1948 ـ 1949، وكان برتبة مقدم ركن. وقد غيرت هذه الحرب ومجراها والنتائج التي تمخضت عنها، كثيراً من مواقفه، سواءً إنضاج الظرف الذاتي لنفسه أو لحركة الضباط الأحرار، وكذلك الموقف الحاسم من العائلة الهاشمية المالكة.

لقد أظهر في هذه الحرب مقدرته القيادية وانضباطيته العالية وكفاءته العسكرية، التي نالت إعجاب زملائه الضباط، وفي الوقت نفسه حقد القيادة العربية العليا عليه، التي أحالته مرتين إلى هيئة تحقيق بدفع، على الأرجح، من البريطانيين، لأنه كان يخالف أوامر وخطط هذه القيادة المتواطئة مع القوات البريطانية والقوات الصهيونية. حتى أخذت سمعته تنتشر وأمست [... **تمجد بطولة عبد الكريم قاسم، وأن حركة فوجه كانت رائعة ومثلاً تحتذي به الجيوش العربية...**] حتى إن [... **القيادة العراقية اعتبرت عبد الكريم قاسم هو السبب في خرق الهدنة والتحرش باليهود وخلق مواقف لم يخطط لها، ولم ترض عنها القيادة**[38]].

وإزاء مواقف المقدم الركن قاسم وتصميمه على محاربة القوات الصهيونية وسمعته العسكرية، فقد وزعت هذه الأخيرة منشوراً تحريضياً ألقته عبر الطائرات، ضد الجيش العراقي عامة وعبد الكريم قاسم خاصةً حيث حملته المسؤولية المباشرة في زج فوجه في معارك لا طائل منها [39] . ويؤكد هذه الحالة الكاتب الإسرائيلي اليعازر بعيري بالقول:

[**خدم في فلسطين ما بين 1948 ــ 1949، واشترك في القتال الذي وقع للاستيلاء على مركز بوليس جيشر. وقاد قوات كفر قاسم. وكان من الضباط العراقيين القلائل الذين استطاعوا كسب تعاطف عرب فلسطين** [40]].

اشتهر عبد الكريم قاسم في هذه الحرب، التي صهرت مكوناته النفسية والسياسية، حتى [**إنه كان يخلق المواقف ويقوم بفعاليات وتحركات في مختلف أنحاء جبهة فوجه، وكان يرسل دوريات القتال بصورة مستمرة، وذات يوم قام اليهود بهجوم مباغت على ربايا فوجه وتمكنوا من احتلال بعضها، فقام الفوج بهجوم مقابل وتمكن من استعادتها وطرد اليهود منها**[41]].

---

(38) العميد خليل إبراهيم حسين، موسوعة 14 تموز، مصدر سابق، الجزء 6، ص. 46.

(39) راجع صورة زنكغرافية للمنشور أعلاه في المصدر السابق، ص. 52.

(40) اليعازر بعيري، مصدر سابق، ص 172.

(41) العميد خليل إبراهيم حسين، الموسوعة، الجزء 6، ص 55، مصدر السابق

كما تذكر بعض المصادر أن الزعيم قاسم قام بإعداد خطة لفك الطوق عن الجيش المصري المحاصر في النقب، من دون الحصول على موافقة القيادة العليا للجيوش العربية، التي كانت قيادتها العملية بيد الضابط البريطاني كلوب باشا. لكن لم يستطع تنفيذها لمعارضة بعض الضباط لها.

وعلى ضوء كل ذلك نال عبد الكريم قاسم شكر القيادة العسكرية العراقية مرتين، كان الأول في (1948.06.14) وبرقم 349، ومحتواه الشكر على جهوده المنطوية على العزم والجرأة؛ في حين كان الثاني في (1948.08.24) وبرقم 266، ومضمونه يخص الأعمال المنطوية على الشجاعة التي قامت بها قطعاته في صد العدو واسترجاع المواقع التي احتلها وتكبيده خسائر لا بأس بها واغتنام أسلحة منه.

أظهر سجله العسكري في تلك الحرب، مدى اهتمامه **بشؤون الجنود وضباط الصف** الذين كانوا تحت إمرته، الذين، في عين الوقت، بادلوه التقدير والإعجاب، وأطاعوه بوعي في تنفيذ المهمات التي كان يلقيها عليهم. وكان غالباً ما يكون بينهم أثناء القتال، وهذا ما أشار إليه أغلب الذين رافقوه في تلك الحرب:

[مما ساعد على ترصين شخصية عبد الكريم، رغم اهتزازها (!!! ـ ع. ن)، سلوكه الذي تميز بمساعدة الفلسطينيين وكسب صداقاتهم والحنو عليهم ومد يد العون للمناضلين والمعوزين اللاجئين الذين شردهم اليهود من ديارهم وخاصة لاجئي اللد والرملة الذين سلمهم كلوب باشا إلى اليهود بعد دخول الجيوش العربية... ولم يسمع عن عبد الكريم أنه شارك أحداً في مجلس شراب، رغم ندرة هذه الفرص في فلسطين... كما أنه امتنع عن تناول أي كحول مدة بقائه في فلسطين.

كان عبد الكريم قاسم كريماً للغاية... وكان يوزع بعض راتبه على من يستحق المساعدة، وحتى كان يدفع قيم طعام ضيوفه من الضباط في مطعم الضباط على غير ما تعارف عليه الجيش[42]].

---

(42) المصدر السابق، ص. 74 ـ 75. لقد طفقت سمعة الزعيم عموم وحدات الجيش العراقي لفترة طويلة بعد حرب فلسطين، ننقل أدناه ما ذكره عامر عبد الله عن لسان أحد قواد الفرق في منتصف الخمسينيات. يقول: [كان الحزب (الشيوعي ـ الناصري) يقوم باستطلاعات واسعة للتعرف على القوى المساندة والمناوئة للحركة في صفوف الجيش، وأذكر من ضمن مساعي الحزب في هذا المضمار محاولة استكشاف موقف قائد الفرقة الثانية في كركوك، صالح زكي توفيق، وبالفعل فقد نظم لقاء معه على العشاء في دار كمال عمر نظمي في خريف 1956، وأجرى معه حواراً طريفاً يتناسب مع طبيعته الهازلة. **فقد أشار إلى أنه ــ شأن جميع العسكر في العراق ــ على حد قوله ــ ليسوا فرساناً في هذه القضية الخطيرة، التي تحتاج إلى ←**

يقيم مجيد خدوري سلوكية الزعيم قاسم في هذه الحرب بالقول:

[ولم يكن اشتراك قاسم في حرب فلسطين 1948 ـ 1949 بأقل أهمية من سائر اختباراته العسكرية. فالضباط العراقيون لم يشتركوا في العمليات العسكرية في تلك الحرب اشتراكاً فعالاً بسبب طبيعة المهمة العسكرية التي أنيطت بهم، ولكن على الرغم من هذا فإن قاسم وجد في تلك الحرب سانحة لإظهار كفاءته وشجاعته وحسن اهتمامه بشؤون الجنود الذين كانوا تحت إمرته. ويظهر سجله العسكري في تلك الحرب أنه كان موضع ثناء على شجاعته وانضباطه. كما كان موضع تقدير الجنود والضباط على السواء»[43]].

ويميط اللثام عن دور قاسم في تلك الحرب، خليل إبراهيم حسين بالقول:

[ولكن يجب أن نعلم أن ما كان يتحدث به المراتب والضباط عن بطولاته وشجاعته لم يأت من فراغ ولم يكن بلا أساس وواقع بنيت عليه الدعاية وما أرادت أن تبنيه. لقد كان عبد الكريم قاسم شجاعاً وجريئاً حقا... فشجاعة عبد الكريم قاسم لا ينكرها أحد ولنضرب الأمثلة التالية:

1 ـ نظم في 12 تموز مفرزة من فصيل مدفع جوال (25 رطل) وفصيل مشاة وحظيرة رشاشات فيكرس وقاد المفرزة بنفسه وعبر بها نهر الأردن من جسر الشيخ حسين جنوب القطاع وقصفت مستعمرات العدو الواقعة غرب الأردن (بيسان) و(ماعوز حاييم)، قصفاً شديداً وأوقعت في أرتال سياراته خسائر فادحة... ثم عادت في الساعة الرابعة بعد الظهر إلى مواضعها الأصيلة في القطاع. وفي صباح اليوم التالي 7/13 أعاد الكرة على بيسان وماعوز حاييم... فكانت أعمال هذه المفرزة في يومي 12و13 تموز مثالاً من أمثلة الاندفاع والجرأة.

2 ـ في 20 أب... تسلم آمرية الفوج المقدم الركن عبد الكريم قاسم الذي التحق بنفس اليوم. وفي ذلك المساء هاجم العدو مواقع (كفر قاسم)... واستطاعت

←علم وفلسفة ـــ كما هو الحال بالنسبة إلى عبد الناصر وجماعته. ولكنه استدرك (وكان هذا أمراً باعثاً على الدهشة بأن شخصاً واحداً فقط يستطيع أن يفعل شيئاً وهو عبد الكريم قاسم.. وأنه مستعد لتأييده. ثم بدأ يطري على جسارته في القتال إبان حرب فلسطين ويؤكد بأنه مغامر من طراز فريد!]، راجع الثقافة الجديدة، العدد 144، تموز 1983، ص. 20.؛ كذلك عبد الله جدوع، مولد زعيم، ص. 18 شركة التجارة والطباعة، بغداد 1959، مستل من ليث الزبيدي، مصدر سابق، ص. 325.

(43) مجيد خدوري، مصدر سابق، ص. 106

بعض المفارز المعادية التي تقدمت من المجدل أن تقترب من مواضع الاحتياط في كفر قاسم من الجناح الجنوبي. أما مفارز العدو المتقدمة من رأس العين فقد احتلت بيارة (بستان ـ ع. ن.) المختارة داخل المعسكر البريطاني وطردت المناضلين منها ليلة 20 ـــ 1948/8/21. ولم يمهلهم آمر الفوج الجديد عبد الكريم قاسم، وإنما قام بهجوم مقابل سريع استمر حتى الساعة الخامسة من صباح 8/21 واستطاع طرد العدو والسيطرة على الموقف واسترجاع أبنية المعسكر البريطاني الشمالية وبيارة المختارة وكذلك التلول في جنوب قرية كفر قاسم/ ولم يتكبد الفوج سوى 4 جرحى.

3 ـ هاجم الإسرائيليون ليلة.27 ـ 28 آب ربايا المناضلين الموجودة بين دير بلوط وكفر قاسم وأسندوا الهجوم بنيران الهاونات والرشاشات وأجبروا المناضلين والجنود على ترك بعض الربايا. إلا إن عبد الكريم قاسم لم يمهلهم في هذه المرة أيضاً فاستخدم قسماً من احتياطه واستطاع بإسناد المدفعية أن يهاجم العدو ويسترجع جميع الربايا في معركة استمرت طيلة 8/28...

4 ـ في 48/8/26 تمت مقابلة بين المراقبين الدوليين والجانب العراقي الذي مثله المقدم الركن عبد الكريم قاسم... (مع عدد من الضباط ـ ع. ن.) ومثل الجانب الإسرائيلي عدد من الضباط. وكان المراقبون الدوليون مزودين بخرائط مؤشرة تأشيراً مغلوطاً (قيل أنها أشرت بموافقة كلوب باشا)... وكانت تعني التخلي عن أراضٍ يدافع العراقيون عنها وتسليمها إلى الإسرائيليين... فرفض الممثلون العراقيون أن يتنازلوا عن شبر واحد. وهدد الإسرائيليون.. بأنهم سيعمدون إلى استخدام القوة في فرض مطلبهم وأنهم سيحتلون أبنية المعسكر وأراضي جديدة، بل سيحتلون حتى كفر قاسم. وكان جواب الضباط العراقيين وعلى رأسهم عبد الكريم قاسم: حبذا لو حاولتم ذلك، لنلقنكم الدرس الذي تستحقون. وفعلاً نفذ العدو تهديده بالهجوم على المواقع العراقية، لكن فوج عبد الكريم قاسم وبمعاونة جحفل اللواء الأول لقنهم الدرس الذي يستحقونه وفشل الهجوم فشلاً ذريعاً[44]].

وهكذا خرج قاسم من حرب فلسطين وهو أحد أبطال هذه الحرب غير المتكافئة في مستوى القرار السياسي الذي أدارها.

أما على [صعيد إنضاج الظرف الذاتي لحركة «الضباط الأحرار»، فقد كانت هذه

---

(44) اللواء الركن خليل سعيد، تاريخ حرب الجيش العراقي في فلسطين، مستل من خليل إبراهيم حسين، الموسوعة، الجزء السادس، ص. 71 ـ 76، مصدر سابق.

الحرب أحد الأسباب الأساسية لتشكيل مثل هذه التنظيمات... لقد مثلت هذه الحرب وطبيعة إدارتها؛ والنتائج التي تمخضت عنها؛ وتواطؤ الزعامة العربية الحاكمة وتخاذلها؛ وازدياد نفوذ ودور السياسة البريطانية... واستراتيجيتها المؤيدة لإسرائيل والداعمة لقيامها؛ وتخلف الجيوش العربية في معداتها وقيادتها وغيرها من العوامل، التي أدت إلى انبعاث فكرة «الضباط الأحرار»... وتحديداً في فلسطين كجغرافية موقع ودافع[45]].

4 ـ في حركة الضباط الأحرار:

ساهم الزعيم قاسم في تأسيس أول تنظيم للضباط الأحرار من نوعه في العراق، حيث ضَم الكثير من الضباط الساخطين على سير هذه الحرب وتواطؤ أنظمة الحكم العربية آنذاك[46]. تقول بعض المصادر، وإن لم يتم تأييدها من آخرين، أن العقيد الركن نجيب الربيعي ترأس هذا التكتل، الذي ضم العديد من الضباط منهم: المقدم الركن عبد الكريم قاسم؛ المقدم الركن طارق سعيد فهمي؛ النقيب رفعت الحاج سري؛ الرائد الركن عبد الوهاب الأمين؛ الرائد الركن داود الجنابي؛ الرائد طاهر يحيى؛ النقيب محسن الرفيعي؛ الملازم الأول خليل إبراهيم حسين وغيرهم من الضباط. وقد كان هذا التكتل، الأكثر سعةً، وتفهماً لواقع العراق وارتباطاته القومية من تلك الكتل التي تأسست في السابق وخاصة في الثلاثينيات.

أصدر التكتل بياناً ضد الحكام العرب ودورهم في هذه الحرب. وكان موقعاً باسم (تكتل الضباط الوطنيين). والذي [**بانضمام عبد الكريم قاسم إلى تنظيم الضباط الأحرار، بدأت مرحلة جديدة سيلعب فيها دوراً بارزاً ومميزاً**[47]].

---

(45) د. عقيل الناصري، الجيش والسلطة في العراق الملكي، مصدر سابق، الفصل الرابع.

(46) لا يعتقد كثير من الباحثين وبعض الضباط الأحرار بوجود مثل هذا التنظيم وكثير من الدراسات، وخاصةً ذات المنحى القومي، ترى أن بداية حركة الضباط الأحرار بدأت بعد النجاح السهل للثورة المصرية 1952.

(47) العميد خليل إبراهيم حسين، الموسوعة، الجز السادس، ص. 68، مصدر سابق. علماً إن هنالك أراء تناقض ما ذهب إليه المؤلف بصدد الربيعي وترأسه للتنظيم، إذ يستبعد مجيد خدوري حتى انضمامه إلى التنظيم. يقول: [وكان إسهام الربيعي في نشر فكرة الحركة الثورية في الجيش نعالاً... **ومع هذا فالربيعي لم ينضم إلى حركة الضباط الأحرار، إلا أنه كان يتعاطف معهم،** ولذلك لم تكن هناك مشكلة بالنسبة لرئاسة مجلس السيادة بعد الثورة بوجود الربيعي]، العراق الجمهوري ص. 106، مصدر سابق.

حسب قناعتي.. يمكن القول إن هذا التنظيم كان بمثابة الشكل الجنيني لحركة الضباط الأحرار.. اختلف عن التنظيمات الوقتية والعاطفية، إن جاز التعبير، السابقة من حيث الأبعاد والأهداف والنضج الذاتي للضباط أنفسهم وكيفية التنظيم. وفي الوقت نفسه، أستطيع القول إنه كان يمثل الإرهاصات الجنينية الأولى لظاهرة حركة الضباط الأحرار لاحقاً. لآن هذا التنظيم لم يستمر بكل مكوناته، بل تشظى إلى كتل اختلفت من حيث الأهداف والمرامي، ومن حيث العمق والشمول ومن النظرة الفلسفية/ الفكرية المتناشزة والمتنافرة. كذلك من حيث الولاء والنظرة الأحادية لواقع تاريخ والتركيبة الاجتماعية للعراق.

وتدلل الوقائع التاريخية لظاهرة (حركة الضباط الأحرار) أن هذا التنظيم وبالقيادة التي تشكل منها، سرعان ما انفرط عقده بعد رجوع الجيش العراقي، وتوزعت قيادته الرئيسية ما بين الاعتكاف عن العمل السياسي/ التنظيمي، أو البحث عن مجاميع أخرى أكثر تقارباً فكرياً. في الوقت الذي استمر بصورة انفرادية بعض أعضاء التنظيم، ومنهم عبد الكريم قاسم في عمله التنظيمي وترأس مجموعة أخرى، عُرفت، فيما بعد اصطلاحاً، باسم (تنظيم المنصورية)، والاسم مستنبط من موقع اللواء التاسع عشر، الذي عمل فيه الزعيم قاسم، في معسكر منصورية الجبل في محافظة ديالى.

تميز هذا التنظيم ببرنامجية متطورة مقارنةً بالتنظيمات الأخرى، إذ عكس الأهمّ من مطالب الحركة الوطنية المعارضة، المعبر عنها اجتماعياً وإن لم تكن بصورة جذرية، والمنطلقة من واقعها العراقي والتي تجاوزت الجوانب العاطفية والولاء الذاتوي، والأهداف المستقبلية البعيدة غير القابلة للتحقيق في الأمد المنظور، وتلك الناجمة عن ردود الفعل الآني ومسببات التكوين التي كان عليها التنظيم الأول المذكور أعلاه[48].

بعد عودة الجيش العراقي إلى معسكراته واعترافاً بما أظهره سجل المقدم الركن عبد

---

(48) يقول عامر عبد الله أن عبد الكريم قاسم، طلب في صيف عام 1956، بواسطة رشيد مطلك، من الحزب الشيوعي معرفة رأيه في ما عزم القيام به من ثورة، ومعرفة مطاليبه ومقترحاته، لأنه قد حدد وقت المباشرة بالانقلاب في مناورات الخريف القادم. [... كانت المقترحات التي قدمناها إلى قاسم برنامجاً متكاملاً تقريباً لسائر أهداف الحركة الوطنية. وقد نُشرت في طريق الشعب قبل تسع سنوات (العدد 249 في 14 تموز 1974 بعنوان حين كانت الثورة تطرق على الأبواب، ص 4 ـ الناصري)... كان بضمنها: الخروج من حلف بغداد، إجلاء القوات البريطانية، إلغاء اتفاقية الأمن المتبادل مع الولايات المتحدة، وبالتالي تصفية جميع الارتباطات والمواقع الاستعمارية. كما تضمنت ضرورة استئناف العلاقات الدبلوماسية مع الاتحاد السوفيتي وتوثيق التضامن مع مصر وسوريا ودعم القضية الفلسطينية وثورة الجزائر... الخ. ←

الكريم قاسم في عمله العسكري إبان تلك الحرب، رشحته رئاسة أركان الجيش، في عام 1950، إلى دورة تعبئة الضباط الأقدمين في إنكلترا للمدة من (1950/10/04) إلى (1950/12/22) وقد ساهم قاسم في هذه الدورة بجدية عالية حصل على تقدير ممتاز.

وعن دراسته في هذه الكلية يذكر أحد الكتاب ما يلي:

[كان الحصول على الشهادة من كلية الحرب البريطانية أملاً وامتيازاً لكل الشباب لما لها من سمعة عسكرية جيدة في فن القتال ودراسة طوبوغرافية الميدان في القتال. وكان في هذه الكلية تقليد أن يكون الاختبار عملياً ولذا كان اختبار الدورة المائة والثلاثين يتمثل في سؤال واحد هو: اكتب خطة مفصلة لاحتلال عاصمة بلادك؟

وحين وزعت ورقة الأسئلة، استجاب كل شباب الدورة من مختلف أصقاع الدنيا، إلا ضابطاً واحداً أمسك بورقة الأسئلة وقام صارخاً

لا لاحتلال بغداد.

أتعرفون من هو ذلك الضابط؟

عبد الكريم قاسم...[49]].

لقد أثارت هذه الزيارة لديه اهتمامات عديدة شملت مختلف نواحي الحياة الإنكليزية كان في مقدمتها طبيعة الحياة الاجتماعية وكيفية حل أزمة السكن، كما أخذ يقارن بين مستويات المعيشة للطبقات الكادحة في كلا البلدين وهو المهووس بمحاربة آفة الفقر في بلده. إذ كان يرى أن أحد أسباب انتشارها في العراق يكمن في بريطانية ذاتها،

← وبالطبع جرى التأكيد في المطالب على إطلاق سراح السجناء وإطلاق الحريات الديمقراطية وتطبيق حل ديمقراطي للقضية الكردية وطائفة من المطالب المتعلقة بتوزيع الأراضي على الفلاحين وتلبية حقوق العمال ومكافحة البطالة وحل مجلس الأعمار وانتهاج سياسة وطنية مستقلة معادية للاستعمار. وفي مقدمة المطالب التي قدمت لقاسم، وفي مختلف مراحل الاتصالات معه، كنا نؤكد على حق التنظيم السياسي والنقابي وعلى شرعية الحزب الشيوعي والأحزاب الوطنية الأخرى. وكانت استجابة قاسم وقتذاك هي: اعدوا منذ الآن لافتة لتضعوها على مقر حزبكم]. الثقافة الجديدة، العدد 144، تموز 1983، ص. 15 - 17. ينفرد عامر عبد الله في سرد هذه الموضوعة بالتفصيل، والتي توحي للقارئ كما لو أن برنامج الزعيم قاسم، والذي طبقت كل مفرداته بعد الثورة مستوحى مما قدمه هو كذات، كما أن قراءة متأنية للبرنامج أعلاه، توضح مدى تشابهه من حيث الجوهر وما ذكره محسن حسين الحبيب عن أهداف الثورة التي درستها الهيئة العليا للضباط الأحرار.

(49) طالب خزعل القطان (عاجل.. رسالة إلى مناضل) جريدة الوفاق العدد 222 في 11 تموز 1996 لندن

التي كانت تستحوذ على التراكم الاقتصادي المتحقق فيه، نتيجة العلاقات التجارية والمالية غير المتكافئة بينهما وتأتي سلعة النفط، ذات الطبيعة الخاصة، في أولويات ذلك..

عاد عبد الكريم من لندن وهو محمل برؤى جديدة لحلم التغيير الذي أخذ يتعمق في كينونته ويعمل من أجل تحققه.. لذا بدأ بجد أكثر في تنظيم الضباط وإقامة العلاقات معهم ومع القوى الوطنية والأحزاب السياسية القريبة من نمط ومنطلق وهدف تفكيره.

تجلى بعض أوجه هذا النشاط فيما لعبه عبد الكريم قاسم من دور في انتفاضة تشرين عام 1952، وذلك في توعية الضباط الذين احتلوا الشوارع في مدينة بغداد، بعدم التصدي للمتظاهرين والمنتفضين ضد الحكومة الملكية التي فشلت سياستها الاقتصادية في تخفيف العبء المادي للعوز عن كاهل الأغلبية الساحقة من الشعب، وكذلك في تدخلها الفض في تعطيل الآلية البرلمانية وتزوير نتائجها. يكتب عبد الكريم الجدة عن هذا الدور بالقول:

[لما وجد الشعب العراقي أن حكامه الطغاة قد تمادوا في غيهم، أعلنوا وثبتهم في تشرين الثاني 1952 على الحكم الجائر ومن ورائه الاستعمار، مما أدى إلى سقوط وزارة مصطفى العمري. وأصبح عبد الإله ونوري السعيد ومن لف لفهم في حيرة من أمرهم، أمام غضبة الشعب وراحوا يفتشون عن وزارة تنقذهم من الموقف المتأزم، فكان أن تألفت برئاسة الفريق الركن نور الدين محمود الذي بقي محتفظاً بمنصبه مما أسند إلى نفسه وزارتي الدفاع والداخلية. ولكن الشعب لم يثق بهذه الوزارة فاستمر في تظاهراته العدائية ضد الحكم القائم، وشملت هذه المظاهرات أغلب مدن العراق ولم ير صاحب المناصب الخطيرة الأربعة الفريق الركن نور الدين محمود، إلا أن يجلب لواء المشاة الأول الذي كان بـإمرة العقيد رفيق أحمد القامجي من المسيب ويزج به في الشوارع حسب خطة أمن بغداد لتفريق المتظاهرين وإن أدى ذلك إلى فتح النيران على الأهلين. ولما علم الزعيم عبد الكريم قاسم الذي كان يشغل منصب العضوية لزمرة التدريب في مديرية الحركات العسكرية، صمم على أن يحول دون هذه الإجراءات التي ستؤول ولا شك إلى سفك دماء أبناء الشعب[50]، لذلك أخذ ينتقل بين القطعات في جانبي

---

(50) صدر الأمر التالي:

إلى موقع بغداد

تفرق كافة الاجتماعات والمظاهرات بعد إنذارهم بالرمي.

24/ 11/1952 — الزعيم الركن عبد الوهاب الأمين

قائد القوات

الكرخ والرصافة طالباً منها تحاشي تصويب الرشاشات وفوهات البنادق على المتظاهرين وأن لا يوجهوها أيضاً نحو الشرفات والشبابيك لئلا يصاب أحد فيها، وقد كان الضباط والجنود الذين يعرفونه حق المعرفة ويكنون له الحب والاحترام، منذ أيام حرب فلسطين التي قاد فيها فوجين على التوالي من اللواء الأول المذكور، فتجاوبوا مع رغبته ونزلوا عند إرادته.

غير أن الفريق نور الدين محمود الذي وصلته أخبار موقف عبد الكريم قاسم المشرف من المتظاهرين، ثارت ثائرته واستدعاه على الفور... استطاع الزعيم عبد الكريم قاسم، تعديل سجية نور الدين محمود من حالة الغضب للهدوء، وأن يكتفي بنقله إلى منصب معاون مدير العينة، يريد إبعاده عن قيادة الوحدات وتجميده في هذا المكان[51]...].

وهذا العمل الواعي شارك فيه كذلك عدد من قياديي حركة الضباط الأحرار، مثل محي الدين عبد الحميد الذي قال [... أثناء عبور القطعات إلى بغداد، وكنا نوصيهم بعدم إطلاق الرصاص على المظاهرات، لأن المتظاهرين أبناؤنا وأولادنا وأهلنا. وكان الاتجاه استخدام التخويف لحل المشاكل[52]].

ويتكرر موقف عبد الكريم قاسم ثانيةً في عام 1954، أثناء فيضان بغداد المشهور في تلك السنة، وذلك عندما حاولت إحدى كتل الضباط الأحرار قبل توحيدها وتكوين هيئتها العليا، القيام بحركة عسكرية تطيح بالسلطة والنظام في ذلك الوقت العصيب. لقد تمت مفاتحة عبد الكريم قاسم بالموضوع الذي استقر لواءه التاسع عشر في بغداد للعمل على درء الفيضان عن بغداد. في البدء وافق على المساهمة التي ستناط باللواء الذي تحت إمرته. لكن رفض المساهمة والفكرة أساساً بعد أن درس [**كل المسالك المفتوحة أمامنا لنجاح الثورة، فظهرت جسامة المخاطر وعظيم المجازفة غير المحسوبة إذا أعلنت الثورة. لأنه ما دام الاعتماد الكلي على عنصر المشاة المطلوب يعتمد عليه لواءه، فهو لم يدرس ضباطه جيداً لأنه حديث العهد بالالتحاق باللواء ولم يمض عليه سوى ثلاثة أشهر تقريباً. والثورة تتطلب دراسة الضباط جيدا لمعرفة الموثوق بهم من غيرهم.. والأهم من هذا أنه يخشى على بغداد من الغرق، فيما إذا تحركت الوحدات للسيطرة على المراكز الحساسة في الدولة كوزارة الدفاع ودوائر البريد والجسور وغيرها، ولم يبق من يدرأ**

---

(51) عبد الكريم الجدة، ثورة الزعيم المنقذ، ص. 19 - 20، مصدر سابق.

(52) الذاكرة التاريخية لثورة 14 تموز، ص. 28، دار آفاق عربية، بغداد 1985

خطر الفيضان عن مدينة بغداد، فتعم الفوضى ويحدث النزوح وتتحول الثورة إلى كارثة وسيصفنا التاريخ بأننا مخربون بدل وصفه لنا بالمصلحين[53]...].

بعد عودته من سفرة لندن، خدم الزعيم قاسم في وحدات مختلفة كان بعضها في المقر العام والبعض الآخر كانت وحدات ضاربة خارج بغداد. منها الفرقة الثالثة التي كان قائدها غازي الداغستاني، الذي كتب في الخمسينيات في أحد تقاريره السنوية عن عبد الكريم قاسم ما يلي:

[إنه ضابط ممتاز بالأمانة والحرص على أداء واجبه وإدراك التبعات الملقاة على عاتقه[54]].

ومن نافلة القول أن عبد الكريم قاسم [كان موضع تقدير وثناء **بالنسبة لما كان يتحلى به من شجاعة وانضباط وصبر إلى جانب ما كان يتميز به من طموح وتفرد في الرأي. وهي صفات وخصائص مكنته من بلوغ الرتب العالية في الجيش. على الرغم من أن هذه الصفات لم تكن ملحوظة في أدوار حياته الأولى... وإذا كان قد توافرت له خصائص وصفات يمكن لها أن تترك أثراً حسناً في نفوس رؤسائه، فإن هذه الخصائص والصفات كان يحجبها إما الحياء أو الارتياب في مجتمع كان يخجل من الانتماء إليه..[55]].**

كما سبق أن قلنا، جاهد قاسم منذ مطلع الخمسينيات، في تحقيق فكرة التكتل الغائي

---

(53) خليل إبراهيم حسين، الموسوعة، الجزء السادس، ص. 97، مصدر سابق. رغم أن المؤلف يحاول لوي عنق الوقائع بغية الإساءة لعبد الكريم قاسم، عند سرده لها حيث يذكر أن الدوافع وراء رفض عبد الكريم قاسم للمساهمة في المحاولة هذه التي اقترحها رفعت الحاج سري، هو عدم الاستجابة لمطلب عبد الكريم بعد نجاح المحاولة لتعيينه رئيساً لأركان الجيش.. هذه الرأي سيؤدي ليس إلى تقزيم دور قاسم بل ظاهرة الضباط الأحرار برمتها.. شاء المؤلف أم أبى.

(54) أنظر فالح الشاوي، زعيم ملهم وقائد عظيم، ص. 27، مصدر سابق

(55) مجيد خدوري، مصدر سابق، ص. 107، رغم أن الزعيم قاسم لم يكن يخجل من هذا الانتماء، إذ كان يفخر به. بل إن النظرة الطبقية لزملائه الطلبة في الإعدادية المركزية أبناء النخب الحاكمة كانت تجعله أكثر انطوائية، لكنها لم تعوق إبراز مواهبه، بحيث أكمل دراسته بتفوق عليهم وهذا ما أشار إليه بعض أساتذته راجع أحمد فوزي، عبد الكريم قاسم في ساعاته الأخيرة، مصدر سابق. ص. 20، كذلك مشتاق طالب، أوراق من أيامي 1900 - 1958، ص. 568، دار الطليعة بيروت؛ كذلك عبد الكريم الجدة، ثورة الزعيم المنقذ ص. 5. مصدر سابق.

للضباط الأحرار[56]، لتمثل جوهر الظاهرة الجديدة للتطور النوعي للمؤسسة العسكرية، إذ كانت أجواء العراق الداخلية والخارجية وما حدث في المنطقة برمتها، قد ألقت على الضباط الواعين والمسيسين مهمة جديدة تتمحور في عودتهم الثانية (مقارنة بالثلاثينيات) لولوج الفعل السياسي المباشر والتأثير على الأوضاع العامة بغية الارتقاء بها وتطويرها، عبر تصحيح مسارات القرار المركزي للدولة وتحقيق أسس الوحدة الوطنية ومقوماتها على قاعدة المشاركة الواعية لكل الأطياف للتكوين الاجتماعي العراقي.

لقد مثلت الفكرة أعلاه الهاجس المركزي للزعيم قاسم آنذاك، وقد ساهم جدياً في العمل بين مختلف الكتل لأجل توحيد ما أمكن أو على الأقل التنسيق فيما بينها وتصفية هواجس الارتياب المتبادل بينها وبين التجمعات السياسية المدنية والأفراد المستقلون.

من المعروف الآن، أن التكتلات العسكرية بدأت تتفشى في الجيش بزخم كبير وبسرية مطلقة وبنوعية عالية جديدة المضمون والشكل، منذ عودته خائباً من حرب فلسطين الأولى، والدخول غير المعلن للأحزاب السياسية في رحم المؤسسة العسكرية وخاصة الحزب الشيوعي وبعض أجنحة التيار القومي وعلى الأخص، حزب الاستقلال.

لقد تشكلت على أنقاض كتلة الضباط الوطنيين وبمعزلٍ عنها في الوقت ذاته، العديد من الكتل وإن اختلفت من حيث بدء نشاطها وماهيات غائياتها وأهدافها، ومن حيث حجمها وقوة تأثيرها، ومن حيث منطلقاتها الفكرية، منها:

- **كتلة المنصورية؛**
- **كتلة رفعت الحاج سري ــ رجب عبد المجيد** التي تطورت فيما بعد إلى،
- **كتلة القادة أو (تنظيم بغداد)** الذي أطلق عليها لاحقاً بعد انضمام كتلة المنصورية، **اسم الهيئة العليا للضباط الأحرار؛**
- **كتلة الضباط الصغار** التي سميت بعد الثورة باللجنة البديلة أو الوسيطة والتي كانت مرتبطة بالهيئة العليا؛
- **كتلة إسماعيل علي ومجموعة الديوانية** التي اندمج أغلب أعضائها لاحقاً في التنظيم التالي؛

(56) لن نتطرق بالتفصيل إلى هذه الموضوعة هنا، بل سنخصص لها بحثاً مستقلاً وموسعاً لاحقاً.

- **كتلة اللجنة الوطنية لاتحاد الجنود والضباط، ذات التوجه اليساري**، والتي أخذ يشرف عليها لاحقاً التنظيم العسكري للحزب الشيوعي العراقي وكان من أبرز عناصرها إبراهيم حسين الجبوري وفاضل البياتي وموسى إبراهيم وغيرهم.
- كما كان مرتبطاً بهذه الكتلة، منذ بدء تشكيلها فحسب، **تنظيم آخر هو تنظيم الديوانية** ومن أبرز أعضائه جهاد عبد الواحد الاطرقجي، الذي ترك العمل لاحقاً، إحسان مهدي البياتي وحسن الوائلي وعبد والوهاب الشواف، ستار سبع العبوسي، إبراهيم اللامي، سامي مجيد وغيرهم[57].
- كما تشكلت كتل صغيرة، غير فعالة ذات علاقات محلية ضيقة، **مثل كتلة الموصل** وكان من أبرز عناصرها محمود عزيز ومجيد الجلبي وحازم حسن.
- وتشكل **تنظيم آخر في لواء الناصرية (مقر اللواء الرابع عشر) تزعمه العقيد شاكر محمود شكري** وكان ذا توجه قومي. وظل يعمل بعيداً عن عمل التنظيمات الأخرى.

تشير عديد من المعطيات أن عبد الكريم قاسم كان يعمل بجد بين الكتل الفعالة ذات الأهداف الوطنية العامة ويحاول التنسيق بين مواقفها قدر الإمكان، في حالة تعذر توحيدها. وبعد توحيد كتلتي المنصورية وبغداد منتصف عام 1957، نسق الزعيم العمل مع التنظيم العسكري الشيوعي من خلال عامر عبد الله وكمال عمر نظمي، إذ اتفقا على مساندة بعضهم البعض الآخر عندما يقوم أحد الطرفين بحركة ما[58].

وفي الحقيقة أن هذا الاتفاق سرى مفعوله فيما بين أغلب كتل حركة الضباط الأحرار، حتى بين أعضاء الهيئة العليا إذا انفرد بعض أعضائها بالتحرك نحو قوى سياسية موجودة في الساحة كحزب الاستقلال والوطني الديمقراطي وإلى حدٍ ما مع حزب البعث..

دفعت حالة التعاون هذه، ببعض الكتاب إلى الاستنتاج بأن الزعيم قاسم كان عضواً في التنظيم الشيوعي[59]. (اللجنة الوطنية لاتحاد الجنود والضباط). في حين أميل، حسب

---

(57) راجع جرجيس فتح الله، العراق في عهد قاسم، آراء وخواطر، 1958 - 1988، الجزء الثاني، ص 496 - 522، دار نبز للطباعة والنشر 1989 السويد.

(58) راجع المقابلة المطولة بين عامر عبد الله وحازم صاغية المنشورة في العددين الثاني والثالث 1992من مجلة أبواب، التي تصدرها مكتبة الساقي في لندن،

(59) راجع زكي خيري وسعاد خيري، دراسات في تاريخ الحزب الشيوعي العراقي، ص. 261، ط 1 ، 1984 مكان النشر والدار بلا.

الأدلة التاريخية المتوفرة، إلى وجود علاقة تنسيق بين الكتلتين، إذ أن هذه الكتلة الأخيرة وبرنامجها يحمل أفكاراً أكثر راديكالية ومتياسرة جداً مقارنةً بكتلة المنصورية والهيئة العليا للضباط الأحرار، واسمها دليل على ذلك، حيث تعطي الدور الأول لقاعدة المؤسسة العسكرية (الجنود) وليست لقيادتها (الضباط) من جهة. كما أن الضباط القادة (رتبة عقيد فما فوق) عادة ما يقيمون صلات مع زملاء لهم بذات الرتبة أو قريب منها وليس مع الرتب الدنيا من جهة ثانية. لذا كانت العلاقات بين الكتلتين علاقات تنسيق وليس انتماء، كما أُرجحها وكانت من خلال وصفي طاهر[60] وإسماعيل علي وفاضل البياتي وإبراهيم حسين الجبوري وموسى إبراهيم، وسعيد مطر وحامد مقصود وغيرهم. وكان الأخير قد عمل تحت إمرة الزعيم قاسم وعضواً في تنظيمه أيضاً إذ كان رسوله إلى الضباط في بعض الأحيان..

تشير تاريخية حركة الضباط الأحرار إلى أنه منذ منتصف الخمسينات بدأت عملية التوحيد والتنسيق بين الكتل الأساسية المختلفة، وأول ما بدأت، بصورة فوقية، بين تنظيم الزعيم قاسم (المنصورية) وتنظيم القادة[61]، التي سبق أن تكونت بعد أن آثر كل من رفعت

---

(60) كان وصفي طاهر عضواً فعالاً في الهيئة العليا وله علاقات متينة حسب اعتقادي مع اللجنة الوطنية لاتحاد الجنود والضباط.

(61) [اجتمع في أواخر عام 1956 كل من: العقيد الركن محي الدين عبد الحميد والعقيد الركن ناجي طالب والعقيد الركن محسن حسين الحبيب والعقيد المهندس رجب عبد المجيد والمقدم الركن عبد الكريم فرحان والمقدم الركن صبيح علي غالب والمقدم وصفي طاهر والرائد الطيار المتقاعد محمد سبع وتخلف عن الحضور العقيد الركن عبد الوهاب الأمين والرائد رفعت الحاج سري، وقرروا تشكيل الهيئة العليا] ليث الزبيدي، مصدر سابق ص. 109. وبعد توحدها مع كتلة المنصورية، توسعت الهيئة، وأصبح قوامها يتألف من خمسة عشر عضواً، إذ أضيف إلى قوامها: الزعيم الركن عبد الكريم قاسم، العقيد الركن عبد السلام عارف، العقيد طاهر يحيى، العقيد عبد الرحمن عارف، وجميعهم من تنظيم المنصورية، والمقدم الركن عبد الوهاب الشواف.

علماً بأن رفعت الحاج سري لم يجتمع ولا مرة مع الهيئة العليا، لا قبل انضمام الزعيم ولا بعده، والسبب يعود في اعتقادي، إلى كون طموحات الرجل العالية وحب الزعامة كانت تصطدم برتبته العسكرية الصغيرة مقارنةً بالرتب العالية لأعضاء الهيئة الآخرين بالإضافة إلى اختلافه معهم من حيث التجانس الفكري والثقافة العالية لدى بعضهم. لذا فضل أن يرعى التكتلات الأصغر من حيث الرتب العسكرية وفي الوسط الذي يحقق طموحه. كما حدث بعد إن جُمد نشاط الشواف في الهيئة العليا وألف كتلة من الضباط ترأسها رفعت الحاج سري عرفت باندفاعها وعدم تقيدها والتزامها.

←

الحاج سري ورجب عبد المجيد العمل بصورة مستقلة بعضهما عن الآخر، مع تنسيق العمل المشترك بينهما كأفراد خارج إطار الكتلة، مع احتفاظ الأخير بعمله ضمن تنظيم القادة.. وله صلة شخصية مع الأول.

تكون محور كتلة القادة، في البدء، أواخر عام 1956 من رجب عبد المجيد الذي انتخب سكرتيراً لها ومحي الدين عبد الحميد رئيسا وناجي طالب نائباً. وقد توسعت الهيئة العليا للضباط الأحرار، بعد انضمام الزعيم قاسم إليها[62] وتم انتخابه رئيسا لها، ليس لأنه أعلى رتبة عسكرية وحسب، بل أيضاً لأنه:

- ذو كفاءة عسكرية مشهودُ لها،

- وسمعته طيبة جداً بين الضباط،

- كما أنه كان يتولى وحدة عسكرية ضاربة،

- وله ثقافة سياسية واسعة وكان الأكثر نضجاً بين القادة العسكريين،

- بالإضافة إلى ترأسه لكتلة عسكرية كبيرة نسبياً تضم العديد من الضباط القادة والآمرين.

وبعد تشكيل قوام الهيئة العليا ارتبطت بها الكتلة (الوسطية أو البديلة، أو هيئة الظل)[63]، من خلال عضو الارتباط رجب عبد المجيد في البدء ثم أصبح عبد السلام عارف في الأشهر الأخيرة قبل الثورة. بعد ذلك بدأت المحاولات الجدية لتغيير النظام الملكي، إذ جرت سبع محاولات قبل نجاح الثورة..[64].

من جانب آخر ونتيجة للخلافات، الفكرية والتنظيمية داخل الهيئة العليا، وعدم الإسراع في محاولات تنفيذ الثورة والتأجيل المستمر لها، فقد أخذ التذمر ينتشر بين صفوف الضباط الأحرار الأدنى رتبة بحيث بدؤوا يضغطون على الهيئة العليا بصورة

← كان العقيد رفعت الحاج سري، ولا يزال، يعتبر الأب الروحي لضباط التيار القومي الذين اعتبروه المؤسس الأول لحركة الضباط الأحرار. ولكن في الحقيقة والواقع كان المؤسس الأول بالنسبة إلى هذا التيار، وليس للحركة عامة، إذ إنه، حسب قناعتي العلمية، كان **من المؤسسين الأوائل** لها إذ سبق أن كان عضوا في التنظيم الذي تألف في فلسطين...

(62) من دون أن يكشف أسماء أعضاء كتلته، حسب ما كان متعارف عليه في ذات الهيئة العليا.

(63) كل هذه المسميات أطلقت عليها بعد نجاح الثورة.. من قبل أعضاء الهيئة القيادية لذات الكتلة.. راجع الذاكرة التاريخية لثورة 14 تموز، أفاق عربية 1987.

(64) حول هذه المحاولات وتفاصيلها، راجع دراسة ليث الزبيدي، مصدر سابق.

ملحة، لكن دون استجابة من هذه الأخيرة، مما خلق حالة من التذمر والانشقاق وشيئاً من عدم الثقة، والأهم انفراد بعض الأعضاء بالقيام بمحاولات فردية دون موافقة بقية أعضاء الهيئة العليا..

على خلفية هذه الحالة حدث اتفاق ضمني جوهره تأييد أعضاء الهيئة لأية محاولة يقوم بها بعض الأعضاء.

على ضوء ذلك قرر بعض [الضباط الأحرار من أعضاء اللجنة الوسيطة وبعض أعضاء الهيئة العليا تشكيل هيئة جديدة تأخذ على عاتقها مهمة تفجير الثورة. فعقد اجتماع في أوائل كانون الثاني 1958 بين الضباط الأحرار التالية أسماؤهم: المقدم رفعت الحاج سري (كان متقاعد آنذاك ـ ع. ن)، العقيد الركن عبد الوهاب الشواف والمقدم الركن وصفي طاهر (لم يدرس في كلية الأركان ـ ع. ن.) والمقدم نعمان ماهر الكنعاني، والرائد حسن مصطفى النقيب والرائد خزعل السعدي والعقيد عبد الغني الراوي والرائد طه ياسين الدوري والرائد خليل العلي، وقرروا تشكيل هيئة جديدة من الضباط المجتمعين، تأخذ على عاتقها مهمة القيام بالثورة، لأن اللجنة العليا أخذت تعج بالخلافات الشخصية والمبدئية وعاجزة عن القيام بحركة ناجحة[65]].

وإزاء هذا الوضع والتردد، إن لم نقل الشلل، الذي أصاب العديد من أعضاء الهيئة العليا، الذين سنحت لهم فرص عديدة ليتولوا قيادة وتنفيذ الثورة، لكنهم لم يستغلوها. وقد استطال سعيهم لتحقيق الفكرة أكثر مما ينبغي بحجج مختلفة مثل «عدم استكمال

---

(65) ليث الزبيدي، مصدر سابق، ص. 130. كما أشارت إلى هذا التنظيم ثمينة ناجي يوسف ود. نزيه الدليمي في ملخص كتابهما لسيرة سلام عادل، مصدر سابق، حيث جاء فيه على لسان ثمينة ناجي يوسف / زوجة ورفيقة سلام عادل: [جاء إلى بيتنا، عضو المكتب السياسي جمال الحيدري عصر يوم 11 أيار/ مايو 1958 وأبلغني (ثمينة) أن العمل العسكري سيتفجر هذه الليلة وقال لي، بلغي الوجوه العلنية التي تعرفينها بضرورة المبيت خارج بيوتهم، فسألته هل أنت متأكد من حصول ذلك في هذه الليلة؟ قال إن شاء الله لأن ربعنا كثيرون فيها. وكانت خلفيات الموضوع كالتالي: اجتمع عدد من الضباط الأحرار في بيت الرائد كامل الشماع في أوائل شهر كانون الثاني عام 1958، وقرروا تكوين هيئة جديدة لقيادة الثورة، تتكون من العقيد عبد الوهاب الشواف والمقدم رفعت الحاج سري والمقدم وصفي طاهر والرائد ماهر الكنعاني والرائد حسن مصطفى النقيب والعقيد عبد الغني الراوي والرائد خليل العلي والرائد خزعل السعدي والرائد طه ياسين الدوري والرائد كامل الشماع، واتخذوا قراراً بإعلان الثورة عند مرور أي قطعات عسكرية ببغداد يقودها أحد الضباط الأحرار.] راجع جريدة الزمان، الحلقة الأولى، في 2000/4/6

الاستعدادات»، أو «غير ملاءمة الظروف» بالإضافة إلى الخلافات التي نشأت بينهم، والتطير والشكوك بين بعضهم البعض الأخر.

في هذا الظرف بدأ الزعيم قاسم التفكير بانفراد كتلة المنصورية وأنصاره الاقربين من الكتلة الوسطية ومن كتلة اتحاد الجنود والضباط، بتنفيذ الثورة دون انتظار اتفاق الآخرين التام من أعضاء الهيئة العليا. وهذا ما تحقق في يوم 14 تموز بصورة مباغته وبكتمان مفرط حتى بالنسبة إلى زملائه في الهيئة العليا..

كانت خطة الثورة التي وضعها الزعيم قاسم تتكون من ثلاث حلقات:

الأولى وهي التي نفذها عبد السلام عارف بنجاح صبيحة 14 تموز، أما الحلقة الثانية فقد كان المفروض تطبيقها في حالة فشل الأولى وكان مناط تطبيقها بأحد أفواج الفرقة الثالثة في بعقوبة بعدما سيطر عليها عناصر من الضباط الأحرار من تنظيم المنصورية واعتقال قائدها غازي الداغستاني. وقد قام بهذا العمل النقيب قاسم الجنابي من ضباط الهندسة الذي سيطر بالفعل على مقر قيادة الفرقة الثالثة وفقاً للحلقة الثانية من خطة الثورة التي وضعها عبد الكريم قاسم. [وبعد الاستيلاء على المحطة اللاسلكية للفرقة الثالثة وعلى دائرة البريد وجسر ديالى، وأعد جماعتين لقطع الأسلاك التلفونية بين بعقوبة وبغداد، الواحدة منها لا تعرف الثانية ضماناً للتنفيذ، بحيث إذا عجزت الأولى عن أداء مهمتها كانت الأخرى قد قامت بها... وقد أنجزت الجماعات المختلفة الواجبات الملقاة على عاتقها على أتم صورة. وبذا أصبحت الفرقة الثالثة تحت سيطرة اللواء التاسع عشر، وقد جرى ذلك قبل حركة اللواء العشرين من جلولاء.

تحرك اللواء العشرون من جلولاء فوصل بعقوبة وكان بانتظاره الزعيم عبد الكريم فبين للضباط الأحرار أن كل شيء قد تم على ما يرام. فغازي الداغستاني قد جرى حجره والفرقة بكاملها قد أصبحت تحت سيطرته وما عليهم إلا أن ينفذوا خطة الثورة بدون تردد، فالفرصة مواتية من كل الوجوه وأعطاهم التوجيهات الأخيرة وأمر بتوزيع العتاد على الجيش بعد اجتياز موقع خان سعد[66]].

وبعد حركة اللواء العشرين من بعقوبة نحو بغداد، أمر الزعيم قاسم اللواء التاسع عشر بكامل عُدده وعُدته، بالتوجه نحو بغداد، وكانت هذه الحركة تمثل الحلقة الثالثة لخطة الثورة، وكان متأهباً لخوض المعركة فيما إذا فشلت المحاولتان السابقتان، وكذلك لتعزيز

---

(66) عبد الكريم الجدة، ص. 67، مصدر سابق. يبعد خان سعد 30 كم عن بغداد.

موقف اللواء العشرين إزاء احتمال زحف القوات المعسكرة في المسيب، التي كانت بإمرة شقيق رئيس أركان الجيش رفيق عارف والمناط بها تطبيق خطة أمن بغداد لإجهاض أي تحرك مناهض للحكم. وهذا ما كان عليه الحال حيث دخلت طلائع اللواء التاسع عشر إلى مدينة بغداد بعد سماع البيان الأول.

لهذا السبب تأخر الزعيم من دخول بغداد إلى حدود ما بعد العاشرة صباحاً، إذ تحركت قواته بعد منتصف الليل باتجاه بعقوبة/ بغداد بحجة رسمية مضمونها وجود تمرين ليلي للواء. وقد سبق أن أجل الزعيم قاسم هذا التمرين إلى تلك الليلة لكي يتزامن مع حركة اللواء العشرين المتوجه عبر بغداد إلى الأردن. والتي سبق أن تأجلت حركته مرة قبل ذلك التاريخ.

كان الزعيم قاسم يطبق خطة الثورة بشكل تعليمات تمثل أجزاؤها المجتمعة الخطة الواسعة لتنفيذ الثورة.. كما كان كل عنصر رئيسي يستلم التعليمات ولم يكن يعلم بتفاصيل الخطة إلا بذلك القدر المناط بتنفيذه. وقد أقرنت الخطة بأن لكل وحدة تنفيذية دليلاً لها يقودها إلى هدفها الواجب تنفيذه. وأهم هذه الأهداف كانت: قصر الرحاب، قصر نوري السعيد، البلاط الملكي، وزارة الدفاع، الإذاعة، دائرة التلفونات المركزية، دار رئيس أركان الجيش وغيرها من المفارق والطرق والجسور الهامة.

لقد ساند الثورة، منذ ساعاتها الأولى وبصورة جدية، بقية أعضاء الهيئة العليا غير المبلغين بالثورة وبساعة الصفر، وبعض ضباط الكتلة البديلة وكذلك بعض الأعضاء من كتلة اتحاد الجنود والضباط، التي شارك عديد من أعضائها في الهجوم على قصر الرحاب وخاصةً عندما تأزم الموقف فيه، منهم: (عبد الرزاق غصيبة، عبد الله مجيد، وساندهم معنويا العقيد سلمان الحصان وغيرهم من ضباط الصف)، الذين كانت مشاركتهم قد حسمت الموقف لصالح الثورة خاصةً عند قصر الرحاب.

كما أحبط بعض أعضاء الكتلة الأخيرة من الضباط، صبيحة الرابع عشر من تموز، التحرك الذي قاده رشيد مصلح التكريتي في اللواء الرابع عشر في الناصرية لإجهاض الثورة واعتقلوه. وفي الوقت ذاته ساهم بعض أعضائها، كوصفي طاهر، كمرشدين للوحدات الزاحفة للسيطرة على المراكز الحساسة في بغداد مثل: قصري الرحاب ونوري السعيد ومحطة الإذاعة وقوة الشرطة السيارة ومركز الاتصالات والتلفونات وغيرها من المواقع.

وهكذا برهن قاسم وفي كل الظروف على أنه أكثر جرأة واستعدادا للمخاطرة، والدليل على ذلك إصراره على مواصلة العمل والمحاولات العديدة التي قام بها لتفجير الثورة

ومنها محاولات تنطوي على قدر كبير من المجازفة المضمونة. لقد أثار دهشة زملائه مرة بعد أخرى بإصراره على استغلال إحدى المناورات للواء الذي كان بإمرته لتصفية الملك والوصي والسعيد عن طريق سحقهم بالدبابات.

لقد سنحت فرص عديدة لغير عبد الكريم قاسم ليتولوا قيادة وتنفيذ الثورة.. لكن سعيهم قد استطال لأنه خلافاً لزملائه الآخرين استطاع الانتقال من حيز الإمكان إلى حيز العمل.

كان قاسم من الرجال البادئين نتيجة امتلاكه سمات جعلته الأقدر من بين زملائه على تلمس متطلبات الضرورة التاريخية في مرحلته.. لأنه رأى أبعد من زملائه حاجة التغيير، كما أن رغباته في التغيير كانت الأقوى منهم.. بمعنى آخر كان نشاطه العملي هو التعبير الشعوري عن ذلك المجرى الضروري.. وهنا تكمن قوته التي بـإصراره تحول الطموح المقترن بدوافع الأنساق الفكرية وبالرغبة، إلى حقيقة فكانت ثورة 14 تموز.

ثانياً: في الأفكار والممارسة السياسية

1 ـ نظرة أولية لمنطلقات عبد الكريم قاسم الفكرية ومبادئه:

في البدء لابد من التأكيد أن الزعيم قاسم كان رجل عمل، ويعتمد جوهرياً في مقياس حكمه على النتائج الملموسة، ولم يكن رجلاً منظراً أو مفكراً مثالياً مجرداً، يبحث في حركة المفاهيم المجردة وسريان مفعولها وقوانين وسنن التطور في الواقع الاجتماعي، أو بالأحرى لم يكن معنياً بها ولا حتى مؤهلاً للبحث فيها. كما لم يكن رجلاً مصلحاً يستطيع إعداد مخطط طويل المدى.. **قدر كونه ألزمه منطق منطلقه الواقعي حدود الاختيار الصعب المتوائمة والمتزامنة مع واقع العراق آنذاك.**

كان قاسم يتمتع بتفكير عملي ويسعى إلى تحقيق أهدافه بالوسائل المتاحة. ويدرك مقدار تعقد المشاكل للظاهرة العراقية، وتعلم (أثناء الحكم) كيف يعالجها مستعيناً بالمختصين وأهل الدراية. ساعده في بلوغ ذلك ذكاؤه ورغبته في التعلم. ورغم التزامه الفكري والأخلاقي بمنطلقاته الأساسية، فهو لم يكن مصلحاً خيالياً.

كان الزعيم قاسم يتمتع بميزة عملية جوهرها أنه لم يكن يتحدث، وهذا خلافاً لزعماء مرحلته، عن المشاريع الكبيرة والبعيدة المدى غير المنظورة.. ولم يستند إلى الشعارات الكبيرة، كأسلوب لإدارة الحكم وتهدئة الوضاع الاجتماعية. ولذا كانت أساليبه واقعية ومستنبطة من الواقع المادي لعراق منتصف القرن العشرين، رغم قوة تيار الصراع الاجتماعي الموضوعي والمصطنع، سواء الناجم عن حركة التغيير التي قادها ومحاولاته

لتعميقها أو تلك التي فُرضت عليه من خارج أوالية البناء الداخلي.. لقد حاول قدر الإمكان السيطرة على أوالية فعاليات الظواهر وحراكها السياسي وكبح جماح اندفاعها بغية استكمال ما بدئه ضمن الرؤى الزمنية المنظورة. دون الاعتماد على الأيديولوجيات. وقد أدرك الكثيرون ذلك بعد فوات الأوان.

إن السياسة العملية لإدارة الحكم التي انتهجها الزعيم قاسم بعد الثورة، أفصحت عن ملامح مشروع اتصادي / سياسي[67]، مستنبط من واقع الظروف المادية ومعطياتها الاجتماعية، ومن واقع جغرافية العراق وتحالفاته الإقليمية وانتمائه العربي. **إذ كان يستمد مقوماته من فكرتين أساسيتين هما:**

- **الهوية الوطنية العراقية؛**
- **وفكرة المساواة.**

وكانت ترجمتهما الواقعية عناوين رئيسية انصبت على:

- **محاربة الفقر واجتثاث مسبباته المادية، والاهتمام بالطبقات الاجتماعية الكادحة والمنتجة؛ والحد من التفاوت الطبقي الحاد؛**
- **وتحقيق مبدأ تكافؤ الفرص ما أمكن لكافة المكونات الاجتماعية والقوى السياسية؛**
- **وإلغاء النوازع الطائفية والعنصرية؛**
- **تحقيق الاستقلال السياسي والاقتصادي وتحرير الثروات الطبيعية من هيمنة المراكز**

---

(67) عندما نشرت دراستي الموسومة [قراءة أولية في المشروع القاسمي] عام 1995في جريدة الغد الديمقراطي العددان 120و121، أثار العديد من الكتاب اعتراضات وردود فعل ينفون، دون أساس موضوعي، وجود مثل هذا البرنامج.. إني اتفق جزئياً في هذا النفي، إذا كان المفهوم ينصب على مقارنة مشروع قاسم ببرامج الأحزاب السياسية أو المجموعات العقائدية.. لكن في الوقت نفسه كان لقاسم نسق من الأفكار المستهدفة، يجمعها جامع مشترك، مستنبطة من [برنامجين سياسيين وليس برنامجاً سياسياً واحداً. الأول، كان البرنامج الذي وضعته الهيئة العليا للضباط الأحرار والثاني هو برنامج الحزب الوطني الديمقراطي] د. عبد الخالق حسين، ص. 179، مصدر سابق. هذا من الناحية النظرية.. ومن الناحية العملية فقد كانت المشاريع الاقتصادية التي شرع ببنائها وفق الاتفاقيات الاقتصادية مع مختلف دول العالم والاتحاد السوفيتي والصين أبرزها.. تمثل الإطار العملي لمشروعه.. تستكمل حلقاته من خلال تركيب مفرداته في الحقول الأخرى سواءً النفطية أو الزراعية أو المالية، وكذلك تلك في الحقول الاجتماعية والثقافية والسياسية.

الرأسمالية العالمية؛

ـ بناء وتعزيز مرتكزات الوحدة الوطنية بامتدادها الطبيعي نحو الأمة العربية؛

ـ مساندة حركات التحرر وتبني سياسة الحياد الإيجابي الذي جوهره [حياد فعال إيجابي يعادي كل ألوان الاستعمار والسيطرة الأجنبية، ليس في البلاد العربية فحسب، وإنما في العالم أينما وجد].

كما كمن جوهر السياسة الخارجية للزعيم قاسم في خمسة مبادئ هي:

ـ المحافظة على الاستقلال الوطني وتعميق مكوناته؛

ـ الحياد الإيجابي؛

ـ العلاقات المتكافئة بين الدول؛

ـ ترسيخ التضامن العربي والتكامل الاقتصادي كخطوة ضرورية للوحدة العربية؛

ـ دعم حركات التحرر.

كانت سياسته الخارجية انعكاساً جدلياً للوضع الداخلي،، منها على سبيل المثال الموقف السليم الذي وقفه العراق في مساندة كوبا في أزمتها المشهور عام 1961، خير دليل يُضرب هنا. كذلك الموقف من القضايا العربية الملتهبة آنذاك وعلى رأسها: الفلسطينية[68]، والجزائرية وحركة التحرر في مسقط وعمان وغيرها، بحيث أثارت حفيظة ومصالح المراكز الرأسمالية العالمية التي هددته بالقضاء عليه بعدما لم تستطع احتواءه، وقد رد عليها بالقول:

[إلا أنني لا أقول ذات الشيء حيال الإنكليز والأمريكيين. فما الذي لم يفعله

---

(68) يذكر د. عبد الخالق حسين عن موقف قاسم من القضية الفلسطينية بأنه [فسح المجال أمام الشباب الفلسطيني للتدريب والعمل في الجيش العراقي ومعاهده. كما اقترح قائد الثورة تأسيس الدولة الفلسطينية في الضفة الغربية التي كانت تحت حكم الأردن وقطاع غزة الذي كان تحت حكم مصر آنذاك. فعارضه بشدة الحكام العرب وعلى رأسهم جمال عبد الناصر. ولو تحقق هذا الاقتراح وتأسست الدولة الفلسطينية آنذاك، لكانت تحظى بالاعتراف والشرعية الدولية ولما استطاعت إسرائيل احتلالها عام 1967 وإلغاءها كدولة ولما حصل من كوارث فيما بعد].، ثورة 14 تموز العراقية، مصدر سابق، ص. 54

(69) راجع آخر تصريح للزعيم قاسم لجريدة لوموند الفرنسية في الخامس من شباط 1963، والذي نشرت مجلة أصوات ترجمته العربية في العدد رقم 13. سنة1993، باريس.

هؤلاء لكي يستعبدوا العراق ولكي يحكموا قبضتهم على ثرواتنا؟ والأدهى من ذلك أنني استلمت قبل بضعة أيام مذكرة تهددني فيها واشنطن بفرض عقوبات ضد العراق، إذا تمسكت بمواقفي. ولا أدري كيف يعطون لأنفسهم الحق باستخدام لغة كهذه[69]].

يحاول الكثيرون النظر إلى الزعيم قاسم كرجل عسكري من بلدان العالم الثالث، ذي ثقافة محدودة ولا يتمتع بأي أفق سياسي، وأنه يعبد السلطة لذات السلطة، وذو نزعة بونبارتية[70]. إن هذا الرأي غير متكامل، لأنه ينظر إلى نصف الكأس الفارغ، ويعتبره كله فارغاً. انه الخواء المنهجي والنظرة الضيقة المشوبة بالموقف المسبق والمتحيز. وما يدحض هذه الفكرة، هو ما تمتع به الزعيم قاسم من قدرة على قيادته السرية لحركة الضباط الأحرار، رغم المراقبة الكثيفة وانكشاف بعض حلقاتها، ومن ثم قيادته لفعل الثورة وعدم معرفة استخبارات القوى الغربية بها والتي كانت لها الباع الطويل في شؤون الجيش آنذاك[71]. كما أن قيادته السياسية للبلد في أصعب الفترات وبأقل ما يمكن من عنف وقسوة. وأخيراً، وليس آخراً، عمق النجاح الذي تحقق لواقع تطور العراق. هذه كلها أدلة مادية على كون الرجل سياسياً ناجحاً، يختلف جذرياً عن الجمهرة الواسعة من سياسيي العراق السابقين له واللاحقين بعده، وكذلك بالنسبة لبلدان العالم الثالث ناهيك عن حكامهم العسكريين.

وإذا انطلقنا من مبدأ تقييم زعامة كائنة وليست على ما يجب أن تكون، **فإن ما تمتع به الزعيم قاسم من خصال ومقدرة، يسمح لنا بتقييمه على أنه:**

- من القادة السياسيين الذين غيروا واقع تاريخية ومستقبل العراق، وهذا مستنبط من؛

- كون تجربته واحدة من أغنى التجارب في العالم الثالث عامةً والمنطقة العربية خاصةً على أمدها القصير، [إن ثورة 14 تموز، هي الثورة الحقيقية الوحيدة في الوطن العربي] حسب قول مكسيم رودنسون، والتي مثلت مواجهة حقيقة في جوهر

---

(70) البونبارتية، هي من مظاهر مرحلة الانتقال وليس شكلاً انتقاليا للدولة ونظامها السياسي، ومن سماتها تعزيز سلطة الدولة ومركزيتها المقترن بالتوجه العنفي نحو النظام الرأسمالي. وقد كانت تعني في البدء مناهضة الثورة وتعبر عن مصالح البرجوازية الكبيرة المستندة إلى الطغمة العسكرية. وبمعناها الأوسع إنها الدكتاتورية المستندة إلى قوى العنف المنظم والمناهضة لديمقراطية فئات اجتماعية متعددة ومتنافرة المصالح في الوقت نفسه.

(71) راجع بهذا الخصوص «رأي غازي الداغستاني بعبد الكريم قاسم» الوارد في الصفحة 178 من هذا الكتاب.

ممارستها العضوية تجاوزت الواقع العراقي نحو الأمة العربية وبمصداقية فاقت ما كان مطروحاً آنذاك من سياسات قومية البعد[72]؛

- **ولكون سياسته انطلقت في مسيرتها من مبدأ (من الشعب ولأجل الشعب) الذي هو أذكى من السجال الفارغ. إذ كان [يعبد الشعب العراقي بعد ربه ويعتبر خدمة الشعب غاية دونها الغايات الأخرى]. حتى إنه في أحلك المواقف عبر عن حبه للشعب العراقي فـ: [مع انهمار ذخيرة الموت انطلق صوت قاسم هاتفاً بحياة الشعب[73]].**
- **لكونه انطلق أيضاً في إدارته للعراق من واقع تركيبته الاجتماعية الملموسة وليس المفترضة، من تعدديتها وليس وحدانيتها، من واقعيتها السائدة وليس من مثالياتها المفترضة.**

كل هذه منطلقات تؤكد كونه سياسياً من الطراز الأول، ساهم ليس في تهيئة تربة التغيير فحسب، بل ساهم في إرساء عناصره المادية، لذا كان مؤسساً لبداية تاريخ جديد للعراق المعاصر. إن ثورة تموز/قاسم قد وضعت العراق في طريق صيرورة الارتقاء الحقيقي وكانت: **[استجابة أو تتويج لتطور عاصف، فتح عهداً جديداً، هو عهد الانتقال من مجتمع زراعي تقليدي إلى مجتمع حديث، يتجاوز التفاوتات المستحكمة التي طبعت التطور السابق: تجاوز عوائق التطور الحضاري، تعديل النظام السياسي (بـإقصاء الطبقات التقليدية) وتجاوز الثنوية الاجتماعية الزراعية (الطابع الإقطاعي للريف، وتضاد المدن والأرياف ــ حقوقيا واجتماعيا)، ودفع التطور الصناعي رافعة العهد الجديد، ومواصلة بناء الأمة...[74]].**

---

(72) هذه الحقيقة الموضوعية أرعبت بصدق قادة أغلب الحركات القومية في الوطن العربي، مما حدا بالزعامة الناصرية، إبان مدها المضيء، إلى احتواء هذه الظاهرة الجديدة، وإذا لم تستطع فيجب إجهاضها. هذه الفكرة نوه عنها أحد قادة الثورة المصرية إلى عبد الوهاب الأمين، عضو الهيئة العليا للضباط الأحرار والملحق العسكري العراقي في مصر بعد ثورة 14 تموز. راجع للمزيد، خليل إبراهيم حسين، موسوعة 14 تموز/ الجزء الأول. بغداد 1989

(73) هاني الفكيكي، أوكار الهزيمة، ص. 252، لندن، 1993. للمزيد عن إعدامه الحياة، راجع كتابنا: عبد الكريم في يومه الأخير، بيروت 2003، توزيع دار الحصاد، دمشق.

(74) فالح عبد الجبار، أربعون عاما من ثورة14 تموز1958، تأملات وارتيابات، رسالة العراق، العدد 43 تموز 1998. ومما له مغزى **[أن أصحاب المصانع لم يعرفوا ازدهاراً كالذي عرفوه في عهد ←**

وإذا كانت [الثورة تختلف عن الانقلاب في سمتين أساسيتين ـ المشاركة النشطة للجماهير بدلاً من سلبيتها، واستمرارية التغيّر مقابل الحدث الوحيد ـ فإن ثورة 14 تموز 1958 كانت تدشيناً لثورة عملاقة. لكن لا يمكن مقارنتها ـ طبعاً ـ بالثورة الفرنسية أو الروسية أو الكوبية[75]].

قاد عبد الكريم قاسم مركبة البلد مدة 1666 يوماً وسط بحر هائج بالعواصف الاجتماعية والاقتصادية والسياسية[76]، بعضها كان نتاجا طبيعيا لذات فعل الثورة وما فرضته اللوحة الطبقية الجديدة؛ وبعضها الآخر كان مصطنعاً من قبل القوى، الداخلية والخارجية، المتضررة من الثورة وصيرورتها المستقبلية؛ كما أُثيرت العقبات المادية من قبل شركات النفط الاحتكارية التي خفضت الإنتاج والأسعار في آن واحد، مما أحدث اختناقاً في الحياة الاقتصادية؛ كما تصاعدت نبرة الدعوات القومانية التي بعضها لم تنطلق في سياساتها من واقع التنوع الأثني/ الديني للعراق، أو وبعضها الآخر طالبت بحقوقها القومية المشروعة (الحركة الكردية) دون الأخذ بالاعتبار واقع البلد وصراعاته؛ كما اشتدت حدة النزعات الحزبية الضيقة التي لم تكن متوائمة آنذاك مع واقع العراق ومكوناته الاجتماعية وتعدد طبقاته غير المتبلورة وفئاته المتشظية.

لقد وقعت جميع الأحزاب والحركات السياسية في الفترة التموزية/ القاسمية، وإن اختلفت النسبة، في:

ـ أسر الفعل الآني الفوري دون البعيد المدى؛

ـ ولرد الفعل دون ممارسة الفعل الواعي؛

←**عبد الكريم قاسم (1958 ـ 1963) الذي كانت سياسته الاقتصادية والمالية موحى بها ــ إلى درجة غير قليلة ـ من الوطنيين الديمقراطيين/ وبدقة أكبر من محمد حديد...]** حنا بطاطو، ج 1، ص. 346، مصدر سابق.

(75) اليعازر بعيري، مصدر سابق، ص. 175

(76) نتج عن ثورة 14 تموز هزيمة النخب السياسية الملكية وقواعدها الاجتماعية، كذلك حررت الثورة القوى السياسية في المجتمع العراقي. هذا التحرير، يصفه السفير الأمريكي في بغداد في أواخر المرحلة الملكية في كتابه عراق نوري السعيد [أن الحدث التموزي مجرد انقلاب نفذته حفنة صغيرة من الضباط، وبأن الحشود البشرية التي تدفقت إلى الشوارع لم تمثل العراقيين وإنما (كانت) مجموعة من السفاحين وقطاع الطرق حبذها دعاة محرضون]. مستل من كامل شياع، مصدر سابق. ص 28

ـ في الانوية الحزبية وليس في الأكثرية الشعبية؛

ـ في الشعارات الفارغة وليس في الممارسة العملية؛

ـ في التجريد وليس في الملموس المطلوب؛

ـ في الأحادية الحزبية الضيقة وليس العمل الجمعي المشترك.. الخ.

مما أوقعها في حرب ضروس غير مبررة علمياً وعملياً وبعيدة عن منطق الواقع المنشود، مما دلل على فقدانها للنضج والوعي السياسيين، فكانت النتيجة أن تكون طرفاً في إجهاض الثورة وفقدان التجربة كما جنت على ذاتها من حيث الفعالية والرسوخ وأفق المستقبل. فالمهمة الآنية المطلوبة:

هو قيام هذه القوى بمراجعة ذاتية لتشخيص طريقة التفكير التي سارت عليها آنذاك ونمط العمل الذي ساد سواء بين أعضائها أو بينها وبين القوى الحليفة وغير الحليفة، التي، ربما بدون وعي مدرك، [أدت إلى ذلك التناقض بين قوة الحركات السياسية التي يفترض أنها بالأساس مكرسة لخدمة المشروع السياسي للنظام الجديد الذي كانت تنتظره الجماهير بفارغ الصبر، وبين قوة النظام التي يفترض أيضاً وعيها للدور الكبير الذي يمكن أن تلعبه القوى السياسية المنظمة لتحقيق أهدافها التي هي عين أهداف الشعب والمعارضة.. أو هكذا يفترض على الأقل.

بالطبع أخطاء الحركات السياسية... يجب أن لا تنسينا الدور الخطير الذي لعبته شبكات المخابرات الغربية وعملاء الأجهزة الأجنبية المبثوثين في أجهزة النظام الجديد وفي بعض المجموعات السياسية (خاصة حزب البعث وحركة الضباط الأحرار) باتجاه تدمير عناصر قوة الثورة وباتجاه خلق حالة التناحر بين القوى الوطنية وبين النظام وبالتالي دفع النظام إلى الانزواء، تمهيداً لإسقاطه عبر انقلاب عسكري دموي وهو ما حصل في 8 شباط 1963.

الإسلاميون بدورهم أو على الأقل بعضهم لم يلتفتوا أيضا إلى أهمية الفرصة التاريخية التي أتاحتها ثورة14 تموز بالقضية الوطنية العراقية فوقعوا في إشكالية عدم التميز بين الأولويات، بل واندفع بعضهم كرد فعل والبعض الأخر بفعل تحركات عناصر مشبوهة لاتخاذ مواقف تصب في محصلتها في خدمة المخططات الجديدة. ولم يشذ اليساريون في مواقفهم عن هذا النهج[77]].

---

(77) أكرم الحكيم، في ذكرى 14 تموز. مجلة رسالة العراق، العدد 43 تموز 1998

كما أن الموضوعية تفرض علينا **الإشارة إلى دور الزعيم قاسم في مساهمته في** تعبيد الطريق لوأد الثورة من خلال حسن النوايا ونظراته الطوباوية الثورية لواقع حل الصراع الاجتماعي/السياسي الذي نجم عن واقع التغيير الذي قاده ومن مخلفات ثقافته العسكرية. أنه ممن ينطبق عليه قول المفكر الروسي لوناشارسكي: [**أن الشخصيات النبيلة في التاريخ غالباً ما تلقي مصرعها في الاشتباك مع الواقع، لا لأنها لم تستوعبه، بل لأنها لا تريد أن تتنازل عن مثلها التي تعتبر عصية على التحقيق في الظروف المعطاة**[78]] . وهذا ما كان مع شهيد الوطنية العراقية الزعيم عبد الكريم قاسم.

جاءت الثورة وبرز عبد الكريم قاسم في عصر، في بعض جوانبه أثر سلبياً على كليهما، منها: صعود العسكر ليس في العراق حسب بل في أغلب البلدان العالم الثالث وخاصة في الشرق الأوسط، الذي رافقه صعود التيارات الشعبوية وصعود النزعة الدولتية واشتداد سعير الحرب الباردة وبروز التيار القومي العربي المغشي بنزعته الأنوية وزعامته الصمدانية (الكارازمية).

كما أن قوى المجتمع العراقي المتعددة الانتماءات ذات المصالح المتعارضة وثقافته وأرثه السيسيولوجي، ثم صيرورة بناء المقدمات المادية لتطور العراق اللاحق من قبل الثورة وعلى رأسها المسألة النفطية وغيرها، كلها عوامل ساعدت في دفع ثورة تموز ومسيرتها في الطرق الصعبة، والتي منها نستطيع فهم الاخفاقات التي حدثت وبالتالي فسحت المجال لوأدها.

[هذا هو تاريخنا، ليس بمقدور أحد أن يصدر فرمانا بتغيير التاريخ، لكن بالوسع معاينة تصوراتنا الطفولية وأوهامنا وتوهماتنا عنه، ليس بمقدورنا أن نعيد الماضي، لكن بمقدورنا أن نعيه بصورة أفضل وأن نعي حركتنا نحن في هذا الماضي، يمكن للمجتمع العراقي أن يتجاوز الدولة الراهنة التي أوصلت الاختلالات الناجمة عن ثورة تموز إلى أقصى آيات الكمال المريع. لقد قضت ثورة تموز على اختلالات لتولد أخرى. وهذا شأن المستقبل أيضاً.. يا لعناد الأشياء][79]**. وسيبقى التاريخ جدلاً لا ينتهي.**

---

(78) مستل من كتاب عامر عبد الله، مقوضات النظام الاشتراكي العالمي، مكتبة رمضان، ص. 37، لندن 1997.

(79) فالح عبد الجبار، أربعون عاما..، رسالة العراق، العدد 43، مصدر سابق.

2 ـ ملامسة لآرائه الفكرية:

[في جميع الأحوال ليس من المحتمل لمن عاش عراق المرحلة (القاسمية) أن يمتنع عن الحكم لكن الفهم يظل هو الأصعب(80)].

بين بداية القرن العشرين ونهايته تنتصب حالة من التماثل النسبي لأوضاع العراق السياسية، تتمحور في حالة الترقب والمخاض نحو الولادة الجديدة، لإنهاء الاستلاب والاغتراب ووعي الذات ومقومات تطورها وحقوقها الطبيعية والمكتسبة، سواءً الفردية منها أو الجمعية، وتعميق مضامين وجودهما الاجتماعي، وإغناء مكوناتهما الحقوقية والدستورية وتعزيز انتمائهما القائم على أسس المساواة وتقرير المصير لكل التكوينات الإثنية والدينية والطائفية، وبالارتباط الطبيعي نحو الأرحب الأوسع للأمة العربية.

شهد العراق في القرن العشرين، جملة من التطورات العميقة، نقلته خطوات نوعية في سُلم التجسيد المادي لحدود جغرافيته السياسية العريقة، وتطوره الارتقائي، وعلى الأخص ذلك الذي حصل منذ ثورة الرابع عشر من تموز، رغم التراجع المطلق منذ ثلاثة عقود ونيف الماضية، على قاعدته الاقتصادية وبنائها الفوقي ونظامها السياسي المشتق منه ومكونه الاجتماعي، بسبب روح المغامرة والجهل والمنابع الفكرية الواطئة لحكامه الذين مثلوا النقيض المطلق لحكم الزعيم قاسم، وهم الذين استمدوا شرعية حكمه من معارضتهم له.

هذه التطورات تمثلت في أهم معلمين أساسيين هما:

1 ـ تكوين الدولة العراقية الحديثة؛

2 ـ تأسيس الجمهورية العراقية(81).

---

(80) العبارة محورة من أريك هوبسباوم الذي نصها: [في جميع الأحوال ليس من المحتمل لمن عاش القرن الاستثنائي (20) أن يمتنع عن الحكم، لكن الفهم يظل الأصعب]، مستل من مقالة كامل شياع، مصدر سابق.

(81) [كان قطر العراق في الأيام القديمة، يؤلف الولاية العباسية من العراق وجزءاً من الجزيرة.. وفي القرون الثلاثة الأخيرة من الحكم التركي اتحدت في ولاية واحدة هي أيالة (ولاية) بغداد، وهي واحدة من أعظم ولايات الإمبراطورية التركية التي يحكمها باشا] لونكريك ستيفنسن العراق الحديث 1900 ـ 1950 ترجمة سليم طه التكريتي، في جزأين، دار الفجر للنشر والتوزيع، بغداد 1988 ص. 19، الجزء الأول. بمعنى آخر، موضوعيا وتاريخيا، يمكن القول إن العراق الحديث، تم تأسيسه من خلال إعادة التوحيد الإداري للولايات العثمانية الثلاث (الموصل وبغداد والبصرة) لما كان عليه قبل عام 1879، **لأن العراق الحالي لم يكن قط وحدة سياسية** ←

المَعلَم الأول:

لقد كان نقلة نوعية في طبيعة المجتمع العشائري المتشظي نحو الدولة الوطنية المركزية، والتي كانت نتاجاً مباشراً لجملة الانتفاضات الشعبية ضد الاحتلال البريطاني توجتها ثورة العشرين، التي أقنعت البريطانيين عقم سياستهم الرامية لحكم العراق بصورة مباشرة، فكانت الدولة، التي استورد لها ملكاً(82).

وقد استندت الدولة العراقية عند تأسيسه على العناصر الأساسية(83) لكل من:

القوى التقليدية والأرستقراطية القديمة والمؤسسة الدينية في المدينة وعلى رؤساء العشائر الكبرى في الريف، وعلى قوى الاحتلال الأجنبي المدعومة بالإرث المعنوي للعرش المستحدث والمستورد.. والتي جميعها اعتمدت في تثبيت ذاتها وإعادة إنتاج قاعدتها وسريان مفعول قرارها المركزي، على مؤسسة العنف المنظم، وخاصةً الجيش، بالأخص على الضباط العراقيين في الجيش العثماني، الذين لعبوا الدور الأساسي في تحقيق ذلك، مما وفر لهم فرصة السيطرة على القرار السياسي طوال المرحلة الملكية.

← منفصلة قبل التاريخ المذكور، رغم أن خريطته الجغرافية السياسية، كأي خريطة كانت في العالم، تعرضت للتغير مرات عديدة منذ سقوط بغداد عام 1534 كانت ولاية بغداد تضم الولايات الثلاث لغاية إدارة مدحت باشا (1869 - 1871) الذي أعاد تنظيمها الإداري وفق مبدأ اللامركزية، لذا استقلت الموصل إدارياً عام 1879 والبصرة في 1884 مع احتفاظ ولاية بغداد بالإشراف والهيمنة السياسية عليهما.

(82) تميزت الانتفاضات الشعبية، والعشائرية بوجه خاص، إبان احتلال العراق بميزة نوعية مقارنةً بتلك التي جرت أيام العثمانيين والتي كانت: ذات طابع محلي نفعي صرف، لا يتعدى نطاقها المساحة الجغرافية للعشيرة وتحالفاتها؛ كما لم تكن تحركها المشاعر الجمعية الوطنية ذات النفع العام ولذا لم تكن مظهرها لحركة وطنية، التي بدأت بذورها بالتكوين في المدن الرئيسية منذ مطلع القرن المنصرم والتي أنجبت وعياً يتناسب وتلك الظروف. بمعنى آخر لم تكن انتفاضات العشائر قبل الاحتلال البريطاني مشابهة لتلك الانتفاضات ذات الوعي الوطني والتي حدثت في أوربا ضد العثمانيين.

(83) نقول العناصر الأساسية، وذلك تطويراً لفكرة الباحث السيسيولوجي د. فالح عبد الجبار، الذي رصد، بروح علمية، المكونات الأساسية للنظام الملكي المذكورة أعلاه، بغية تبيان التناقضات الكامنة بين مكونات كل عنصر من هذه العناصر ورؤيته إزاء ظاهرة الدولة الجديدة والموقف منها. إذ وقفت بعض فئات هذه العناصر ضد مثل هذا الاندماج الشمولي مع الدولة الجديدة، أو/و ضد بعض مكونات قاعدتها الاجتماعية، أو/و طبيعة الحكم وتوجهه المستقبلي، أو/و الأسس التي أقيمت عليها، أو/و في بعض مراحل تكونها وتوطدها. للمزيد راجع كتابنا الجيش والسلطة، مصدر سابق. ص. 29 وما بعدها.

لقد ظهرت الدولة العراقية وكانت بمثابة النقيض للمجتمع الزراعي التقليدي، وأن صيرورة الارتقاء لبنية الدولة ومؤسساتها وسريان مفعول قرارها تعني في الوقت ذاته، التغيير في طبيعة وبنية المجتمع الزراعي المتشظي..

كان العنف (المادي والمعنوي) أحد أهم الوسائل التي استخدمت لتثبيت ديمومة هذه الصيرورة التي كانت تتطور ببطء لا ينسجم مع الواقع الجديد الذي خلقه الوضع الجديد. وبالتالي أحدث نوعاً آخر من التناقضات لم تستطع الدولة الملكية ولا قاعدتها الاجتماعية ولا آلية إدارتها للسلطة من التغلب عليه.. مما هيأ الظرف المادي والموضوعي للمَعلم الثاني.

أما المَعلم الثاني:

فقد مثل النقلة الجذرية والنوعية، وكان المثال الذي هو بالضرورة نفي لما كان قائماً على مجمل الأصعدة، وعملاً سياسياً غائياً ضد الأمر الواقع، كما كان في الوقت ذاته، حصيلة لتراكم إرادات بشرية مترابطة ومتوافقة أو متعارضة للسلطة القائمة، جسدتها في النتيجة حالة من الإرادة العامة، تجلت في الأخير، بصورة الضرورة التاريخية (الثورة). ولذلك بقيت النتيجة غير متطابقة كلياً مع إرادة الجميع. مما عرضها للاجتهاد والتعديل، وفي بعض الأحيان لوي رقبتها، كما تؤول كل الأحوال إلى تكوّن وتكامل حالة جديدة من التناقض والصراع. وهذا ما كان وثورة الرابع عشر من تموز وما تلاها.. خاصة إذا أقررنا بأن التطور والارتقاء الاجتماعي لا يحدث بصورة عفوية، بل وفقاً لسنن وقوانين هي بدورها لا تسير باتجاه مستقيم، بل بصورة حلزونية، ولقياس ضرورتها يتطلب زمناً طويلاً نسبياً.

ومن استقراء تاريخية عراق القرن العشرين، واستنباطاً من مَعلميه البارزين المذكورين أعلاه، يمكنني القول بقوة الموضوعية العلمية وصدق حقيقتها التاريخية بأن:

التغيّرات الجذرية في النظام وطبيعته التي حدثت فيه، والتي ستمتد إلى المدى المنظور اللاحق، قامت بها وحققتها قوى العنف المنظم، وتحديداً المؤسسة العسكرية.. أما النشاط الجماهيري والانتفاضات الشعبية، على تعدد كمها وقوة زخمها، فهي إرهاصات تنضج ظروف التغيّر الجذري. بمعنى آخر يبقى مفتاح التغيير في يد المؤسسة المالكة لأدوات التغيير المادي للعنف المقترن بالانضباط والطاعة والثقة العمياء.

ومن هذا الاستنتاج، يمكن النظر إلى التغيّر الجذري الذي حدث يوم 14 تموز، باعتباره نقلة نوعية جديدة تواءمت وتزامنت مع واقع ضرورات الظروف الاجتماعية/الاقتصادية/ السياسية الحبلى بالتغير، وتصاعد المطالب الشعبية المؤكدة عليه، وما تطلبته الأنماط

الاقتصادية من إلزامية التحديث والريادة في قوى الإنتاج الاجتماعي.

كما أن هذا التغيّر كان نتاجاً للبنية الفوقية وليس للقاعدة المادية، إذ قاد العملية الضباط المسيسون في المؤسسة العسكرية، والمشبعون بالروح الوطنية وقناعة التغيّر، ويمثلون الفئات الوسطى في تطورها المتنامي. وهم يختلفون بصورة عميقة عن ضباط تأسيس الدولة الملكية، في العديد من المفاصل الحياتية والانتماءات الفكرية والجذور الطبقية والمنطلقات السياسية. ولو اتخذنا من الزعيم عبد الكريم قاسم نموذجاً[84] للمقارنة مع ضباط تلك المرحلة لرأينا الاختلاف يكمن في كل من:

الولاء والانتماء؛ الخلفيات الفكرية والمعرفية؛ من حيث الغائية المستهدفة وسعتها المستوعبة للتلاوين الاجتماعية المتعددة؛ من حيث الجامع الوطني دون الولاءات الضيقة الدنيا من طائفية وإثنية ورابطة الدم؛ من حيث درجة الثقافة والتنوير؛ من أولوية العراق دون التخندق فيه؛ من مسارات التصور اللاحق له ولمكانته ولعلاقته العضوية العربية؛ من المضامين السياسية الاجتماعية /الاقتصادية وتطلعاتها المستقبلية؛ من أجل بناء المجتمع المدني المنشود والتأسيس له؛ وأخيراً وليس آخراً، من حيث دلالة فعل التغيّر التاريخي الذي حققه، وقيادته السياسية التي يُحتذى بها.

إن معالجة قضايانا التاريخية وزعاماتنا السياسية ودراستها، وخاصة الملتهبة منها، هي مهمة تتطلبها طبيعة ظروفنا المادية المحسوسة، وما رافقها من انعطافات حادة ومؤلمة واحتراب مادي، **الكثير منه غير مبرر علمياً وموضوعيا**. هذه المهمة تفرض حضورها الآن بقوة من أجل إيقاف تدمير الذات الفردية والجمعية وسد منافذ إعادة إنتاجه، بغية الارتقاء بهما بما يلائم العصر ومتطلباته. وللوصول إلى ذلك لابد لنا من موضوعية التناول بتاريخيته ومنطقيته بغية تلمس المسار اللاحق.

إن هذا المنهج، لا يزال بعيد المنال وخاصةً عندما يتعلق بالأحداث التاريخية الكبرى كثورة 14 تموز، ومدى ضرورتها، إن لم نقل حتميتها.

ويزداد هذا البعد عندما نحاول تقييم قائد الثورة ذاته. إذ كثير ما تُنحى الكتابة والنقاش:

عن الموضوعية، وتختلط العاطفة بالواقع؛ المصلحة الفردية بالجماعية؛ الحقيقة

---

(84) راجع بحثنا، دور الفرد في التاريخ ـ عبد الكريم قاسم نموذجاً، في صحيفتي الطريق وصوت العراق في الانترنيت بتاريخ 2003/5/20.

بالوهم؛ التاريخي باللا تاريخي؛ المجرد بالملموس؛ كما تخضع غالباً للوحدانية والقطعية في الحكم و/ أو ثنائية المنطق: جيد ـ سيئ؛ أسود ـ أبيض؛ كما يستخدم منهج التقطيع في التعامل مع الظواهر والتبسيط واعتماد الصدفة بدلاً من حكم الضرورة وفاعلية قوانين التطور وسننه.

إن فهم الظواهر التاريخية:

[لا ينفصل عن الإقامة في التاريخ وصنعه، الذي هو نفس الوقت صنع الإنسان لنفسه، بعبارة أخرى، إن صعوبة الفهم تبدأ من لا إمكانية النظر في التاريخ من زاوية متجردة كما هو الحال مع الطبيعة مثلاً. وبما أن التاريخ هو حصيلة التداخل الذاتي بالموضوعي، المرغوب بالمفروض، والخيالي بالواقعي.. فقد تعددت زوايا مقاربته. إنه كليّة تبحث عن كليتها... فالتاريخ محمول دائماً على صيغة الجمع. إنه تواريخ أو روايات تنتج من داخل سياق بحث المؤرخين عن الموضوعية والحقيقة(85)].

بمعنى آخر إننا لا نقرأ ما يمكن تسميته بالتاريخ المجرد، بل نقرأ دائماً فلسفة التاريخ، وبالتالي يصبح كل بحث تاريخي بحثاً فلسفياً والكتابة التاريخية تعكس في ماهيتها تأويلاً فلسفياً، رغم ما بين هذه الفلسفات من اختلافات جوهرية في نظراتها إلى القوى الفاعلة والعضوية في التاريخ نفسه.

التجريد بصيغ معزولة عن الزمن ومراحله؛ عن الحوادث وتفاعلاتها؛ عن المكان وحدود أبعاده الحضارية، لا تكفي لكي نضفي على إنسان ما العظمة. إنما يجب أن نربط ذلك بمجموعة العوامل المتصلة بالمكان والزمان، بالعوامل الذاتية والموضوعية حتى تكتمل العظمة وتبرز في إطارها الصحيح. هذا المنهج أثبت واقعيته وضرورته، ولابد من الأخذ به عند دراسة زعمائنا. ونستطيع أن نضيف إليها كل أبعاد الزمن الثلاثة بحيث تكون موجودة في الحدث التاريخي ومتفاعلة معه في مبناه ومغزاه.

في الوقت ذاته تساهم الذاكرة التاريخية الحية في إتمام التكامل المعرفي ووحدة الشعور الفردي/الجمعي. ومن خلال هذه الذاكرة، المكتوبة أو المنقولة شفاهاً، المتصلة بالأزمنة المتعددة الحلقات، نستطيع حماية التراث (الماضي) وتفهم الواقع (الحاضر)، حتى نستشف خطانا في (المستقبل) القادم، ونحدد سمات تطور الإنسان وتاريخه ومساهماته

(85) كامل شياع، عن التأريخ والتأويل وحقيقة 14 تموز. مجلة الثقافة الجديدة، ص. 23، العدد 278.

في بناء ذاته. آخذين بالاعتبار أن الحقائق المكتوبة ليست هي كل الحقائق النهائية، لأن هناك ما هو دفين. وهذا ما سنحاول الكشف عنه بصدد الزعيم قاسم..

إن إصرارنا على الكتابة عن تاريخية الزعيم قاسم هو إنصاف لما يستحق، على **الأقل باعتباره مؤسساً للجمهورية ومحققاً التغير الجذري وبالتالي خالق تاريخ العراق الجديد،** دون أن يكون ذلك على حساب الموضوعية العلمية وإهمال نضال الجماهير الشعبية. وكذلك لأجل الكشف عن ماهيته وحقيقيته التي غيبتها الدراسات اللا موضوعية وتلك التي راكمتها القوى والحكومات التي ناهضته، ناهيك عن المختلق من الروايات المروية عنه كذات وفعل الثورة كموضوع. ولكي نؤكد أيضاً، حق الأجيال، الحالية والقادمة، في معرفة الحقيقة، لأن التاريخ إذا لم يكن متوجهاً لهم فسيفقد فعاليته وإيجابيته ومبرر وجوده وسيظلم الأجيال القادمة من معرفة تاريخهم الحقيقي، فيتولد الانفصام المعرفي.

ومن هذه المسألة ستطرح إشكالية دور الفرد وعلاقته بالتاريخ[86]. هذه الموضوعة التي طرحها الفكر الإنساني على نفسه منذ أمدٍ طويل، وقد عالجها الفلاسفة من مناظير متباينة، فمنهم من أعطى للفرد الدور الأكبر كما بالنسبة إلى تايلور أ. ب. الذي حدا به منظوره الفلسفي إلى القول [إنه بالإمكان كتابة تاريخ أوربا الحديثة بلغة الجبابرة الثلاثة: نابليون، بسمارك ولينين].

في الوقت الذي يلغي آخرون أي دور للفرد، حيث بالنسبة لهم أن القادة ليسوا سوى ألقاب تعطى للأحداث. بالمقابل ينظر ماركس إلى الإنسان باعتباره الفاعل الحي الذي يغيّر الواقع كذات فردية ضمن حركة الجموع الغفيرة.. والماركسية بعيدة عن أن تستصغر دور الفرد، وترى إن الفرد لا يمكنه حسب هواه تغيير المسار الموضوعي للتاريخ، إلا إنها تعترف للأفراد بدور معين ليس بالصغير في التاريخ [إن فكرة الضرورة التاريخية لا تقلل البتة من دور الفرد في التاريخ. فالتاريخ كله يتكون من أفعال الأفراد الذين هم بلا جدل شخصيات فعالة[87]].

فالرجل العظيم في زمانه ومكانه هو **«الذي يستطيع أن يعبر عن إرادة عصره في كلمات ويدل عصره على إرادته وينيرها، أن ما يفعله هو قلب وروح عصره، أنه يحقق عصره!»** كما قال هيغل. فالفرد يصنع التاريخ بعمله ونشاطه السياسي وإرادته وعقله

(86) راجع للمزيد بحثنا حول دور الفرد في التاريخ، مصدر سابق.

(87) لينين، المؤلفات الكاملة، المجلد الأول، ص. 159، الطبعة الرابعة. مستل من أسس المعارف الفلسفية، باللغة الروسية، مجموعة باحثين، موسكو 1985

الواعي. وتأثيره على المجتمع سيزداد بقدر تزايد التقدم الاجتماعي (بالمفهوم الواسع). إذ مع تطور العملية التاريخية وتعمق مهماتها، مع تقدم الارتقاء التقني وآثاره مع توسع ودمقرطة الثقافة ونتاجها المعرفي، تتسع دائرة المساهمين في العملية التاريخية وبالتالي ارتفاع نسبة مساهمة الفرد فيها من الناحيتين المادية والروحية.

لا يظهر العظماء في التاريخ عفوياً بل طبقاً للضرورة التاريخية ذاتها، عندما تنضج الظروف الموضوعية والذاتية، في فترة التغيير الثوري الجذري في المجتمع، أي في مراحل الانعطاف والحقبات المهمة. **علما بأن هذا الفرد/ القائد الموهوب لا يبرز إلا إذا كانت موهبته ضرورية للتاريخ**، وإذا كانت قدراته وطبعه **وذكاؤه مطلوبة وضرورية للمجتمع ولمرحلة محددة.**

إن القائد الكبير، هو ذلك المساهم بعمق في تغيير المجتمع ويساعد في إرساء أسس النظام الاجتماعي الأكثر تقدما وتطوراً، **وتستنبط قوة شخصية القائد من قوة الحركة الاجتماعية التغيرية التي يعبر عنها ويتولى قيادتها.**

وهكذا نرى أن السجايا الذاتية والشخصية للرجل القائد ليست قليلة الأهمية بالنسبة لماهية التغيير ذاته. فالرجل المتسم بالذكاء وقوة المبادرة والطاقة الكبيرة والحزم، يستطيع أن يفي بالمهام التي يلقيها عليه التاريخ، وكلما كانت سجاياه تتواءم وتتزامن مع متطلبات الواقع الاجتماعي كان دوره في التاريخ أكبر شأناً وبروزاً.

وعليه فإن قاسم لم يأت إلى الزعامة إلا بانسجام السمات الشخصية القيادية التي يتمتع بها مع ضرورات الأوضاع الاجتماعية/الاقتصادية الملائمة لبروز زعامته التي تبلورت ملامحها من خلال إدراكه لنضج ضرورات التغيير الجذري التي استقرأها من تناقض ثنائية العلاقة بين الحكم وقاعدته الاجتماعية وبين الأغلبية الشعبية ومطالبها. وهكذا [فليس القائد، كما تقول السير الشخصية، نتاج نفسه، وليس نتاجاً عرضياً لمرحلته، إنه نتاج تفاعل حيوي بين النشأة الشخصية والنشأة الاجتماعية، وتتداخل السيرتان معاً[88]].

كما اتضحت هذه الميزة القيادية لدى قاسم عند المقارنة بين فعل التغيير الذي قاده، الذي شكله عسكري ومضمونه حركة اجتماعية ذات بعد ارتقائي وتغيير في البنية الطبقية، وبين تلك الانقلابية العسكرية في العالم الثالث، التي هي مجرد نقل مفاجئ وكبير للضباط

---

(88) زهير الجزائري، حنا بطاطو - البحث في التاريخ الضائع، مجلة النهج، العدد 25 شتاء 2001، ص، 61.

من عالم الثكنة/ الحامية ومنظومة قيمها المنغلقة، إلى مؤسسات الدولة المدنية ذات القرار المركزي والمسؤولية الكبيرة، والتي ترافقها في الغالب الأعم لدى الضباط: فقدان التوازن واختلال الأنساق وشيوع الارتباك وفقدان معايير القياس والحكم..

إن الاعتراف بأهمية دور الفرد في التاريخ، **توجب التحذير من الوقوع في المبالغة** وبالتالي **تقديس الفرد** بصورة عمياء والوقوع في فخ عبادة الفرد، حيث ينسب لها قدرات خارقة تتيح لها الانفراد في صنع التاريخ وتحديد مساراته حسب مشيئتها، وبالتالي التقليل من دور الجماهير الشعبية المنتجة كصانع للتاريخ.. كما يجب عدم الخلط بين هذه الموضوعة وبين نفوذ القادة، لأن أية عملية تاريخية تحتاج إلى منفذين عمليين لذات العملية التي أناطت الضرورة الاجتماعية بهم القيام بها..

دللت الوقائع التاريخية المستقاة من مختلف الشعوب، أن هناك نوعين من الزعماء:

- منهم من يمثلون القوى الاجتماعية ويعبرون عن مطامحها؛
- ومنهم من يساعدون في خلق هذه القوى وتهيأت مستلزمات تطورها.

يستنبط من هذين النموذجين أن القائد (العظيم) هو من كان نتاجاً للعملية التاريخية ومساعداً في بلورة تحقيقها المادي في الوقت ذاته.

وتأسيسا على ذلك واستقراءً لواقع عراق القرن العشرين وتغيراته الجذرية وللعوامل الذاتية والموهبة الاستقرائية التي تمتع بها الزعيم قاسم والمتوائمة مع الضرورة التاريخية، تسمح لنا بالاستنتاج والإقرار، بما لا جدال فيه بأنه: كان أحد أهم هؤلاء القادة في العراق المعاصر، كما كان من أهم الشخصيات المؤثرة فيه، بغض النظر عن مدى تقاربنا منه أو ابتعادنا عنه.

وتتجلى هذه الميزة عندما نقارنه:

- كذات سلوكية / سياسية، مع تلكم الشخصيات القيادية التي أثرت في تاريخية العراق الحديث، بل حتى القديم. فالذين جاؤوا قبله كانوا محمولين مرتين على البوارج الحربية البريطانية والذين بعده جاؤوا محمولين بالقطار الأمريكي مرتين وأكثر؛
- وكذلك عند المقارنة بمعيار **فعل التأسيس وأهميته**، أي بين تكوين الدولة العراقية الحديثة وبين فعل التغيير الواعي الذي أحدثه الزعيم قاسم، والذي كان أكثر بكثير من مجرد تغيّر فوقي، بل غيّر من مواقع جميع الطبقات والفئات الاجتماعية، ومن علاقات الإنتاج الأساسية ومن طبيعة الملكية الاقتصادية وما يستنبط منها من بناء فوقي، وامتدادها لبعدي الزمن الآني والمستقبلي للعراق.

بمعنى آخر خلق الزعيم قاسم تاريخاً جديداً للعراق، إذا اعتبرنا التاريخ [هو عملية تغيّر الإنسان لبيئته، وإنه حيثما لا يوجد تغيّر فليس ثمة تاريخ]، كما قال هيغل.

إن التماثل بين هذه المقولة الهيغلية والماهيات الحقيقية للزعيم قاسم وما غيره، مستنبطة من التداخل والتفاعل الجدلي لعدة عناصر هي:

1 ـ عمق مضمون عملية التغيّر الجذري ذاتها؛

2 ـ مكونات ومفردات برنامجه العملي والأهداف المبتغاة؛

3 ـ طبيعة إدارته للحكم وكيفية حله للصراع الاجتماعي وتناقضاته الداخلية والخارجية؛

4 ـ موقفه كوسيط في المجال الحيوي للعلاقات المتبادلة بين الطبقات.

5 ـ شرعيته السياسية انبثقت من سعة تأييد الأغلبية الشعبية واختيارها الواعي لها؛

6 ـ من غائية التغيير المستهدف للطبقات والفئات الاجتماعية الفقيرة ـ مادة التاريخ[89]؛

7 ـ المنطلق الفكري المرتكز على قاعدة الحداثة؛

8 ـ من ممارسته العملية المتخطية للواقع القائم والمتنافرة معه؛

وتأسيساً على ذلك وكنتاج منطقي مستنبط من العناصر أعلاه، وتأكيداً لمكانة الزعيم قاسم، يمكننا القول إنه **من صنف الرجال العظام وصانعي التاريخ، الذين ثبتوا مكانتهم بمقدار ما أثارت أعمالهم ومناهجهم في تغيّر مصائر شعوبهم، وبمقدار ما غيّرت مُثلهم في مفاهيم الحياة الاجتماعية بكل أبعادها.**

هؤلاء العظام لا يمكن قياس عظمتهم بمقدار ما نجحوا في تحقيقه وما أخفقوا فيه.. لأن الحكم على النتائج النهائية بمنطق التطور الإيجابي المتصاعد دوماً، دون انقطاع أو توقف بصورة حتمية أو عفوية، هو منهج خاطئ. لأن **[التاريخ ليس ظاهرة جمالية، بل واقع ثقيل ومؤذ، لأنه لا يقف دون التمادي على الغايات المنتظرة منه أو الرغبات المسقطة عليه التي تحاول إنهاء القصة قبل الأوان[90]].**

كما أن الحقيقة التاريخية هي في بعض جوانبها نسبية، لأن تفسير الحدث أو تأويله

---

(89) [يجب أن لا يفهم طبيعة الثورات ودوافعها بإحالتها إلى أساس أيديولوجي عقائدي حيث يحركها باتجاه معين.. الثورات هي نتيجة الصراع الطبقي الاجتماعي وهويتها لا تأتي من هوية قادتها بل من مطالبها التي تأتي الثورة للوفاء بها، وهي مطالب عامة الناس، لا فئة محدودة من أهل العقائد]. هادي العلوي، المرئي واللا مرئي في الأدب والسياسة، ص، 89، دار الكنوز الأدبية، ط 1، بيروت 1998

(90) كامل شياع، المصدر السابق، ص. 31.

يخضع للجذور الفكرية / والفلسفية، الاجتماعية/ الطبقية للمفكر أو/والمؤرخ. وفي البعض الأخر غير ذلك، هي مطلقة، لأن الواقعة التاريخية هي موضوعية، أي لها وجود مستقل مكاني وزماني.

كانت المرحلة التي قادها الزعيم قاسم، هي الزمن الأصعب في عراق القرن الماضي. هذه الصعوبة مستنبطة موضوعياً من سمات **مرحلة الانتقال** من المجتمعات الإقطاعية أو شبه الإقطاعية[91] (أو الزراعية ذات العلاقات ما قبل الرأسمالية) إلى المرحلة الرأسمالية، أو تلمس طريقها حيث انعدام التطابق بين البناء الفوقي السياسي والمستوى الاقتصادي وقاعدته المادية. في هذا الزمن **(التي توجب ضرورته المادية الاعتماد على الاستبداد)**[92] **نرى أن الزعيم قاسم أفصح عن جوهر مكنوناته القيادية وطبيعة شخصيته الكارهة للعنف لذات العنف، والمفارقة هو، كضابط ـ أخصائي محترف للعنف.**

هذا ما سنحاول الوقوف عليه وعلى السمات العامة لبعض مكوناته الفكرية والسياسية والشخصية وسنوضح ما أمكننا لها. كما نحاول تسليط الأضواء على بعض جوانبه الفكرية المثالية وأخطائه العملية. عملنا هذا ليس منصباً من أجل عودته، كظاهرة، لأن ذلك شكل من الاغتراب الزماني، بقدر ما نحاول التماثل ومضامينها الجوهرية وكذلك:

---

(91) ندرج هذا المصطلح لشيوعه في الأدبين الاقتصادي والسياسي.. في العراق اللذين درجا على تسمية نظام العلاقات الزراعية الذي ساد بعد تكون الدولة العراقية، بالنظام الإقطاعي أو شبه الإقطاعي. لكن بالرغم من وجود كثير من السمات المشتركة بينه مع النظام الإقطاعي، إلا أنه لم يكن كذلك بالمعنى الدقيق العلمي للمقولة ولم يكن نقياً بما يماثله الذي ساد في أوربا قبيل الثورة الصناعية. إن مرحلة الانتقال من الإقطاعية إلى الرأسمالية تطلب فترة زمنية طويلة دامت في حدود 200 سنة تقريباً.. نجم عنها الكثير من العواقب الاجتماعية والتغيرات في البنية الاقتصادية ومن ثم الفكرية والثقافية.

(92) [يرى جرامشي أن السمة المشتركة في العلاقات الطائفية ـ الاقتصادية المختلطة في التكوينات الإقطاعية، والعلاقات الاقتصادية المتميزة عن العلاقات السياسية في التكوينات الرأسمالية، هي اختلافها عن العلاقات السياسية بمعناها الدقيق في التكوينات الرأسمالية... أن نشأة الدولة الاستبدادية هي نقطة التحول الحاسمة في الانتقال من الدولة الإقطاعية إلى الدولة الرأسمالية. وليس ظهور تلك الدولة التي تعبر عن رسوخ السيطرة السياسية للطبقة البرجوازية، كالتي تمخضت عنها الثورة الفرنسية، مثالاً نموذجاً لها.] مستل من نيكوس بولانتزاكس، السلطة السياسية والطبقات الاجتماعية، ترجمة عادل غنيم، دار ابن خلدون، ط الثانية، بيروت 1983، ص. 162. و184 كذلك راجع كامل شياع، المصدر السابق، ص 31.

1 ـ إبراز الإيجابي منها، والمتلائم مع ما فرضته الظروف آنذاك، وما يمكن الاستفادة منها حالياً ومستقبلاً؛

2 ـ عدم أدلجة ذلك الواقع وتلك الإجراءات والأفكار التي نادى بها في حينه؛

3 ـ إعادة قراءة لخطابه السياسي بغية اكتشاف مكوناته ومفاهيمه وعناصره والعلاقة المتبادلة بينها؛

4 ـ إعادة قراءة مجرى التغيّر الذي أحدثته الثورة وأصبح بمثابة الحركة الداخلية التي حكمت سلوكيته السياسية؛

5 ـ مساءلة التجربة وتبيان تناقضاتها الداخلية، ومدى تلاؤمها مع الظروف الزمانية والمكانية، بغية إمكانية إعادة إنتاج مكوناتها الأساسية بما يتناسب والواقع المعاش حالياً، الذي فرض ذاته، خاصةً بعد الإطاحة بنظام صدام حسين.

قبل البدء في دراسة «ظاهرة عبد الكريم قاسم» وتقييمها كذات، تفرض الضرورة العلمية علينا ذاتها، لتحديد طبيعة المعيار الذي يمكن استخدامه في هذه العملية المركبة والمعقدة وتحديد الزاوية التي ننطلق منها. لأنه على ضوء ذلك سيتحدد الموقف الذاتي من الظاهرة المبحوثة، بغض النظر عمن تكون.، ترى:

ـ هل ننظر إليه من زاوية الفعل الذي قام به وما أحدثه من مجرى التغيير الذي أصبح ذات دلالة تاريخية لعراق جديد؟

ـ أم ننظر إليه ونقيمه كفاعل عضوي، حسب المفهوم الغرامشي، لواقع تطلب التغيّر؟

ـ أم نقيمه على ضوء صيرورة التلاقح الجدلي بين الفعل والفاعل والمقترن بالاستقراء التاريخي لكل من الموضوعي والذاتي لفعل التغيّر (الثورة) وقائدها قاسم؟

ـ أم ننظر إليه من زاوية المصالح الضيقة، كالمطالب الاجتماعية لهذه الطبقة أو تلك؛ لهذا الاتجاه السياسي أو ذاك؛ لتلكم الأثنية الأصغر أو الأكبر؛ لهذه المنطقة الجغرافية أو تلك؟

ـ أم نتخذ من الوطنية العراقية ووحدة مصالحها، كعامل مشترك، معياراً، طالما المرحلة التاريخية آنذاك ولا تزال، تتطلب ذلك، نظراً لتعدد أطياف التكوين الاجتماعي/ الإثني لواقع العراق ولطبيعة تعددية أنماط الإنتاج وتطور القوى المنتجة؟

ـ أم ننظر إلى الزعيم ونقيمه على ضوء سياسته الاجتماعية/الاقتصادية الذي أجبرته ظروف الصراع الاجتماعي على السير في الكثير مما لا يبغيه، بالتوأمة مع الواقع وعناده وليس الأمنية المبتغاة؟

- أم من أساسيات المهام أو الرئيسية منها أم الثانوية؟
- أم نحاول أن نحكم عليه من خلال البوصلة الممغنطة اصطناعياً، في الكثير من الأحيان، للشارع السياسي وضغطه لأجل السير حثيثاً لإشباع حاجات الطبقات الشعبية وفقاً لمكانتها ودورها في عملية الإنتاج الاجتماعي؟.. الخ من المعايير المتعددة والمتنوعة التي يمكن لكل تيار فكري / سياسي أن ينطلق منها في عملية التقييم.

إن هذا التعدد سيولد وجهات نظر ومواقف متباينة بالضرورة المطلقة. خاصة إذا حاولت القوى السياسية، وهذا ما تم في الغالب، مغنطة إبرة التاريخ وبوصلة التوجه التي رسمها الزعيم قاسم، وفقاً لرؤى أحادية الجانب، تهمل الرؤى الأخرى أو تحاول اجتثاثها. كما جربتها بعض القوى عندما أرادت عرقلة حركة التاريخ والتأثير على منطقه، في حين نجحت ثالثة في إيقافه لزمن طويل امتد من رحيل الثورة وقائدها إلى يومنا الحاضر والمستقبل المنظور.

من هنا تفرض الضرورة ذاتها على وجوب تحديد معيار أو أكثر عند النظر إلى الظاهرة المبحوثة. وتأسيساً على ما ذكر أعلاه ومستنبط منها، فيمكن أن أطرح عدداً من التساؤلات والاستفهامات التي ستساهم بدورها في إلقاء الضوء على ماهية الزعيم قاسم..!!

- هل ننظر إلى الزعيم قاسم، كأي ضابط عسكري؟ وعلى الأخص من بلدان العالم الثالث، ذي أفق محدود، خال من مقومات عالم السياسة، كما يدعي بعض خصومه؟
- أم نعتبره عسكرياً بونبارتي النزعة والطموح، كانت السلطة غايته الرئيسية؟ كما أشار بعض العقائديين الدوغمائيين المتزمتين.
- أم يمكن اعتباره سياسياً، استطاع إدارة دفة الحكم في بلدٍ مهم موقعه ومركب تكوينه الاجتماعي وفي مرحلةٍ انتقالية غاية في الصعوبة، رابطاً بين الزمن الحاضر والمستقبل آنذاك؟ كما أشار عدد من الباحثين من غير العراقيين.
- أم يمكن اعتباره سياسياً بلباس عسكري، كما أراه، أخذ من الأول ترويه وحنكته ومناوراته في فن الممكنات، ومن الثاني واقعيته ودقته، ضبطه وصرامته وأهمل أهم ما فيه - استخدام العنف والقسوة، حتى جمع في ذاته حالة من الازدواجية تمثلت في بعض من مفاصل سياسته العملية، ألا وهي الطوباوية الثورية، حيث اندمجت طموحاته التغييرية بقوة إرادته المكتسبة بالنيات الحسنة، الأكثر مما يجب، والتي اصطدمت بالواقع المادي لذات التغير الذي قاده، وما نجم عنه من انعطاف عميق في بنية المجتمع ككل..

في دراستي لشخصية الزعيم قاسم، ونتيجة لتعقد الموضوع وتشابكه بين الموضوعي والذاتي؛ الواقع والأمنية؛ الآني والمستقبلي؛ بين الإمكانية المتاحة والغائية المستهدفة.. بين واقع تخلف القوى المنتجة وتعدد أنماطها وبين البنى الفوقية وتأثيراتها.... الخ، انطلقت من معيارين رئيسيين رأيتهما أكثر ملاءمةً وتماثلاً مع تلك المرحلة وظروفها الموضوعية والذاتية ومتطلباتهما، والعدالة الاجتماعية وأهميتها وهما:

1 ـ فكرة الوحدة الوطنية العراقية وضرورتها؛

2 ـ فكرة المساواة الاجتماعية ودلالتها.

كان هذان المعياران، وما يتفرع منهما، هما في نفس الوقت، يمثلان الهاجس المركزي اللذان حركا الزعيم قاسم في مختلف حقول منطلقاته ومساراته العملية ونشاطاته السياسية وأثناء حله للصراعات الاجتماعية والسياسية التي واجهته. ومن خلالهما اصطدم بفئات اجتماعية وقوى سياسية، هذا نتاج منطقي لفعل عملية التغيير التي قادها رغم أن بعضها كان مصطنعاً، مثل:

أصحاب الحق العرفي والعرقي في الحكم، كذلك المنادين بأولوية عروبة العراق، وبالقوى المستغِلة وأهل الحكم السابقين وغيرهم من ممثلي بنية السلطة القديمة والمؤسسات التقليدية. كما اصطدم عمليا بواقع عدم تجانس الفئات الوسطى وتشظيها، وبحركة الأكثرية الشعبية ومطالبها الجذرية وشعارات قواها السياسية التعبوية، التي لم تكن تتلاءم وطبيعة المرحلة ومهماتها.

هذا الكم من القوى [خلطت شعارات متناقضة، أحياناً لا يجمع بينها شيء سوى كونها شعارات بلا تعريف، يشتبك فيها الحابل بالنابل غالباً بسبب مصادرها السقيمة والبائسة هي ذاتها: ناصرية كانت أم ستالينية، بكداشية أم عفلقية أو غيرها من الرغاء[93]]

لقد أفصحت هذه الحالة عن حجم الضغوط الهائلة التي مارستها قاعدة هذه القوى على قيادتها التي انساقت لهذه الضغوط، مما أفقدها التوازن النسبي وبالتالي الاصطدام الذي لا محال منه، مع بعض مفاصل برامج المرحلة التي عبر عنها الزعيم قاسم. وهذا ما كان يميز حركة اليسار بصورة أساسية آنذاك.

---

(93) د. حسين الهنداوي، بين ثورتي 14 تموز / فرنسية أو عراقية، هل من مقارنة، مجلة الاغتراب الأدبي، العدد 47، ص. 6 لندن 2001

3 ـ مبادئ الحكم الرئيسية لدى عبد الكريم قاسم

عند النظر بعمق إلى ماهية الزعيم قاسم، بأبعادها التاريخية، والمكونات الاجتماعية التي أثرت به، ومن تحليل لممارسته إدارة الحكم وتفكيك خطابه السياسي، توصلت إلى أهم أربعة مبادئ كان ينطلق منها عملياً ويؤكد عليها سياسياً، تمثلت كعناوين أساسية في:

1 ـ الوحدة الوطنية العراقية:

لم يستطع النظام الملكي من إنجاز واحدة من أهم مقومات التكوين الاجتماعي وثبات الدولة ككائن اجتماعي وديمومة تطورها، ألا وهي الوحدة الوطنية والتحام العراقيين بعضهم بالبعض الآخر وتكوين هوية موحدة.. إذ لم يستكمل النظام السابق لثورة 14 تموز هذا المسار رغم ما فعلته من تهيئة للكثير من مقومات فرص تكوين هذه الوحدة. لكن بقت الفكرة ضعيفة ولم تتبلور طوال عقود الحكم الملكي الأربعة، فكانت ثورة 14 تموز العامل المحرك الأكبر لهذه الموضوعة، التي شعر قاسم بضرورتها، والتي كانت متوافقة مع تطلعاته السياسية.

لقد لعبت البيئة والوسط الاجتماعي لقاسم، سواءً على مستوى العائلة ذات التباين المذهبي أو المحيط الاجتماعي المختلط والمتعدد الاثنيات والأديان، دوراً مهماً في صياغة اتجاهاته الفكرية ووعيه الاجتماعي وأرائه السياسية حول هذه الموضوعة، والتي عمقها أكثر طبيعة سياسة الاحتلال الأجنبي وما نجم عنه من تأسيس للدولة العراقية على أسس لم تعكس المضامين الجوهرية للحركة الاستقلالية وأهدافها السياسية والاجتماعية من جهة، كما لم تعزز بنية الهوية الوطنية العراقية ووحدة مكوناتها المتعددة من جهة ثانية.

هذا الوعي تعمق لدى عبد الكريم قاسم من خلال الممارسة السياسية الخاطئة لنخبة الحكم الملكي ووقوعها في أوحال العلاقات والولاءات الدنيا (الطائفية، العشائرية، الأسرية، المناطقية، الإثنية الضيقة) التي تكبح تعزيز الوحدة الوطنية وتفتتها.

وإحساساً منه إزاء هذه الإشكالية التي رافقت الدولة العراقية، عمل بجد من أجل إلغاء أسسها واجتثاث ما أمكن لمقوماتها المادية سواءً على صعيد التمايزات القائمة على الولاءات الضيقة في خارطة الحكم، أو الأبعاد الطائفية السياسية أو سعة القاعدة الاجتماعية للحكم، رغم الصعوبات التي واجهته والناجمة بعضها من ذات التعددية الاجتماعية ذاتها. إذ لا يمكن الجمع بين أهداف هذه المكونات المتعددة والمتعارضة في نفس الوقت، ناهيك عن اختلافاتها النوعية والدرجة في:

التأثير على الواقع؛ في الأهداف وطبيعتها؛ في المصالح وتبايناتها؛ في التطور

الذاتي والإدراك المتلائم مع الواقع المادي للمجتمع. ومع هذه حاول الزعيم قاسم عملياً تفتيت عوامل الكبح هذه، وصولاً لتعزيز الهوية الوطنية العراقية. وكانت ترجمتها العملية الأولى هو الاعتراف الدستوري بالقومية الكردية، وكذلك الإقرار بحقوق التكوينات القومية الأخرى وما تلاه من سياسة عملية تصب في تعزيز الوحدة الوطنية التي مثلت مبدأه الأول في الحكم.

2 ـ النظام الجمهوري:

كانت عملية تركز القوة وتمركز السلطة، السياسية والاقتصادية، في المرحلة الملكية بيد عوائل نخبة الحكم السياسية التي لم يتجاوز عددها في أحسن الأحوال، ستين عائلة، مما نجم عنها ضيق في قاعدة الحكم الاجتماعية، وزاد الأمر سوءاً إغلاق منافذ الدخول إليها أو توسيع المشاركة معها في القرار المركزي، والذي يعني في الوقت نفسه الضعف الكبير في مساهمة الجماهير الشعبية في رسم القرار وتنفيذه، وتعطيل الآلية البرلمانية وعدم تداول السلطة بين مختلف الطبقات والفئات الاجتماعية سلمياً. زاد الأمر تفاقماً مساهمة العرش بالحكم مباشرة.. وفقاً للتعديل الدستوري لعام 1943، الذي خالف قاعدة [الملك مصون غير مسؤول].

هذه العوامل أثارت حفيظة الفئات المثقفة والواعية الطامحة للتغيّر الجذري. الذي يتعارض عملياً ومنطقياً مع فكرة التطور المستهدفة، ناهيك عن تعارضها مع فكرة المساواة، الداعية إلى فسح المجال للعام وليس للخاص وحده؛ للأمة وليس للنخبة؛ للتلازم وليس للتعالي والانفراد.

مع الإدراك الواعي إلى كون النظام الملكي، قد فُرض من قبل قوى الاحتلال، ولم يكن خياراً واعياً إرادياً للشعب قدر كونه خياراً للضرورة المفروضة، من جهة.

ومن جهة أخرى قد يكون استجابة لظروف تلك المرحلة التي أدت مهامها التاريخية المتمثلة في إقامة وتعزيز الدولة، وهذا ما يُثمن. لكن ظروف التطور العام وتحقيق التنمية المنشودة وترسيخ وحدة العراق تتطلب وعياً ومسؤولية أكثر سعةً من حيث المشاركة في رسم وتقرير مصائر المجتمع من جهة ثانية. ناهيك عن عدم قدرته في تعزيز الهوية العراقية.

لذا رصد الزعيم قاسم ذلك التنافر بين النظام الملكي وسياسته العملية وواقع تعزيز الوحدة الوطنية وتقاطعهما في أكثر من مفصل من مفاصل الحياة. لذا كان يرى في النظام الجمهوري، نظاماً سياسياً أرقى من النظم الملكية التي كانت تعبر عن مرحلة حضارية في وقت نشوئها تتلاءم والمرحلة الإقطاعية، وتدني الوعي الاجتماعي وتخلف القوى المنتجة.

تعمق هذا المنطق لديه أكثر من خلال دراسته لتاريخية نشوء الدولة العراقية وتكوين

نظامها السياسي وكيفية (استيراد) الملك المتواطئ مع قوى الاحتلال وما رافق ذلك من ضياع للأزمنة والفرص؛ للمواقف والسياسات سواءً على الصعيد العراقي أو العربي. وتأسيساً على ذلك أخذ بالنظام الجمهوري الذي يمثل المبدأ الثاني لديه.

3 ـ الاستقلال الوطني:

كان موضوع الاستقلال السياسي وتجلياته الحقيقية هو أحد أهم القواسم المشتركة بين القوى السياسية الوطنية المعارضة على اختلاف مناحيها الفكرية، سواء في مرحلة الانتداب أو ما بعدها. وقد تشبع جيل العشرينات والثلاثينيات من القرن الماضي بالروح المناهضة للاستعمار البريطاني واستراتيجيته في العراق والمنطقة العربية.

زادها عمقا وتفاعلا ممارساته العملية وسياسة التدخل، كان في بعضها فضاً ومباشراً، في مختلف مناحي الحياة الاجتماعية/الاقتصادية والسياسية، وخاصة دور البعثة العسكرية البريطانية في تقليص حجم ودور المؤسسة العسكرية، بعدما لم تتمكن من حلها، بعد انتكاسة حركة مايس/أيار التحررية 1941، حيث شعرت قوى الاحتلال الثاني أنه ولأول مرة تشارك المؤسسة العسكرية، التي ساهمت في تأسيسها، في حركة مسلحة ضدها بتعاضد قطاعات واسعة من الشعب، مما نبههم إلى خطورة الجيش، وزاد في الوقت نفسه من تدخلهم المباشر في شؤونه لغاية تحقيق وعد بلفور (هم).

إن دور بريطانية في إقامة دولة إسرائيل وربط العراق في الأحلاف العسكرية الدولية واستغلال ثرواته النفطية وتعميق التخلف بكل أبعاده وتجلياته، عوامل كلها عمقت الكره للإنكليز وأذكت روح مقاومة ومناهضة القوى والمراكز الرأسمالية الدولية المهيمنة على القرار الوطني والقومي وخاصة بريطانيا والولايات المتحدة، وركائزها الداخلية والإقليمية.

كانت سياسة الزعيم قاسم تتبنى النقيض الواقعي المنافي لسياسات هذه المراكز، من خلال تركيزه على الاستقلال الوطني بشقيه السياسي والاقتصادي وترسيخ مقدماتهما المادية التي تحقق بعضها في ذلك الوقت. طالما هنالك علاقة عضوية وجدلية بين هذين الشقين، إذ لا يكتمل الاستقلال السياسي إلا بالاستقلال الاقتصادي والعكس بالعكس. وهذا هو الأمر الرئيسي الذي ناضل الزعيم قاسم من أجل تحقيقه. وكانت سياسته لتحرير الثروة النفطية، وتحرير العملة الوطنية من الارتباط بالباوند، وإلغاء القواعد العسكرية وعدم الارتباط بالأحلاف العسكرية الدولية، ومساعدة حركات التحرر.. أهم محاور تجليات الاستقلال الوطني الذي مثل المبدأ الثالث من مبادئه.

4 ـ الانتماء للأمة العربية:

ينضوي في أعماق القادة التاريخيين إحساس مفرط بالتاريخ، يبلغ أحيانا ما تبلغه

الغريزة من تأصل في الذات، مما يشكل دوافع لأفعالهم وبواعث لإرادتهم. وهذا متوقف على طبيعة كل قائد ومنظومة مكوناته الفكرية وتكوينه النفسي والاجتماعي، وتبعا لظروف المكان ومتغيرات الزمان. تجلى هذا الإحساس لدى بعضهم في خلق ظروف تغير الواقع وخلق تاريخ جديد، حسب مفهوم هيغل.

ومن هذا المنطلق، ومن منطلق انتماءئه القومي العربي من حيث النسب والإحساس بالمشترك، فإن الزعيم قاسم كان **يركز على العلاقة الجدلية بين انتمائه الوطني والقومي**، وكان ينطلق من **أولوية عراقيته (الخاص) نحو انتمائه العربي (العام)** . لهذا لم يكن عراقوي النزعة بالمفهوم الضيق ولم يتخندق فيها في مواجهة الانتماء العربي. وهو أيضاً قد تجاوز العروبويين حيث تخندقوا في مواجهة النزعة العراقية.. لذا نراه ينطلق من عراقيته نحو عروبته.. وكلاهما كانا يشكلان وجهين للهوية لديه. وهذا كان مبدأ حكمه الرابع.

تمثلت تجليات هذا المبدأ في سياسته العملية إزاء الحلقة المركزية في نضال العرب، القضية الفلسطينية، وعمق إحساسه بها وبالتالي تعامله العملي ـ النوعي في حلها. وليس اعتباطاً أنه على أرضها كجغرافية وموضوع أَسَسَ، مع غيره، أول تنظيم للضباط الأحرار. وذات المنهج يمكن رصده في سياسة الزعيم قاسم إزاء القضايا المصيرية التي واجهت الأمة العربية آنذاك سواءً في الجزائر أو عُمان، في نظرته الواقعية للوحدة العربية والتكامل الاقتصادي وموقع العرب في السياسة الدولية وحيادها الإيجابي، والمنطلقة من النفع المتبادل والمصالح المشتركة. هذه الأساسيات مثلت مكونات مبدئه الرابع الذي سيتفاعل مع المبادئ الأخرى، ليصبحوا بوصلته العملية على كافة الأصعدة الحياتية.

ومن نافلة القول علينا التأكيد أن الزعيم قاسم لم يتوصل إلى هذه الأفكار من خلال دراسة نظرية أو تبني فكرة سياسية/ مذهبية معينة، بل من دراسته للواقع العراقي من جهة، ومن جهة أخرى من ممارساته العملية لإدارة الحكم واستخلصها من حاجة الناس ومعاناتهم التراجيدية، ومن جهة ثالثة من الظروف والمعاناة التي عاشها في طفولته وشبابه، التي تجذر فهمه لها وفتح مكامن أسرارها، من خلال التثقيف الذاتي وقراءاته الحية للعديد من المواضيع التاريخية والأدبية والسياسية النظرية ذات المنحى التقدمي إجمالاً، منذ نهاية العقد الثاني من عمره، وكذلك من الكتب العسكرية بعد انتسابه للكلية العسكرية وبالأخص لكلية الأركان والدورات التخصصية، وباللغتين العربية والإنكليزية[94].

(94) يذكر حسن العلوي [كان مدرسونا يطالبون بكتابة تقارير عن شخصيات تاريخية أو أدبية، وكنا نحتاج إلى مصادر لم تكن متوفرة في قريتنا آنذاك، وكثيراً ما أسررت أم حامد (والدة الزعيم ←

4 ـ تقييم عبد الكريم قاسم:

ولأجل فهم الظاهرة القاسمية لابد من إجراء تقييم لكل أبعاد هذه الشخصية، وإلقاء الضوء المكثف على جانبيها الإيجابي والسلبي في الوقت نفسه.. حتى تكتمل الصورة غير المكتملة في هذه الدراسة الأولية. إن نظرتنا إلى أية ظاهرة تنطلق من ضرورة رؤية جانبي القمر: المضيء والمظلم.. لأن من خلال هذه النظرة تستكمل جمالية الوجود، الذي لا يستكمل إلا بوجود النقص فيه. سنحاول تطبيق هذا المنهج على سياسة قاسم ونقول:

كانت الحياة (بالمفهوم الواسع) جامعته الكبرى التي علمته مجريات الصراع وتناقضاته، الواقع ومتطلباته، الزمن وماهيته، الضرورة التاريخية وتحققها، الإمكانية والواقع. كما بلورت فيه جملة من السمات النفسية والفكرية، السياسية والاجتماعية، تجلت أبعادها بصورة مترابطة وجدلية في ما يمكن استنباطه من ممارساته العملية وخطابه السياسي، في النقاط التالية:

1 ـ كانت أفكار عبد الكريم قاسم ذات منطق بناء، يفصل الرئيسي عن الثانوي، ويعرض الأشكال الأساسية ويبرهن عليها، ويفند الخاطئ منها والطالح، ذات استدلالات استنباطية تتيح استخلاص نتائج حقيقية. لذلك اتسمت أفكاره بالصدق والكثير من الموضوعية. كما أنها نحتْ نحواً إنسانياً، خلت من التبريرية والغرضية الضيقة، وابتعدت عن الإكراه والعنف، عن السلفية والتزمت، عن اللاتاريخية واللاواقعية، عن المولاة والطائفية. وكانت أكثر ملاءمة لواقع العراق آنذاك. كان قاسم يتسم بميزة القائد السياسي الناضج، والتي تكمن في مقدرته واستعداده للتعلم والتفاعل مع الآراء والطرح المنطقي. لم يكن منظراً، إذ وصل إلى عقائده عن طريق تجاربه الحياتية، لذا لم ينهمك

← قاسم ـ الناصري) رغبتي باستعارة كتاب لهذا الغرض من خزانة عبد الكريم، فتصحبني إلى غرفته لأنتقي أحد الكتب، وهي حافلة بكتب الجغرافية والتاريخ واللغة والأدب مع مجموعة من الكتب الأجنبية. وكنت كلما فتحت كتابا وجدت الخطوط بالقلم وقد سودت ما بين السطور، فأريها ذلك كي لا تتهمني بالعبث بالكتب فتولول قائلةً (هذي عادة عبد الكريم) وقد أثار انتباهي قراءاته النحوية. وكنت بعد أن أخذ مكانه في زعامة العراق، وصرت صحفياً ومدرساً للغة العربية، أتابع باهتمام وكأني معلم جمله الأعرابية، فأشعر بارتياح لأنه لا يلحن باللغة العربية. فأعود بذاكرتي إلى تلك الخطوط مرة أخرى]، عبد الكريم قاسم، مصدر سابق، ص، 12. علماً أن الزعيم قاسم كان يجيد اللغة الإنكليزية، وقد سبق أن أكمل دورة اللغة التي نظمتها وزارة الدفاع للضباط بعد تخرجه من كلية الأركان، [وحاز على الجائزة المخصصة للناجحين في هذا الامتحان]، خليل إبراهيم حسين، الموسوعة، ج 6، ص، 20

في النظريات بحثاً في الحياة، قدر انهماكه في ذات الحياة، والتي منها صاغ قناعاته الفكرية والعملية التي اتسمت بالكثير من الواقعية.

2 ـ فرضت الظروف آنذاك، أن يلعب الزعيم قاسم، بشكل متميز واستثنائي، **دور الوسيط في المجال الحيوي للعلاقات المتبادلة بين الطبقات الاجتماعية وحل صراعاتها.** في وقت، كما نعتقد، أن المرحلة وظرفها الموضوعي كانت تستوجب قيام البرجوازية الوطنية والفئات الوسطى وخاصةً المتنورة منهما، القيام بهذا الدور، لأن فعل التغيير الذي قاده الزعيم قاسم وظروف المرحلة وما تفرضه من متطلبات فتح المجال الموضوعي لهما. كانت تلك الفترة التاريخية مرحلة نهوضهما وتكاثرهما الكمي، وزمان استنهاض ذاتهما الطبقية النوعية. لكن البرجوازية الوطنية (مجازاً) تخلفت عن ذلك لعدم استيعابها لهذه الضرورة ولقوانين التطور وموقعها في العملية التاريخية. وهذا نتاج العديد من العوامل الموضوعية والذاتية لذات الطبقة وقصورها وتشوه ولادتها التي لم تكن نتاجاً لصيرورتها الطبيعية وبالتالي عدم تبلورها، وكذلك عدم تجانس فئاتها وتشظيها، وهذه إحدى سماتها العامة، وانعدام القيادة الموحدة والمتنورة لديها[95]، فآلت الحالة إلى أن يقوم قاسم بهذا الدور.

3 ـ وتأسيساً على ذلك واستدلالاً من الوقائع المادية، فقد وقف الزعيم قاسم موقفاً وسطياً فرضته ظروف الصراع الاجتماعي/ السياسي، والمكاني والزماني لعراق ما بعد الثورة، وتبدل الاصطفافات الطبقية والمواقف السياسية، نتيجة ما فرضته الحياة من مهام جديدة. إن موقف الوسط هذا، يعني في بعض جوانبه، وعي الزعيم قاسم لضرورة حضور كل القوى الاجتماعية ومشاركتها في الصراع، وإن اختلفت نسبة المساهمة فيما بينها. أي إنه وعى، لحدٍ لا بأس به، طبيعة الصراع (الذي كان بعض منه مفتعلاً، وآخر نتيجة للتأثيرات الخارجية) وأجنحته، بين اليمين واليسار (بالمفهوم النسبي لهما). لذا أبدى بعد أن أصبح رئيساً للدولة مواهب فذة في التكتيك، وتماسكاً وعناداً في التمسك بمبادئه[96].

إن موقفه هذا كان مجبراً على سلوكه لما تطلبته المرحلة والظروف، حتى اقتنع بأنه كما قال: [بمرور الزمن سيتجه اليمينيون نحو الوسط وكذلك سيفعل اليساريون]. إن

(95) حول هذه العلاقة بين الطرفين راجع مقالتي، الجادرجي وتموز واللقاء الذي لم يتم، جريدة الوفاق، العددان261,260. في 17,10 نيسان 1997، كذلك سامال فرج، الجادرجي وغاندي صراع الزعامة، ذات الجريدة، العددان 273,272 في 10، 03 تموز 1997.

(96) اليعازر بعيري، مصدر سابق، ص. 171.

طروحات اليسار قد اقتربت من ذلك كثيراً، خاصة عندما نقارن بين برنامجها آنذاك وما هو عليه الآن. لكن اليمين لا يزال بالمحصلة متحصناً بالكثير من مفاصل برنامجه، أن لم يعتقد بأن برنامجه هو الأصح بصورة مطلقة، في زمن العصر النسبي(97).

4 ـ كما أن هذا الموقف الوسطي للزعيم قاسم، لا يعني مطلقاً تبنيه فكراً تركيبياً منهما (من اليمين واليسار)، لأنه كان يعي إلى حدٍ بعيد، أن مثل هذا الفكر التركيبي محكوم عليه بالتناقض، وفي بعض المنعطفات الحادة بالتناقض التناحري. لأنهما نمطان متناقضان متقاطعان في الأغلب من التصورات والتفسيرات والغايات. رغم تقاربهما في بعض الحالات والظروف الاستثنائية. بالرغم من أن الزعيم قاسم كان يحاول جاهداً توسيع قاعدته الاجتماعية من خلال دعم مجموعات مختلفة/ متقاربة طبقياً وفكرياً، **من دون الاعتماد كلياً على أي منها أو سيطرة أحدهما على الواقع السياسي**(98).

5 ـ كان الزعيم قاسم مؤمناً بالتعددية الحزبية ومياﻻً إلى التيار الديمقراطي (بالمفهوم الواسع). نبتت هذه الفكرة في مكوناته الفكرية في مطلع الثلاثينيات، منذ قراءاته الجدية الأولى

---

(97) شهدت الفترة التموزية / القاسمية، اكتساب التطرف السياسي الكامن في الوعي الاجتماعي، مزيداً من القوة. وصار الاعتدال الذي مثله قاسم، ضعيفاً بل مبغوضاً من قبل المتطرفين في الأحزاب السياسية برمتها.. فاليسار كان يطالب بإلحاح بجذرية راديكالية لإجراءات الدولة وقمع قوى الردة المناهضة بشدة؛ وتمحور التيار القومي في مطلب واحد مثل مركز نشاطه وهو الوحدة الفورية مع العربية المتحدة بقيادة الرئيس ناصر؛ ونادى التيار الديمقراطي الليبرالي بالبرلمانية الفورية ورجوع العسكر (المقصود قاسم) لثكناتهم، دون التروي بعدم الاستقرار السياسي؛ وركز الإسلام السياسي على مطلب (الحكومة الإسلامية) ولا سواها؛ وطالبت الحركة الكردية بقوة السلاح والتحالف مع أعدائها الاستراتيجيين، بالحقوق القومية فوراً؛ وتنابز الضباط الكبار للحصول على موقع لهم والتلويح بالعنف. وهكذا كان العراق بحراً هائجاً بالمطالب التعجيزية أو على الأقل مستحيلة التطبيق عملياً وفي آنٍ واحد. هذا الظرف زاده تعقيداً دخول قوى الماضي المتضرر من فعل الثورة وتطورها، ناهيك عن القوى الإقليمية والدولية. مما **أجبر الزعيم قاسم على عدم الاعتماد الكلي** على أي منها.. وقد نجح إلى حدٍ ما لكنه أضعف قاعدته الاجتماعية من جهة وفُسر خطأً كما لو أنه يلعب على هذه القوى، من جهة أخرى.

(98) لقد أوضح تاريخ العراق ما بعد مرحلة الجمهورية الأولى (تموز1958 ـ شباط 1963) مدى صدق وواقعية هذه الرؤيا للزعيم قاسم.. بحيث فاق في استقرائه كثيراً من السياسيين المحترفين. إن هذا التصور كان مشتقاً من واقع **وحدة واختلاف** مصالح المكونات الاجتماعية وقواها السياسية في العراق. وقد أثبتت تجربة سيطرة الحزب الواحد والعقلية الواحدة مدى الضرر الهائل الذي لحق بالمجتمع العراقي وقواه الحية، والذي بلغ حد الجريمة الجماعية التي ستمتد تأثيراتها إلى الأجيال القادمة.

وتأثره بالأفكار السياسية ذات المنحى التقدمي، ومن ثم ولوجه في عالمها، ضمن إطارها العام وليس العلاقة الحزبية الضيقة، وعلى مستوى المؤسسة العسكرية وما طُرح عليها من مهام وعلى الأخص الموقف الوطني المستقل والعلاقة ببريطانية. ومن ثم إقامته للصلات، في مطلع الخمسينيات، مع القوى المعارضة وخاصةً الحزبين الشيوعي(99) والوطني الديمقراطي وإشراكهما في تهيئة الشارع السياسي لتأييد فعل التغيير القادم، والتعرف المسهب على مطالب كلا الحزبين ووجهة نظرهما لعراق المستقبل. إن إعلام هذين الحزبين بموعد الثورة وإشراك الأحزاب السياسية المعارضة في أول حكومة للثورة هو دليل مادي على إيمان عبد الكريم قاسم بالتعددية الحزبية(100).

في الوقت ذاته لم يسمح الزعيم قاسم، كما أشرنا، لأي اتجاه أو حزب أن يسيطر ويصبح شديد القوة والبأس ويبسط نفوذه على كل مكونات المجتمع الموحد المتنوع. لأن ذلك يعني، ضمن ما يعني، إلغاء الآخرين.

كان موقف الزعيم قاسم هذا مستنبطاً، كما قلنا، من (نظرته الفلسفية) الوسطية ومن واقع الممارسات الحزبية وصراعاتها(101) التي نشطت بدرجة كبيرة، أفقيا وعموديا في

---

(99) يشير كمال عمر نظمي، فيما انتزع منه بالإكراه المادي من قبل لجان التحقيق سيئة الصيت عام 1963، إلى أن صلته السياسية بعبد الكريم قاسم تمتد إلى عام 1953.

(100) لم يشترك الحزب الشيوعي في هذه الوزارة، وتم تعيين الاقتصادي الشهير الماركسي إبراهيم كبة بدلاً من ذلك. وهذا يعود حسب رأيي إلى عاملين: الأول هو اتفاق الحزب الشيوعي مع الزعيم قاسم قبل الثورة على أولوية البرنامج على المساهمة في حكومة الثورة، كما أشار إليها عامر عبد الله. وثانيهما هو التخوف من الاحتلال الأنكلو ـ أمريكي في حالة تعيين وزراء شيوعيين.. **كان تفهم قيادة الحزب لهذا الظرف عاملاً مساعداً لنجاح الثورة، وإحباطاً لمشاريع دول حلف بغداد في الاحتلال** وعلى ضوء ذلك وبعد استتباب الأمور طالب الحزب الشيوعي في اجتماع لجنته المركزية في أيلول عام 1958، بضرورة مشاركته بالحكم. رغم أن قناعة كثير من قيادته آنذاك لم تكن منسجمة مع هذا الطلب، الذي انتقده موسع الحزب في تموز 1959. ويشير إسماعيل العارف في مذكراته، ص. 214، إلى موضوع الأحزاب والوزارة الأولى بالقول: [وقد اقترح عبد السلام عارف بعض الأسماء التي راعى فيها علاقته الشخصية. أما عبد الكريم قاسم فقد حاول، كما أخبرني بنفسه، أن تكون الوزارة ممثلة لجميع الأحزاب التي كانت تتألف منها الجبهة الوطنية (جبهة الاتحاد الوطني ـ ع. ن.) التي ناضلت ضد العهد الملكي عدا الحزب الشيوعي الذي ارتأى ألا يشترك علناً في الوزارة، نظراً لما قد يثير اشتراكه فيها من ردود فعل داخلية وخارجية غير موفقة، واكتفى بأن يعين في الوزارة بعض العناصر اليسارية المتعاطفة مع الحزب].

(101) لكن في الوقت نفسه لابد من الإدراك أن الصراع أحد سمات المجتمعات الإنسانية [ففي كل مجتمع متحرك نجد زمرة من الناس تدعو إلى مبدأ جديد فتفرق المجتمع وتمزق شمله. ←

الشارع السياسي آنذاك ومما كان يفرضه الواقع الموضوعي. خاصةً إذا علمنا أن التطرف في المواقف هو قرين المجتمعات التقليدية المتخلفة والمتأثرة بالقيم العشائرية، كما هو أكثر تقبلا لدى هذه المجتمعات من الاعتدال.

وفي هذا الموقف يكمن سر قوته الروحية المتناقضة مع طبيعته المهنية باعتبار أن الضابط هو أخصائي محترف للعنف. وتتجلى هذه القوة الروحية من خلال تناقضها الكلي (لعيوب مهنة الضباط)، والمتمثلة في الميل نحو الاستبداد، والإفراط الزائد في الإصرار على الرأي وضيق الأفق المعرفي العام والميل نحو الانفراد بالرأي.

واستنباطاً مما ذكر أعلاه، كان الزعيم قاسم **ميالاً إلى الديمقراطية، كسلوك سياسي/ اجتماعي**، طالما أن الديمقراطية في النهاية هي الصيغة المؤسسية السليمة لإدارة الصراع بين الطبقات أو جماعات المصالح بصورة لا عنفية. وهذا المفهوم للديمقراطية لا يخرج في جوهرة عن مفهوم المجتمع المدني، لأن المفهومين مترابطان يدعم كل منهم الأخر ووجهان لعملة واحدة.

ومن هذا المنطلق حد الزعيم قاسم من المد اليساري وكبح غلو اندفاعه عندما سار جناحه الراديكالي، الشيوعي منه تحديداً، نحو تبني برامج جذرية[102]، بسبب: ضغط

← وهذه الزمرة المفرقة تعد في أول الأمر فئة ضالة عاصية وتكال لها التهم من كل جانب. إنها تمزق الجماعة وتشق عصا الطاعة حقاً. ولكنها في نفس الوقت تبعث في المجتمع روح التجديد والتطور. ولولاها لجمد المجتمع وبقي في خمود متراكم قد يؤدي به إلى الفناء يوما ما] د. علي الوردي، وعاظ السلاطين، ص. 200، ط 2/ دار كوفان لندن 1995.

(102) مثل سلام عادل وجمال الحيدري.. هذا التوجه بأوضح صوره. وهذا ما يستدل عليه من طبيعة الصراع الذي نشب في قيادة الحزب في تلك الفترة، والتي انعكست بصورة واضحة من قراءتي لمذكرات القادة المتوفرة الآن منهم: بهاء الدين نوري؛ زكي خيري؛ باقر إبراهيم الموسوي؛ عزيز الحاج؛ وما نشرته ثمينة ناجي يوسف ونزار خالد، عن سيرة سلام عادل، وما صرح به عامر عبد الله في أكثر من مناسبة.. ومنها ما جاء في الوثيقة التي أعدها مع بهاء الدين نوري والموسومة (مساهمة في تقيم سياسة حزبنا) التي صدرت عام 1967، حيث يقول: [إن الوضع الثوري الذي تكون في ربيع 1959 كان يمكن استثماره لحمل قاسم على إنهاء فترة الانتقال وإقامة الحياة الديمقراطية والمؤسسات الدستورية... ودرء انتكاسة الثورة... غير أن ما فعلناه في الواقع، هو تبديد طاقات ثورية هائلة في استعراضات للقوى لا مبرر لها. وفي منازلات وتحديات مع قاسم والقوى الوطنية الأخرى، وفي التركيز على أهداف ثانوية.. كالمطالبة بالاشتراك في الوزارة... الخ]. مستل من نجم محمود، المقايضة برلين ـ بغداد، الخلفية التاريخية لحرب لم تنتهي، ص 442، دار الغد/ لندن 1991.

قاعدته الاجتماعية والفئات الكادحة التي فجرت ذات الثورة طاقاتها ومطالبها؛ وممارسات الشارع السياسي؛ وانفلات السيطرة على الصراع الاجتماعي وتجلياته السياسية؛ وما نجم عن العلاقات الدولية والحرب الباردة وما اشتُق منها من مواقف في واحدة من أخطر بقاع العالم أهميةً وحساسية بالنسبة إلى المراكز الرأسمالية.

كما كبح الزعيم جنوح اليمين (الجمهوري) واندفاعه في إهمال واقع تركيب العراق الاجتماعي وتعدد مكوناته، ومن خطل ماضويته الفكرية وضيق مساحتها الزمنية، وكذلك من نظرته السكونية إلى مستقبل العراق، عندما انطلق من أولوية عروبته وأراد فرضها بالقوة ومن خلال تبني الانقلابية العسكرية وسيلة لتحقيق ذلك، بالتحالف مع قوى اليمين (الملكي) وقاعدتها التقليدية المتضررة من الثورة ومساراتها الداخلية والعربية، والأكثر بروزاً هي مصر الناصرية في أعتم مراحل عطائها وفي أوج أنويتها الاستحواذية وحل إشكالياتها الداخلية عبر محيطها العربي المتسم بالإكراه وليس التعاون. وهكذا جابهت الزعيم قاسم أحزاب [ببرامج ومشاريع متقاطعة، أحزاب لبست قفازات التحدي متجاوزة مفاهيم الحوار والتفاهم(103)].

كما لعبت الضغوط الخارجية عامةً والغربية خاصةً والأنكلو ـ أمريكية على الأخص، على إجبار الزعيم قاسم وتهديده بالقوة والتلويح حتى بالاحتلال، إذا لم يكبح سيره التقدمي الجاد ليس مع اليسار فحسب بل حتى في نهج يسار الوسط المستقل. وعندما فشلت سياسة الاحتواء هذه، كما فشلت سياسة الاحتلال في أيام الثورة الأولى، خططوا لعملية الاغتيال له كذات وللثورة كموضوع ولقاعدته الاجتماعية كهدف أوسع، بالتعاون التنفيذي مع القوى اليمينية والرجعية المحليتين، وهذا ما تم في الانقلاب التاسع والثلاثين في 8 شباط 1963.

التساؤل الذي يفرض نفسه هنا هو أين سيقف الزعيم، أو أي قائد سياسي آخر، خاصةً إذا كان ليس حزبيا (بالمفهوم الضيق) في خضم واقع كهذا؟ ستختلف

---

(103) طلال شاكر، عبد الكريم قاسم وطبيعة نظامه، رؤية مختلفة لموضوع لم يستنفد، لكن المقالة نشرت في جريدة الزمان في 10/26/ 2001 بعنوان التعصب السياسي: تأييداً ورفضاً. ومن نافلة القول أن الأحزاب القومية آنذاك [رفضت تقديم الطلب للعمل العلني، خاصةً حزب البعث، حيث اعتقد علي صالح السعدي أن العمل العلني سيفتت الحزب ولأن الأحزاب القومية لم تعترف بالديمقراطية وكانت تعتقد أنها ستخسر بالانتخابات لذا فضلت العمل السري، لأنها كانت تخطط لانقلاب عسكري ضد قاسم للاستئثار والانفراد بالسلطة دون غيرهم من القوى الوطنية] د. عبد الخالق حسين، ثورة 14 تموز، ص، 70، مصدر سابق

الإجابات بالضرورة وفقاً لفلسفة التاريخ التي ننظر من خلالها إلى السؤال.

لكن تأسيساً عليه يمكن أن يطرح السؤال التالي ذاته أيضاً.. **هل أن المرحلة وطبيعة علاقاتها المعقدة وتخلف القوى المنتجة والواقع الاقتصادي وأنماطها الإنتاجية وطبقاتها الاجتماعية المناظرة غير المتبلورة، ناهيك عن تشابك اللوحة الطبقية/الإثنية/المذهبية وتعددها ذات المصالح الموحدة والمختلفة.. هل تسمح مثل هذه الظروف بغير هذا الموقف الذي وقفه الزعيم قاسم؟ أي هل تسمح الظروف الموضوعية والذاتية، الداخلية والخارجية وضمن الممكنات المتاحة بغير هذا الموقف المضطر عليه؟** خاصة إذا علمنا أن ضعف قاعدة الحكم الارتكازية الرئيسية سواءً: البرجوازية الوطنية متمثلة بالحزب الوطني الديمقراطي، الذي لم يملك قاعدة سياسية جماهيرية كافية في الشارع السياسي، إذ كان حزباً نخبوياً إلى حدٍ كبير.

في الوقت الذي خلقت الثورة الظرف الموضوعي لهذه البرجوازية وهيأت مناخ زمانها الأفضل طوال القرن المنصرم؛ أو الفئات الوسطى التي لم تكن كتلة واحدة متجانسة بل ظاهرة سياسية ـ طبقية واسعة تشمل أطياف لعدة مجموعات وأفراد متباينين في منطلقاتهم وفي أفكارهم وغاياتهم.

6 ـ انطلق الزعيم قاسم من مواقع يسار الوسط في برنامجه وإدارته للحكم متخذاً من فكرة المساواة الاجتماعية/ السياسية مرتكزاً. وقد كان هذا الموقف موقفاً تاريخياً بالنسبة إليه وليس موقفاً مثالياً/ترفياً، وهو نابع من جوهر إحساسه بمعاناة الأكثرية الشعبية، على مختلف الأصعدة السياسية والاجتماعية والاقتصادية. كما اتسمت نظرته بنسبية المساواة وليس بمطلقها. وهو بهذا الموقف العملي قد تجاوز قناعته الفكرية الأولى، جماعة الأهالي ـ الوطني الديمقراطي، التي انطلق منها في ممارسته السياسية، وهذا يفسر، في بعض جوانبه، أسباب قطيعة رئيس الحزب كامل الجادرجي للزعيم قاسم وعدم تعاونه وإياه بعد الثورة، في حين أيده إلى حدٍ كبير قبل ذلك. والسبب في اعتقادنا يكمن في الأبعاد الأنوية والذاتوية للجادرجي ولطبيعة ثقافته ومكانته الاجتماعية والسياسية[104].

7 ـ كانت أفكار ونظرات الزعيم الحياتية تتسم بالعلمانية والتحرر، وفي الوقت نفسه غير مشوبة بالتحدي للقيم والأفكار الدينية. كانت هذه الرؤى تستشف من القيم السامية من التراث الحضاري العربي الإسلامي ومن مفردات القيم الأخلاقية العالية لمنجزات الفكر الإنساني في تطلعه نحو الرقي لأبعاد الإنسان المتعددة، التي تبنى مضامينها بعد

---

(104) حول هذه العلاقة بين الطرفين راجع مقالتنا، الجادرجي وتموز، مصدر سابق.

ملاءمتها مع الواقع المادي لعراق القرن العشرين، حيث نجد صداها في مجمل القوانين والقرارات التي طالت العراق كجغرافية وجمهرة واسعة من أبناء طبقاته وفئاته الاجتماعية. لنا مما يلي عناوين أساسية لتلك الأفكار:

الإصلاح الزراعي؛ قانون الأحوال المدنية والموقف من المرأة؛ إلغاء الطائفية السياسية؛ قانوني العمل والضمان الاجتماعي وما يشتق منهما؛ السياسة الضريبية المتصاعدة وقانون التركات؛ سياسة التصنيع وشمولية توزيعها الجغرافي للوطن؛ السياسة التعليمية وتعميمها؛ سياسة الإسكان وشموليتها لأصحاب الدخول المحدودة والفقيرة؛ السياسة النفطية والحفاظ عليها؛ الإقرار المبدئي للقضية الكردية والحقوق الثقافية للأقليات الأخرى؛ التضامن العربي ودعم حركته التحررية... الخ من السياسات العملية التي عكست جوهر وماهية هذا الرجل، والتي استهدفت تحقيق ما أمكن لفكرتيه الجوهريتين: المساواة ما أمكن وتعزيز الوحدة الوطنية العراقية.

8 - من حيث تركيبته النفسية/الاجتماعية، كان لدى الزعيم قاسم سيماء قوة في ملامحه وبريق في عينيه ونبرة سلطة في كلامه المتدفق. كان حذراً في تصرفاته، وكتوماً جداً حتى اتهمه البعض بالتردد. كما كان متأنياً في أحكامه وذا تحمل للمشاق البدنية والنفسية، التي اكتسبها من عالمه المهني، ومما يتطلبه ضرورة فعله السياسي ضمن حركة الضباط الأحرار السرية. وقد بلغ الأمر بنوري السعيد الذي كان يردد بتكرار يوم 14 تموز بعد اختفائه في بيت عائلة الاسترابادي [خدعنا، خدعنا، خدعنا[105]].

هذه الخصلة في قوة الشخصية تنبع من إحساسه الداخلي بضرورة ترويض نفسه للقيام بما نوى عليه من هدف أعلى منذ ولوجه المبكر للحياة السياسية..[106].

كما كان خالص النية، حد المغالاة، ذا سريرة صادقة، إنسانياً بطبعه، حسن الطوية، عفيف اللسان، ما استرخص الكلمة والوعد، كما لم يكن حضوره في السلطة وقبلها

---

(105) مستل من خليل إبراهيم حسين، الموسوعة، الجزء السادس، ص، 92، مصدر سابق.

(106) حول قوة حذر الزعيم قاسم يورد عبد الكريم الجدة أني [رجوته أن يكون أشد يقظة وأكثر حذراً وضرب لي مثلاً فقال: حذر صقر ابنه بأن يطير من مكانه ويحلق في الجو حينما يرى إنساناً ينكب على الأرض ليأخذ حجراً فيرميه بها. فكان جواب ابنه أليس من باب الاحتمال أن يكون ذلك الإنسان قد أعد حجراً في يده أو جيبه فيرميني بها دون أن ينكب على الأرض. فكان رد أبيه: بأنه لا يخاف عليه بعد الآن فإنه أعلم منه وأشد حذراً ويقظة] ص. 8، ثورة الزعيم المنقذ. مصدر سابق.

يمارس دوره الرئاسي المسؤول فحسب بل كان صاحب رسالة. لقد كان يمارس الحياة، بغض النظر عن محيطها، مبتدئاً من نفسه يراقبها ويحاسبها إلى المحيطين به مروراً بالقادة في المجتمع ولغاية توجهات الرأي العام[107].

وكان يمازج بين مسلكه مع نفسه ومع الناس، كما قرن الحكمة بالتطبيق والرأي بالفعالية، إذ لم يفصل القول عن العمل ولا الوعد عن الفعل. لم تخدعه السلطة ومغرياتها، ولم تسحبه السلبية إلى أجوائها. كما أنه لا يحب الخصومة لذات الخصومة، ولم يؤمن بالعنف كوسيلة للعمل وحسم الأمور، رغم أنه ضابط ـ أخصائي محترف للعنف.

لقد أثارت هذه الخصلة الأخيرة انتباه وحيرة الباحثين، الأجانب على وجه الخصوص[108]، حيث ميزوها لديه بموضوعية ومعرفة دقيقتين. حيث كتب اوريل دان، بالرغم من عدم موضوعيته مع قاسم، عن ذلك قائلاً: [**وبممارسته الحد الأدنى من سياسة القمع في الظاهر، وبحصيلة من الدماء أقل مما يتوقع المرء في ذلك الوضع السياسي وهذا شيء ليس بالهين أو مما يمكن التغاضي عنه. وأقرب تفسير لمقدرته هذه هو الاهتمام الذي أولاه لكبح جماح الاندفاعات السياسية**[109]].

9 ـ كما كان قاسم مشبعاً بقيم التسامح، والتي مثلت ميزة أساسية من مميزات إدارته

---

(107) رفض قاسم طلب عائلته بمحاكمة قتلة ابن عمته محمد علي جواد الذي اغتيل مع بكر صدقي لتقادم الزمن، كما رفض طلب أخيه حامد الذي جمع الأدلة التاريخية وسند ملكية الطابو التي تثبت أحقية العائلة في وراثة الأراضي التي منحها أحد السلاطين العثمانيين إلى جدهم السادس لمساهمته في شق نهر الحسينية في كربلاء، كما رفض أن يمنح ذويه مساكن حكومية قبل أن يلغي أحزمة الفقر المحيطة ببغداد آنذاك.

(108) حول هذه الموضوعة راجع، حنا بطاطو، الجزء الثالث،؛ مجيد خدوري، العراق الجمهوري، اوريل دان العراق في عهد قاسم، ليث الزبيدي، حيث أشار كل منهم إلى بعض الخصال المتعلقة بشخصية الزعيم، كلها مصادر سابقة؛ كذلك دراستنا، قراءة أولية في المشروع القاسمي، الغد الديمقراطي، العددان 122,121 في نيسان وتموز 1995

(109) اوريل دان، العراق في عهد قاسم، ترجمة جرجيس فتح الله،، الجزء الأول، ص. 472، دار نبز للطباعة والنشر،، استوكهولم، 1989. ويذكر د. علاء الدين الظاهر أنه [في إحدى الحفلات في سينما الخيام كان الحاضرون يهتفون «اعدم.. اعدم جيش وشعب وياك اعدم» فترك عبد الكريم قاسم كرسيه وتوجه إلى الميكرفون وقال بعصبية واضحة: لماذا لا تطلبون مني بناء مدرسة أو بناء مصنع، اطلبوا أي شيء إلا الإعدام..] تفكيك التجني، جريدة الزمان عدد 573 في 03/14/ 2000. ويؤكد ذات الواقعة شاهد عيان إذ يقول: [إنني إذ أنسى فإنني لا أنسى ←

للسلطة والصراع الاجتماعي.. وهذا يمثل في الوقت ذاته الوجه الآخر للديمقراطية، طالما أن قيم التسامح والديمقراطية وجهان لعملة واحدة. إذ إن الديمقراطية تعني التعددية في الآراء والاجتهادات، واحترام الأغلبية للأقلية وهذه طبيعة ملازمة للحياة الحضارية.

وأكثر من ذلك أن قاسم سنّ **عرفاً جديداً** وهو **(عفا الله عما سلف)** ، طوره لاحقاً إلى قاعدة قانونية تنص على **(الرحمة فوق القانون)** وهو منهج بقدر ما هو أخلاقي، بذات القدر ذو جذور إنسانية عميقة نحتاج إليه دوماً لتطهير الذات، كما نحتاج إليه اليوم أكثر من الأمس، لأنه أحد العتلات الرئيسية في تعميق فكرة التسامح وشيوعها، والتي تمثل إحدى أهم الخطوات لبناء المجتمع المدني المرغوب تحقيقه والذي أرسيت لبناته الأساسية في المرحلة التموزية/ القاسمية النيرة.. لذا لم يمارس قاسم سياسة الاسكندر المقدوني [قطع العقدة بدلاً من حلها] باعتبارها أسهل طرق الحلول. وهذا نابع من طبيعة، وليس تطبعاً، قوة الخُلق التي يتسم بها قاسم.

كما كان الزعيم قاسم حليماً لم يدع للانتقام مكاناً في ذاته.. رغم أن جناة الليل والمتعصبين فسروا حلمه ضعفاً. يقول أحدهم: [**لكن عبد الكريم قاسم قدم إلينا بتراجعه عن تنفيذ أحكام الإعدام بالفريق الذي حاول اغتياله فرصة ذهبية جديدة. فقد فهم مؤيدو حزبنا تراجعه ذاك ضعفاً له وقوة لنا وبدورنا استثمرنا تلك الفرصة إلى أبعد الحدود**[110]].

كان لنا من عدم تنفيذ أحكام إعدام الحياة ب: رجالات العهد الملكي؛ والكم الوفير من الذين أدينوا قضائياً بالتآمر عليه من أمثال عبد السلام عارف ورشيد عالي الكيلاني؛ والرهط الذي حاول اغتياله؛ وغيرهم ممن حكمت عليهم المحاكم لأسباب سياسية، دلالة على كرهه لاستخدام العنف.

← وقفة الزعيم الشهيد يوم اجتمعنا في ذلك الحشد الكبير في سينما الخيام في الباب الشرقي وكان الحضور يهتفون بشعار: (اعدم.. اعدم) وإذا به ينهض كالأسد الهصور ليصرخ: اطلبوا أي شيء إلا الإعدام...] ظاهر حبيب، جريدة المؤتمر العدد 46 في 1/4/ 1994، لندن.

(110) راجع على سبيل المثال د. علي كريم سعيد، عراق 8 شباط من حوار المفاهيم إلى حوار الدم، مراجعة في ذاكرة طالب شبيب، دار الكنوز الأدبية، بيروت 1999ص. 33.
ينطبق على قول طالب شبيب ما أنشده الشاعر الشهير الفرزدق الذي يقول فيه:

ملكنا فكان العفو منّا سجية ... ولما ملكتم سال بالدم أبطح
فحسبكم هذا التفاوت بيننا ... وكل إناء بالذي فيه ينضح

كان الاستثناء الوحيد هو إعدام الطبقجلي/ رفعت سري ومجموعتهما من الذين أُدينوا بمساهمتهم في انقلاب الشواف. وحتى هؤلاء طلب الزعيم قاسم منهم الاعتراف (فقط الاعتراف،) بمساهمتهم مع العربية المتحدة في الانقلاب مقابل العفو عنهم[111]، لكنهم أبوا ذلك. إن عملية إعدامهم لم تكن نتاج سبب واحد كأن نقول بسبب [المجموعة الضاغطة على قاسم] كما أشار حسن العلوي[112]، وإنما نضيف بقوة إلى ذلك التحدي الإعلامي والدبلوماسي الذي شنته العربية المتحدة مقصوداً، بوجه الزعيم قاسم في حالة تنفيذه لأحكام الإعدام بغية تحريضه ودفعه لتنفيذها. لأن عبد الناصر أراد ذلك من أجل حشد أكبر ما يمكن من الأنصار للإطاحة بحكم الزعيم قاسم[113].

10 ـ من أهم ميزات قاسم وانطلاقاً من مهنته كضابط، هو دعوته المتكررة لأبعاد المؤسسة العسكرية عن الصراعات الحزبية الضيقة، بغية كبح جماح الانقسامات في أخطر مؤسسة في الدولة، ولمنع الانقلابات العسكرية وإلغاء ما أمكن من ثقافة وممارسة العنف المادي. كان يردد بأعلى صوته المقولة المشهورة [الجيش فوق الميول والاتجاهات] والتي أخذت أغلب القوى السياسية آنذاك بتسفيه هذه المقولة والاستهزاء بها وبقائلها. نظرته هذه كانت الأدق من بين نظرات قادة ومفكري الأحزاب السياسية.. كما أنها كانت

---

(111) حول هذه الموضوعة راجع مذكرات جاسم العزاوي، ص، 201 حول العفو عن الطبقجلي، وكذلك د. علاء الدين الظاهر، التاريخ كما يكتبه القصخون، من منشورات جريدة المجرشة، ملحق عدد تموز 1997. كذلك لذات المؤلف، تفكيك التجني،، مصدر سابق

(112) راجع كتابه رؤية بعد العشرين، مصدر سابق، ص، 83. وأشار إليها عامر عبد الله، في حديثه لنا في استوكهولم عام 1996، بحضور السيدين صاحب الربيعي وجمال حسين والسيدة هيفاء عبد الكريم، عندما حدد وجود أكثر من جماعة ضغط على قاسم منها: مجموعة المقر ذات التوجه اليساري، والمجموعة القومية المحيطة به، ومجموعة محكمة الشعب.

(113) [وقد أضافت الدعاية المصرية وإذاعة صوت العرب وقوداً إلى النار بهجومها المتواصل على عبد الكريم قاسم بلغة جارحة عندما كانت تتحدى إرادته متهمة إياه بأنه «طارئ على الثورة وسارقها من قادتها الحقيقيين» الذين صدرت بحقهم أحكام الإعدام. وسمته «قاسم العراق» **وحرضته على إعدامهم وكأنها كانت تستهدف دفعه إلى ذلك لكي تؤلب الكتل المعارضة عليه** بسبب العطف المتزايد عليهم وبالتالي تنجح المحاولات لإسقاطه. وقد ذكر لي أحد المسؤولين الذي كان في وفد لزيارة الجمهورية العربية المتحدة، أن أحد أعضاء الوفد وجه لوماً إلى إذاعة صوت العرب أمام الرئيس عبد الناصر، قائلاً بأنها دفعت وشجعت عبد الكريم قاسم على إعدام الضباط الأحرار بتحديها له وتحريضه على القيام بما قام به. **فرد عبد الناصر قائلاً (كان من الضروري أن تذهب ضحايا وتسفك دماء لإسقاط عبد الكريم قاسم)** راجع، إسماعيل العارف،، أسرار ثورة 14 تموز وتأسيس الجمهورية العراقية، دار LANA لندن 1986، ص. 224,223

تصب في جوهر المجتمع المدني.

وبعد أكثر من ثلاثة عقود على رحيل قاسم، أدركت أغلب هذه القوى، وحتى بعض القادة العسكريين، خطل رأيها السابق بعد أن اكتوت من الانقلابية العسكرية ذات التوجهات اليمينية والمتخلفة بيون شاسع عن التغيير الجذري الذي قاده قاسم.. وأخذت تطرح في برامجها ضرورة إبعاد الحزبية عن الجيش. يطالب أحد الضباط بأن [تكون القوات المسلحة فوق الميول السياسية والاتجاهات الحزبية والتيارات الفكرية حفاظاً على وحدتها وهويتها الوطنية ونسيجها المهني المطلوب وإبعادها عن عوامل الفرقة والانقسام وضمان عدم إعطاء الفرصة والمناخ لانتشار وتكوين التكتلات التي من الممكن استغلالها في ظروف لا تخدم العمل الوطني الديمقراطي وأجواءه الحقيقية(114)].

11 - كما نستطيع، من السلوكية العملية للزعيم قاسم، استقراء جملة من المبادئ السامية التي تعبر بحد ذاتها عن مثل حضارية تنافي ما كان سائداً اجتماعياً منها:

الرأفة؛ النزاهة(115)؛ الزهد في الحكم وعفة اليد(116)؛ المساواة أمام القانون؛

---

(114) العقيد الركن نجيب الصالحي: الجيش والتحول الديمقراطي في العراق، محاضرة ألقيت بالنيابة عنه في الندوة التي نظمتها مجلة الثقافة الجديدة في هولندا. ومن نافلة القول كانت القوى المناهضة لقاسم حتى القريبة منه، تستهزئ به إذ حورت هذا الشعار العملي إلى شعار آخر هو [الجيش فوق السطوح والوايرات]

(115) يقول الجواهري الكبير، رغم أنه لم يكن موضوعياً مع الزعيم: [إن عبد الكريم قاسم كان يملك ضميراً حياً ونزاهة نادرة، وبساطة في اللباس والحياة والمأكل، مما جعله يضاف إلى قائمة المترفعين عن المظاهر والمكاسب وجاه الثروة وهو ما أغفله الكثيرون من الكتاب والصحفيين والمؤرخين.. وأراها مناسبة للقول إن الكثيرين من هؤلاء لم يتعاملوا بنزاهة مع التاريخ ولا بأمانة مع واقع حال هذا الرجل وكثيرون كتبوا إما بدوافع سياسية أو بدوافع شخصية أو بدوافع مصلحية...] المذكرات، الجزء 2، ص، 179.

ويقول آخر: [أما عن نزاهته وزهده في المنافع المادية، فحدث عن البحر ولا حرج وقد يأخذ العجب منك إذا علمت أن تحت تصرفه كانت خزائن العراق.. ولم يصرف أموال الدولة لا على نفسه ولا على أسرته ومقربيه. استشهد ولم يكن يملك سوى 1,200 دينار ومئتي فلس.. لا غير].

في ذات الوقت يتهم رفعت الجادرجي، بصورة غير منطقية ولا موضوعية، وخالية من الحس التاريخي السليم، قاسم بعدم النزاهة، لكنه لا يقدم البرهان الدال على ذلك. يصفه بالقول [ورغم أنه لم يكن نزيهاً كما يتصور الناس وكان متآمرا يبحث عن السيطرة لكنه لم يصل حدود صدام حسين] جريدة المؤتمر العدد 351 في 23 - 2003/5/29

(116) يقول أحد مدرسي عبد الكريم في الإعدادية المركزية في عشرينيات القرن المنصرم عنه: [أنه كان عفيفاً لا يطمع في مال وقنوعاً لا يحب العيش في القصور بين الرياش الثمينة عيشة ←

التسامح؛ كما أنه لم يستعمل أساليب غوغائية لردم الهوة السحيقة بين حقائق الواقع والأماني المراد تحقيقها؛ ولم يلعب على خيبة الأمل الكاذب، بل حاول تحقيق ما أمكن تحقيقه رغم الصعاب وعدم الاستقرار.

واستنباطاً من مذهب التسامح، فإن الزعيم قاسم لم يستعمل أساليب الإيقاع بخصومه، ولم يزرع الجواسيس وأجهزة التصنت ضد أحد منهم، إن لم نقل العكس، حيث كان بعض المحيطين به يتجسسون عليه ويتتبعون حركاته بغية الإطاحة به كما أوضحتها مذكرات جاسم العزاوي وصبحي عبد الحميد وبعض ضباط الاستخبارات العسكرية الذين أرادوا اغتياله بالاتفاق مع رئيسهم رفعت الحاج سري. كما كان يعرف أن رئيس مجلس السيادة كان متورطاً في العديد من المحاولات الانقلابية حيث تكرر اسمه أكثر من مرة ولم يحاسبه لا قضائياً ولا إدارياً.

لم يؤسس الزعيم وحدات أمنية خاصة به، فقد كان يترفع عن ممارسات من هذا القبيل. حتى بلغ الأمر بمعرفته بالعناصر العسكرية التي تخطط للقيام بالانقلاب عليه، ولم يتحرك تجاوزاً للأجهزة المختصة. وهذا ما أعلنه في آخر تصريح له في الخامس من شباط عام 1963، عندما قال: [إنني أعرف أسماء كافة العناصر المخربة، إلا أن الأمر لا يعود لي بصفتي رئيساً للحكومة، إصدار أوامر باعتقالهم، إنما أترك للأجهزة المسؤولة في الدولة كي تقوم بواجباتها الملقاة على عاتقها(117)].

كما أنه لم يعتمد في حكمه على قوى الشرطة والأمن الداخلي والتي [بقى انتشارها محدوداً جداً، ولا تتجاوز نسبة الفاعلين منهم عن 1/ 10000. فلا تجد أكثر من عشرة عناصر في مدينة يبلغ عدد سكانها مائة ألف شخص ودون أية إمكانيات، فلا سيارات ولا أجهزة تجسس ولا شبكات لاسلكية ولا أموال ولا تنظيمات سياسية أو أمنية معاونة. ولذلك لم تبرز أمامه أهمية الأمن(118)].

← الملوك والعظماء والأثرياء مع أنه كان في متناول يده متى شاء وحيثما أراد... كان مجاملاً يحترم الكبير، ووفياً لا ينسى من سبق له فضل عليه] طالب مشتاق، مذكرات سفير عراقي في تركية، الجزء الثاني دار الكتاب العربي، بيروت، التاريخ بلا، ص. 509 ـ 508. مستل من ليث الزبيدي، مصدر سابق، ص. 331

(117) راجع نص التصريح، في مجلة أصوات، مصدر سابق، ص. 41.

(118) اللواء الركن وفيق السامرائي، مدير الاستخبارات العسكرية السابق حطام البوابة الشرقية وحقائق عن الزمن السيء في العراق. شركة دار القبس، الكويت، 1997، ص، 309. ويشير مير بصري إلى أنه [وجدت في مكتبه بعد وفاته مئات الوشايات والتقارير المتعلقة بمختلف ←

كما أنه لم يتدخل في الشؤون الداخلية لأية دولة عربية أو إقليمية. ورغم ضلوع مصر الناصرية في التآمر ضده، إلا أنه رفض إذلال الرئيس ناصر في ساعة حدوث الانفصال(119).

12 ـ مثل العراق، ككيان اجتماعي ـ جيو سياسي، محوراً مركزياً في اهتماماته، ومنه انطلق نحو الأرحب، الأمة العربية، أي أنطلق من الخاص نحو العام. وهذه الانطلاقة لم تكن خياراً رغبويا.. قدر وعيه لتاريخية طبيعة وتعددية المكونات الاجتماعية والاثنية للواقع العراقي. ومع ذلك لم يتخندق في عراقيته ولم يضعها في مواجهة الانتماء

← الأشخاص والقوميات، فكان يكتفي بحفظها وإهمالها]، راجع أعلام السياسة في العراق الحديث، دار الريس، لندن 1989، ص، 248

(119) [أخيراً لابد لي أن أذكر حادثاً فريداً من نوعه يكشف موقف عبد الكريم قاسم الحقيقي من زعامة جمال عبد الناصر... في اليوم ذاته الذي وقع فيه الانفصال... قرأ أحد المسؤولين المعلومات على أسماعنا، انبرى ضابط كبير الرتبة وعلق عليها موجها حديثه إلى الزعيم قائلا] (سيدي حان الوقت لإرسال الجيش العراقي إلى سوريا ومساعدة الانفصال للدفاع عن استقلال سوريا، إعلان الوحدة بيننا وبينها وكسر أنفه) فأجابه عبد الكريم قاسم بغضب والانزعاج واضح على محياه (أرجوك.. اسكت هذا خطأ.. أنني مستعد أن أحرك الجيش الآن إذا طلب منا عبد الناصر ومساعدته. أنا لا أوافق على هذا الرأي. فوجم الجميع إذ كانوا يتصورون أن عبد الكريم قاسم كان فرحاً ومستبشراً بالانفصال.... إن ما حدث في سوريا إهانة لا أرتضيها للرئيس عبد النصر.. المبادئ يجب ألا تتأثر بالخصومات الوقتية. وقد أثبت عبد الكريم قاسم فيما بعد صدق هذا الموقف النبيل]، راجع إسماعيل العارف، مصدر سابق، ص. ص. 289.
يقول د. طلعت الشيباني حول ذات الموضوع [أما تشجيع عبد الكريم قاسم للانفصاليين السوريين، فقد كان منسجماً مع أوضاعه السياسية، ولكني أذكر للتاريخ أنه رفض ما كان قد طلبه منه (فلان) وهو زعيم وحدوي من زعماء سوريا من أجل العمل ضد جمال عبد الناصر]. خليل إبراهيم حسين، الموسوعة، ج 6، ص. 346، مصدر سابق.

ويكتب مصطفى علي نعمان مما له علاقة بالموضوع قائلاً: [وعندما تدفق السب والشتم على عبد الكريم قاسم من أبواق عبد الناصر، وكان مذيعو العهد البائد الذين يسبون عبد الناصر يحاكمون في محكمة الشعب، لتهم تتعلق في إذاعة برامج النقطة الرابعة الأمريكية، فلم تثبت عليهم التهم، وأفرج عنهم، ولأنهم أول وجبة تحاكم في محكمة الشعب قابلهم الزعيم، فاقترح أحدهم العودة إلى ذات السلوك نفسه، أي سب عبد الناصر كما كانوا يفعلون في العهد البائد، لكن عبد الكريم نظر إليه نظرة شزرة أوقفته عند حده. لم يكن عبد الكريم يقابل الشر بالشر قط. إن سمو خلق وسلوك عبد الكريم يجعله مثلاً أعلى لا يطاله أحد]. راجع صفحة صوت العراق في الأنترنيت، في 1/6/ 2003. عبد الكريم قاسم المغدور مرتين. والمقالة دراسة تحليلية مهمة، تلتقط نقاط الضعف المستترة لأقوال بعض المتحدثين في البرنامج التلفزيون الذي بثته محطة أبو ظبي الدولية، وكان بعنوان [بين زمنين] من إعداد الكاتب أحمد المهنا.

العربي.. بل مزج بينهما بصورة جدلية في سياسته العملية بروح صادقة خالية من النفعية، ووقف بصورة مبدئية إزاء المعاضل التي واجهت الأمة العربية في حينه.

كما كان قاسم مبدئياً اتجاه الوطن ومصالحه، فلم يتنازل عن بعض من أراضيه لدول الجوار[120]، لأي سبب كان؛ ولم يفرط بموارده البشرية والاقتصادية؛ ولم يبدد موارده المالية على الإعلام الرخيص وعبادة الشخصية؛ وكان الولاء للوطن وليس للولاءات الدنيا البدائية، هو أحد أهم أهدافه ومعاييره في الممارسة الحياتية لإدارة الحكم والصراع الاجتماعي.

كما كانت له محاولات جادة لإزالة عوامل كبح وحدة الاندماج في الهوية الوطنية. رغم أن تعددية التركيبة الاجتماعية هي، في الوقت نفسه، تمثل عامل كبح موضوعي، نتيجة تضارب المصالح بين هذه المكونات. واستنباطاً من ذلك فإن المشروع القاسمي، إن جاز التعبير، هو إعادة ثرية لتأسيس للدولة العراقية على أسس جديدة وعصرية. من خلال إرساء الممهدات المادية على صعيد توحيد التشريع القانوني والشمولية الجغرافية للتنمية وتوسيع قاعدة الفئات الوسطى والحد الكبير من الطائفية السياسية واحترام حقوق التكوينات الإثنية وغيرها من أسس الدولة الحديثة.

ومع هذا وتأكيداً لما ذكر، لم يتقوقع في عراقيته ويتخندق فيها بمواجهة الانتماء العربي، قدر كونه أخذ بالاعتبار خصوصية التركيبة الاجتماعية / الاثنية للعراق واحترم رغبات وحقوق عناصرها واختياراتها، ولم يضعها في تناقض مع الأمة العربية ووحدتها السياسية. وقد أكد هذا المضمون عندما قال: [وأحب أن أؤكد لكم أن العراق جزء من الأمة العربية.. وإن هذا الوطن شركة بين العرب والأكراد... وإذا تأمنت مصالح العرب في كل دولة وتحررت، فهذا معناه التحرر، وإذا تحررت الشعوب العربية كلها في منطقتها فمعناه اتحاد عام **والاتحاد لا يقره شخص واحد وإنما تقرره شعوب الدول العربية والتي لها أن تقرر نوع الحكم**[121]]. **كما أكد عدم التسرع في مسألة الوحدة العربية، إذ يجب أن تتم خطوة فخطوة وبالإرادة الشعبية وليس بالقرار**

(120) في الوقت الذي تنازلت الحكومات (القومية) وخاصة حكومة صدام حسين، عن مساحات من الأراضي إلى إيران وفق اتفاقية 1975، وكذلك بالنسبة للمنطقة المحايدة للعربية السعودية وكذلك إلى الأردن. كما منح النظام السابق الحق للقوات التركية في التوغل داخل الحدود العراقية لمسافة 30 كم عمقاً.

(121) مستل من إسماعيل العارف، مصدر سابق، ص. 279

الفوقي للحكام، **لأنها هدف الجميع**، كما كان يعتقد بصدق في سريرته الداخلية[122].

وبعد إن برز الزعيم قاسم في المجال الإقليمي والعربي، وهدأت حدة الهيمنة الناصرية بعد الانفصال [نشأت في تلك الفترة فكرة إقامة اتحاد عربي وثيق بين **مصر وسوريا والعراق**، وقد تحمس عبد الكريم قاسم لها وجرت اتصالات سرية بين الأطراف الثلاثة، حتى إن الزعيم عبد الكريم صرح في 15 حزيران (يونيو) 1962، أن الحدود ستختفي بين العراق وسوريا وإننا شعب واحد ووطن واحد وأشار وزير خارجية العراق... أن التعاون بين العراق ودمشق والقاهرة سوف يوقف التدهور في العلاقات العربية ويمهد الطريق إلى التفاهم حول الكويت... غير أن العناصر المعادية للعراق ولقيادة عبد الكريم قاسم بالذات في كل من سوريا والعربية المتحدة أجهضت الفكرة وشنت حملة معادية عليها وعلى الحكومة السورية...[123]]

إن العلاقة الجدلية التي خطها الزعيم قاسم بين واقع العراق وانتمائه العربي، ناقضت في الجوهر السياسة العملية لكل الحكومات (القومية) التي جاءت قبله ومن بعده، (وعلى الأخص في العقود الثلاثة الماضية ـ الفترة البعثية الثانية) التي استمدت بعضاً من شرعية استيلائها على السلطة وجودها فيها وما تضمنه خطابها السياسي من مناهضتها لحكم

---

(122) للمزيد راجع خطب الزعيم قاسم في مناسبات مختلفة، وخاصة التي لها علاقة بالعالم العربي. علماً بأن هذه الموضوعة قد تطورت لديه مع مرور الزمن، ضمن رؤيته المركزية للعراق.

(123) راجع إسماعيل العارف، مصدر سابق، ص. 295. هذا الموقف الوحدوي للزعيم قاسم والذي رفض فكرة الهيمنة لطرف على حساب الآخرين، قد أحبطه البعث العراقي والقوى الدولية التي وقفت خلفه، حيث كما يقول طالب شبيب، قد أدركوا [أن ذلك سيكون على حساب التيار القومي في العراق وذلك يعني أن عبد الناصر قد بدأ يقتنع بنهاية الجمهورية العربية المتحدة كأداة للوحدة ويتقبل قاسماً حاكماً للعراق... فقد دفعت مشاعر التحدي أغلبنا إلى نقيض ما كان يسير عليه التيار الحكومي العربي] د. علي كريم سعيد، عراق 8 شباط، مصدر سابق، ص. 49. لكن لم يذكر شبيب من كان يقف وراء هذه المشاعر. يعيد تركيب الصورة حسن العلوي عندما قال: إذ [مهما ابتعدنا عن الاستعانة بدليل، لوجود قوي وفعال للعامل الدولي في عملية إسقاط ثورة تموز والإجهاز عليها وإعدام قائدها في الحال فإننا لا نجد مخرجاً سوى أن نكرر بأن العامل المحلي لم يكن على الإطلاق إلى جانب نجاح الانقلابيين، فما زالت الأغلبية الساحقة من العراقيين مشدودة إلى عبد الكريم قاسم.] راجع حسن العلوي، الشيعة والدولة القومية في العراق، مصدر سابق، ص 210

الزعيم ونهجه القومي الواقعي. إذ كانت تصخب إعلامياً، ولا تزال، حول الوحدة العربية، ولكنها أصبحت أكثر قطرية من القطريين أنفسهم، والأكثر إساءةً لفكرة وهدف الوحدة النبيل، عندما تقوقعوا عملياً في أتون المحيطات الفكرية الضيقة للقرى وتحالفاتها العشائرية، بل والأسرية والعائلة الواحدة.

إن سياسة الزعيم قاسم الجدية على سبيل المثال لا الحصر، للقضية العربية المركزية (فلسطين) ودعمها بكل السبل، أثار حفيظة المركز الإمبريالي الأمريكي وتوابعه العربية وغير العربية في المنطقة، والتي هددته أكثر من مرة، إذا لم يكف عن هذا المسار الجاد[124].

وهذا ما أشار إليه في آخر تصريح صحفي له رداً على سؤال الصحفي إدوارد صعب، حول وجود مؤامرات تهدد النظام، فأجاب:

---

(124) يذكر د. علاء الدين الظاهر، في تفكيك التجني، الحلقة الثانية: [طالب عبد الكريم قاسم بالهجوم المفاجيء على إسرائيل، فعندما طلبت الجمهورية العربية المتحدة في بداية 1959 إرسال فرقة عسكرية عراقية إلى سوريا تحت حجة الخوف من هجوم إسرائيلي، قال عبد الكريم قاسم لرئيس الوفد العسكري المصري: هل عندكم في القاهرة الاستعداد للتوقيع على عمل معين ضد إسرائيل أو صلاحية للتوقيع على هذا العمل؟ اعتذر رئيس الوفد المصري قائلا بأنه لا يملك صلاحية النقاش في مثل هذه الأمور. فرد عبد الكريم قاسم «في الأسبوع القادم وفي مثل هذا الوقت نجتمع هنا مع صلاحية لديكم للتوقيع على عمل معين ضد إسرائيل». وبعد أسبوع عاد الوفد العسكري المصري فقال لهم قاسم «إسرائيل دوخت العرب وهي سرطان في الأمة العربية وفي كل معاركنا معهم لا تتجاوز حدود المعارك عن استيلائهم على قرية عربية أو احتلالنا لتله عربية وهذه أمور غير مجدية إزاء الخطر الأكبر الذي يهدد الأمة العربية.. هل لديكم استعداد ومن هذه اللحظة بوضع خطة هجومية لاكتساح إسرائيل وليكن بعد ذلك ما يكون؟» فأجاب رئيس الوفد المصري: الموقف الدولي لا يساعد. فرد عبد الكريم قاسم: يا أخي الموقف الدولي لا تتوقعه أن يكون يوماً إلى جانب العرب ولا تتوقع أن تكون أمريكا مع العرب أو حتى بريطانيا أو الغرب كله. إنني أضمن الاتحاد السوفيتي والصين (وخلي نتوكل على الله) ونمسح إسرائيل من الوجود. فرفض الوفد المصري، وقال رئيس الوفد: لم نأت إلى بغداد لهذا الغرض، نحن جئنا من أجل وصول فرقة مدرعة عراقية إلى سوريا. وعندما تعب قاسم من مماطلة الوفد المصري خرج من الاجتماع غاضباً وهو يقول للزعيم الركن محي الدين عبد الحميد قائد الفرقة الرابعة المدرعة (خلي فرقتك جاهزة للحركة إلى سوريا خلال 6 ساعات وتنذر قطعاتك فوراً...) كانت هنالك معلومات أكيدة لدى قاسم أن عبد الناصر كان ينوي استخدام هذه الفرقة للتحريض ضد نظامه] جريدة الزمان في 2000/03/13 العدد 572.

[هناك مؤامرة أخطر، وهذه ليست موجهة ضد العراق ولا ضد سوريا، إنما ضد فلسطين بشكل خاص. فهناك مؤشرات في الأجواء توحي بوجود مؤامرة لتصفية المشكلة الفلسطينية تقودها الولايات المتحدة الأمريكية. وهم يدركون أن النجاح في تنفيذها يقتضي التخلص قبل كل شيء من الحركات التقدمية المناهضة لإسرائيل. والأمريكيون يتمتعون سلفاً بتواطؤ عدد من الدول العربية ولم يبق عليهم سوى خنق سوريا والعراق[125]] وبعد هذا الحديث بأربعة أيام، أُعدم الزعيم الحياة بخمسة من قبل قوى انقلاب شباط القادمين بالقطار الأمريكي[126]، وبعد شهر واحد أُطيح بالحكم السوري.

13 ـ لم يستمد الزعيم قاسم منظومة قيمه وأفكاره وسياسته العملية من الشعارات السلفية الماضية، ولا النظريات اللا واقعية. إنما استمدها من واقع العراق المادي آنذاك ومن الأهداف المستقبلية المبتغاة. كما أنه أدرك، أن بلوغ ذلك يتطلب هدم وتقويض أسس المجتمع القديم ومعادلاته الخاطئة. لكن هذه السلسلة من (الهدم ـ البناء) انقطعت قبل أن تستكمل كامل مشوارها، [نتيجة عدم السيطرة على ديناميكية الصراعات بين القوى والأفكار في الداخل مع عوامل ضغط خارجي فرضته السياسات الاستعمارية الغربية والتيار القومي الناصري[127]]. ودول الجوار وكذلك بعضٌ من سياسة الزعيم قاسم نفسه.

14 ـ لم تنحُ السياسة القاسمية نحو تكوين نخب حاكمة ضيقة، كما كان قبله واشتدت وتائرها من بعده، وتركزت بصورة أفظع في عهد البعث الثاني البكر ـ صدام (1968 ـ نيسان 2003)، إذ لم تعتمد سياسة قاسم على الولاء الطائفي؛ المناطقي، ورابطة الدم (العائلة والعشيرة والقبيلة)، والعلاقات البدائية، لذا لم يفسح المجال لخلق فئات جديدة نخبوية تستحوذ، عبر الصلات الرسمية واللا رسمية، على الفائض أو الريع الاقتصادي المتحقق خاصةً عبر مؤسسات الدولة الريعية، كما رأيناه في الحكومات الملكية والجمهورية العسكرية وتلك ذات الصلة القرابية. في وقتٍ كانت سياسته العامة تستهدف الأكثرية الشعبية وخاصة الطبقات والفئات الكادحة والفقيرة، والتي كانت

---

(125) مجلة أصوات، مصدر سابق. ص. 43

(126) حول هذا الموضوع راجع الفصل الثاني من كتابنا: عبد الكريم قاسم في يومه الأخير، مصدر سابق.

(127) كامل شياع، عن التاريخ والتأويل، مصدر سابق، ض. 29

مادة الثورة وهدفها، وكذلك قاعدة الحكم التي تضم جمهرة واسعة من الفئات الوسطى التي ترسخت أسس تراكمها الكمي والنوعي، ورأت تبلور ذاتها وانطلاق توسع تكوينها ومشاركتها في القرار السياسي.

15 ـ لم تكن ثورة الرابع عشر من تموز ولا قيادتها مدينة لأحد، ولا لأي نظام سياسي قائم آنذاك، سواءً في المنطقة أو خارجها. إذ كانت تغييراً عراقياً صرفاً، فكراً وتنفيذاً، طموحاً وتعبيراً عن القوى الوطنية العراقية بأغلب مكوناتها، مما فسح المجال لاستقلالية قرارها السياسي. هذه الخصائص المميزة أوقعت الثورة وقائدها في إشكاليات مع قوى الجوار وخاصةً العربية منها وكذلك تصادمات مع استقطابات المراكز الرأسمالية العالمية وتنافر مصالحها. طالما أن المبادرات السياسية في المنطقة، مرتبطة، لأسباب تاريخية متعددة، بهذه المراكز وبردود أفعالها التي يجب أن تؤخذ بعين الاعتبار. وقد قبلت دول المنطقة هذه اللعبة واعترفت بها وتأقلمت معها، باستثناء عراق الزعيم قاسم، الذي مثل خروجاً عن هذه اللعبة، مما استحق إصرار هذه المراكز على (عودة الحصان الجامح إلى الحظيرة ـ حسب قول الايكونومست البريطانية) وإلا إبادته كذات ومشروع! وهذا ما حققته في شباط 1963.

وهكذا كانت [الثورة العراقية أكثر من ظاهرة عراقية، فهي كانت ذات ملامح عراقية متميزة ولكنها كانت أيضاً ذات معنى عربي أو إقليمي. فالأسرة العربية الكبرى لو قسمت إلى وحدات غيورة ومتناشزة تشكل منظومة صغرى محددة في النظام العالمي، وهناك في هذه المنظومة الصغرى «خطاب مشترك» ينبع أساساً من اللغة المشتركة التي تجمع بين وحداته. وحتى لو بمقتضى هذا الطرح وحده وكذلك لأن العراق كان حلقة في سلسلة القوة الإمبراطورية البريطانية وأحد البلدان العربية الأكبر حجماً والأكثر ثراءً فقد كان من المحتم أن تردد أصداء الثورة العراقية في المنطقة(128)].

16 ـ من الملفت للنظر، أن منظومة القوى التي عادت الزعيم قاسم، الداخلية والخارجية، كانت من الضخامة بمكان، لم يصادفها العراق في كل تاريخه المعاصر، ولا أي نظام حكم في المنطقة، حيث اجتمعت الأضداد المتناقضة واتحدت على هدف إسقاط حكمه

---

(128) حنا بطاطو، عودة إلى الطبقات الاجتماعية القديمة، ترجمة فالح عبد الجبار، الثقافة الجديدة، العدد 298، ص. 55.

والقضاء عليه، بعد أن يئست من احتوائه، **نظراً لكليته وسعة موضوعه وعدم مهادنته وممارسته العضوية المتسمة بالحق الصريح والاستقامة.**

عكست الزمر المؤتلفة ضده واقعاً سياسياً وأيديولوجياً غاية في التعقيد، إذ كانت عناصرها متضاربة، ولم تكن بالضرورة متفقة فيما بينها أو/ ومتفاهمة كلية، وإنما كانت تصورات بعضها الاستراتيجية ومصالحها تتناقض بصورة تناحريه أو غير تناحرية، وتتقاطع مع البعض الآخر.. وهذا ما تدل عليه قائمة الشخصيات والأحزاب السياسية والدول التي ساهمت، بهذه الصورة أو تلك، في نشاطات متعددة الجوانب ضد حكومة الزعيم قاسم منها على سبيل المثال: [جمال عبد الناصر؛ كامل الجادرجي؛ محمد الخالصي؛ ساطع الحصري؛ ميشيل عفلق؛ كميل شمعون؛ محمد محمود الصواف؛ فائق السامرائي؛ بيار الجميل؛ الشيخ عبد الله السالم الصباح (أمير الكويت)؛ الملك سعود؛ الملك حسين؛ أكرم الحوراني؛ عبد الرحمن البزاز؛... واشتركت أحزاب دينية وقومية، وحركات سياسية عربية وكردية في نشاطات متعددة الجوانب ضد حكومة عبد الكريم قاسم منها: حزب البعث؛ القوميون العرب؛ الأخوان المسلمون؛ الاتحاد الاشتراكي؛ الحزب الديمقراطي الكردستاني؛ الكتائب اللبنانية؛ الوطنيون الأحرار اللبنانيون؛ حزب النجادة؛ المقاصد الإسلامية؛ الحركة الدينية في العراق[129].] الشيعية والسنية وبعض رموز الحركة التركمانية والكردية ومشايخ العشائر الكبرى وبعض أجنحة اليسار، وأغلب دول الجوار، إن لم يكن جميعها، وإسرائيل والمراكز الرأسمالية.... الخ.

هذا الكم المتباين والمتناقض في كل شيء، عدا العداء للزعيم قاسم، ألا يثير الاستفهامات والتساؤلات عن ماهية الأسباب التي حملته على مناصبة العداء للزعيم قاسم وحكمه؟ وكيف اجتمعت المتناقضات والأضداد من اليمين واليسار والوسط، العلماني والديني، التقدمي والرجعي، على ذلك؟؟؟؟. أليست هذه الظاهرة ـ **ظاهرة وحدة الأضداد دون نفيها**، جديرة بالتوقف عندها وسبر غور أسبابها وماهيتها!!. إنها، بالحساب البسيط، نقطة مضيئة لصالح عبد الكريم قاسم ونهجه ودلالة على أهميته ومشروعه ونجاحه في جمع شمل هذه المتناقضات، ومنعها من التأثير السلبي على العراق ومصالحه طيلة مدة حكمه لواقع انتقالي ولبلد له مكانته الحساسة.

---

(129) حسن العلوي، الشيعة والدولة القومية في العراق، ط الثانية، ص 209. دار النشر بلا 1990.

وفي مرحلة تميزت بالصراع الحزبي الذي نخبه القيادية لم تكن متفهمة وغير مدركة لسنن التطور العامة ولا لواقع العراق ومشاكله الاجتماعية والاقتصادية/السياسية الأساسية ناهيك عن الرئيسية وأولويات حلها. كما أنها تميزت بانعدام التناسب والتوازن الحسي بين الأهم والمهم، بين الأساس والرئيسي، بين الرئيسي والثانوي، بين الدائم والعرضي.. كما أنها لم تكن لها القابلية على احترام الرأي والرأي الآخر والتعايش معه جنباً إلى جنب وممارسة العمل السياسي وفقاً لقواعد اللعبة السياسية المتفق عليها. إنهم لم يفقهوا تسوية خلافاتهم على **قاعدة القاسم المشترك** والمصلحة الوطنية العامة. فكانوا بلاءً، أو بالأحرى الكثير منهم، ومعرقلين للمسير اللاحق. مع إدراكنا المسبق في اختلاف النسب في هذه المواقف بين قيادات هذه الأحزاب والقوى الاجتماعية.

17 ـ وارتباطاً بالنقطة أعلاه، تطلب الوضع الجديد لعراق ما بعد الثورة، بصورة استثنائية، ضرورة ولادة نسق من التفكير وأسلوب عمل جديدين بغية تأسيس المجتمع المنشود المنطلق من الذات الجمعية العراقية. وهذا ما افتقدته أغلب قيادات القوى السياسية جميعها. مما أدى بالزعيم قاسم إلى تركيز بعض من أنساق الإدارة السياسية بيده، وإدارة واقع الحكم من خلالها، في الوقت الذي كان المفروض بهذه النخب السياسية والحزبية أخذ زمام المبادرة والعمل المشترك وبالتالي تخفيف حدة الصراع والاحتراب الذي شب بينها. مما دلل على عدم وعيها لماهيات المرحلة ومتطلباتها وتكتيكاتها.

في حين وقف الزعيم قاسم ليلعب هذا الدور، تحت إلحاح الضرورة، والذي أصاب به نجاحاً، مما يؤهلنا للقول، بالإضافة إلى مواصفاته الأخرى، أنه يملك صفات رجل دولة من طراز قل نظيره في بلدان عالم الأطراف، ولا نبتعد عن الحقيقة إذا قلنا في بلدان الشرق الأوسط.. وسنكون أكثر صدقاً مع الموضوعية وذاتنا في العراق المعاصر. ومن الأدلة على ذلك، أن فقراء بلدي وجماهيره الكادحة لم تفقد إيمانها به [لقد اقتبلوا عطفه المفرط عليهم وعلى مصائرهم بوصفه عطفاً حقيقياً لا شائبة فيه وهذا هو الواقع[130]]. وفي ماهية هذا الجوهر تكمن الفكرة النبيلة في الذات النبيلة.

---

(130) اوريل دان، مصدر سابق، ص. 472

5 ـ نقد عبد الكريم قاسم:

(اعلم أن كمال الوجود وجود النقص فيه، إذ لو لم يكن لكان كمال الوجود ناقصاً بعدم النقص فيه)

ابن عربي

تتطلب الموضوعية منا أن نسلط الضوء المكثف على تلك المفاصل التي نرى فيها مقومات ضعفه وأخطائه، التي أثرت سلباً أو كبحت من فعالية مجمل الظاهرة التموزية/ القاسمية، بغية استكمال مواقع الرؤيا فيها، حتى نستطيع تقييمها بشموليتها، طالما أن [التاريخ يتمحور بتأرجحه بين خطوة للأمام وخطوة للوراء، بين خلق ممكنات مرغوبة وبين وأدها في أية لحظة(131)]. ووفقاً لـ:

ـ مكان وزمان ظهورها؛

ـ وثقل العوامل الأساسية التي مسكت بلحمة الواقع المادي للمجتمع العراقي آنذاك والتي أنتجت وأعادت إنتاج نفسها بنفسها في عدة صور وانعكاسات متقاربة؛

ـ ومن منطلق محدودية إمكانيات الفرد/القائد مهما كان؛

ـ ومن قاعدة (من لا يعمل لا يخطىء).

هدأت في الآونة الأخيرة، بعض من أوار عاصفة الحقد ضد عبد الكريم قاسم، بعد أن مر البلد منذ رحيل سلطة تموز/قاسم ولا يزال، بتجارب أليمة عديدة، وحكمه كثيرون ممن ساهموا في الإطاحة به والقضاء عليه، والذين شوهوا سمعته في حياته أو بعد مماته، التي كانت بمثابة جواز مرور لهم للسلطة.

لقد كتب السلطويون التاريخ بلغة المنتصر الخائب المهزوم داخلياً، عارضين أنصاف الحقائق الملوي عنقها، التي عكست فلسفتهم الحياتية، ليس ضد الزعيم قاسم فحسب، بل العديد من مفاصل سياسته وطبيعة توجهاته وعمق أثرها على تاريخ العراق المعاصر ومضامينه.

هذا الكم الهائل من الكتابات والتقييمات ذات الأهداف والغايات المتباينة، بل حتى المتناقضة، كانت تفتقر إلى الكثير من الموضوعية والدقة التاريخية والانفصال عن زمنية المرحلة وصيرورتها، ناهيك عن التناول المنطقي للظاهرة التموزية/ القاسمية.

---

(131) كامل شياع، الثقافة الجديدة، ص. 27/ مصدر سابق.

إذ كان الكثير منها ولا يزال عبارة عن **استمناء فكري مأزوم** لشخصيات غير قويمة سياسياً على الأقل مقارنة بقاسم، وهذا ما أثبتته المرحلة التاريخية التي حكموا فيها، المتسمة بعقم تجربتهم وخوائها الإنجازي والمعرفي؛ وأفصحت عن بونبارتيتهم في تعطشهم وحبهم للسلطة لذات السلطة؛ وقروية مساحة المنطق والمنطلق الذي حكموا به منذ أن أُغتيل ورُحِلَ مبكراً الزعيم عبد الكريم، ناهيك عن الدمار الشامل الذي أصاب المجتمع العراقي بكل أبعاده.

لا يزال ذات المنهج مطبقاً حالياً، إن لم يكن أسوأ بما لا يقاس، سواء من قبل السلطة، أو من قبل مخربشيها من الكتاب، رغم بروز ما ندر، في الآونة الأخيرة، من بعض التقييمات الخجولة ممن كان له موقف مناهض للزعيم آنذاك، وكان بعضها الأندر جريئاً في نقد مواقفهم وتجاربهم السابقة، وبما اتسمت به من وكرية ولا موضوعية، من عقم مادي وروحي وعدم إمكانيتهم في إعادة إنتاج الظاهرة العراقية والارتقاء بها نحو مرحلة نوعية كما عمل قاسم، الذي أمسى هاجساً لكل الحكام من بعده، والذي كان يقوض مشاريعهم ويفشل سياستهم الفاشلة بالأصل.

سنحاول طرح النقد من جانب الملتزم موضوعياً وأخلاقياً وسياسياً مع المضامين الجوهرية للظاهرة التموزية/القاسمية. وإن اعتراه عدم الدقة أحياناً نتيجةً لغياب المصادر الأساسية التي تثبت بعض استنتاجاتنا كالمراسلات والتقارير الرسمية لمختلف المؤسسات. وخاصة ما يتعلق بكيفية رسم القرار السياسي المركزي في زمن الزعيم قاسم ومجلس الوزراء، والتحقق مما نشره المناهضون له على مختلف الأصعدة[132].

وعندما نحاول، مع العديد من الباحثين الأكثر التزاماً وموضوعيةً، في **(تفكيك التجني)**[133] **عن شخصية الزعيم قاسم، فإننا ننطلق من ذات المنطق الذي يرى أنه: [لم يظلم زعيم وطني عراقي مخلص لشعبه ووطنه وللقضايا العربية كما ظلم عبد الكريم**

---

(132) هذا ما سنحاول تلافي ما أمكن منه في دراستنا التي نعدها حاليا السيرة الذاتية للزعيم قاسم، والتي من المؤمل صدور جزئها الأول في هذا العام أو مطلع العام القادم وبعنوان [من ماهيات السيرة الذاتية لعبد الكريم قاسم 1914 - 1958].

(133) بدأ العديد من الكتاب المساهمة بهذا الموقف منهم د. علاء الدين الظاهر، د. عبد الخالق حسين، د. عزيز الحاج د، عدنان فاضل، ومحسن شبوط وكاظم السماوي وحسن العلوي، د. وليد عبد الخالق، وليث الزبيدي وكاتب هذه السطور وغيرهم من الجمهرة الواسعة من الصحفيين والكتاب العراقيين والعرب الموجودين خارج جغرافية أنظمة القمع الاستبدادي.. كما برز في الآونة الأخيرة بعد سقوط نظام صدام حسين حركة شعبية عفوية غير منظمة تساهم بالعمل ←

قاسم] ، وفي الوقت نفسه [**فلم يكن بدوره ملاكاً أو قديساً، وله مسؤولياته في تدهور الأوضاع السياسية آنذاك**[134]]. والتي يمكن أن نرجعها، حسب اجتهادنا إلى الظروف والعوامل التالية:

1 ـ بعضها مما له علاقة بمنظومة مكوناته الفكرية التي استمدت مضامينها من الثقافة التقليدية، المستنبطة من واقع العراق مطلع القرن الماضي ومن ثقافة المؤسسة العسكرية؛

2 ـ من قلة تجاربه الحياتية المبكرة في الشؤون السياسية وخاصة النظرية منها وما يتعلق بالصراعات الاجتماعية وتناقضاتها والإدارة الاقتصادية ونظرياتها والنظريات الدستورية والقانونية وتشعباتها والفلسفية وتعددها؛

3 ـ من ردود أفعال صراع القوى الاجتماعية والمواقف السياسية إزاء كيفية حل التناقضات وتقنينها عملياً وسنها تشريعياً؛

4 ـ مما أجبرته الظروف الواقعية على القيام به رغم تعارضها وماهية أفكاره؛

5 ـ من الواقع السيسيولوجي والموروث الثقافي المتمحور حول «الزعامة الملهمة» و«عبادة الأبطال» وتقديسها؛

في البدء لابد من الإشارة إلى أن [... هذه النواقص يجب النظر إليها على ضوء الانهماك الكبير بالصراع السياسي الداخلي والخارجي. فالمؤامرات مستمرة وسيل الدعاية المعادية من الإذاعات الخارجية تعكس تيارات عقائدية متضادة من جهات مختلفة وتخلق جواً من عدم الثقة وعدم الاطمئنان، كثيراً ما تحول الاهتمام من الأعمال البناءة وإعمار التطوير الداخلي[135]].

كما أن بعضها هو نتاج موضوعي يكمن في طبيعة الطبقة الوسطى التي هي في طبيعتها ليست متجانسة ولا متناغمة ولا موحدة.. إن النخبة الحاكمة، الكثير منها عسكريون، [**تميزت واقعياً بانعدام استقرارها وميلها الشديد للانقسام، تشهد على ذلك**

← الفكري والتنظيمي لبيان ماهية حقيقة عبد الكريم قاسم.. وهذا ما يستدل عليه من الكتابات الموجودة في الصحف العراقية، ومما ينشر في المواقع العربية عامة والعراقية خاصة في شبكة الانترنيت العالمية.

(134) د. عزيز الحاج ـ تقييم القادة الوطنيين بين التجريح والتقديس. جريدة الزمان في 2000/04/27، لندن

(135) أديث وائي، أيف، بينروز، العراق دراسة في علاقاته الخارجية وتطوراته الداخلية 1915 ـ 1975ترجمة عبد المجيد حسيب القيسي، ص. 456، الجزء الأول. الدار العربية للموسوعات 1989

المحاولات الانقلابية العسكرية الكثيرة، ومن الواضح وضوح النهار، إن عوامل الالتحام الحديث لم تكن كافية لوحدها للحفاظ على تماسك النخب العسكرية الوسطى الحاكمة. كما أن غياب أي شكل مؤسساتي مفتوح لتمثيل المصالح السياسية والاقتصادية المتنوعة والمتضاربة في المجتمع يجعل من المستحيل حل الانقسامات عبر الحوار...[136]].

وهذا ما كان مع الزعيم قاسم، حيث أدى هذا الوضع إلى ضعف التماسك الداخلي المقترن بتزايد التحديات الخارجية، إلى قيامه ببعض الخطوات التي لم تكن معبرة عمّا خطط له.. وأوقعه في لجة غير محسوبة النتائج ولم يترك له الزمن المضطرب فاصلاً زمنياً بين أفكاره وتطبيقها.

كان الزعيم قاسم يسلك، في العديد من المواجهات العملية، طرقاً ويتبنى **حلولاً كان مجبراً على تطبيقها وتحمل نتائجها في زمنٍ لا تكون فيها الظروف قد أنضجت عللها أو مسببات حلولها.. أو قد يدخل معارك لم يسمح له الوقت على مواجهتها، وفي بعض الأحيان تُخلق له مشاكل مصطنعة ومبوصلة بغية كبح جماحه وعقر مستلزمات الصيرورة، لذا وجد نفسه في مأزق، لأن ما أجبر على فعله سيتناقض مع مبادئه وسياسته.** منها على سبيل المثال:

- ما له علاقة بحل معادلة الصراع بين أولوية عروبة العراق أم عراقية العراق؛
- بصدد الحكم الذاتي للشعب الكردي وتحقيق طموحه القومي؛
- في المطالب الشعبية الجذرية وموقف مختلف القوى الاجتماعية منها؛
- في درجة استخدام العنف والحزم في إدارة الصراع السياسي/الاجتماعي وديمومته؛
- في تحرر المرأة وموقف المؤسستين الدينية والتقليدية المعارض؛
- في مدى عمق الإصلاحات في الريف وخلخلة توازناته الحساسة في منظومة قيمه وأعرافه العشائرية؛
- في محاربة الطائفية السياسية وموقف المتضررين منها؛
- في عملية البناء التطوري وتخلف أدوات السلطة المنفذة؛

(136) فالح عبد الجبار، الدولة والمجتمع المدني والتحول الديمقراطي في العراق، ص. 58، مركز ابن خلدون القاهرة 1995

- في المفاضلة بين الشعارات الحزبية المختلفة الضيقة وطبيعة مهمات المرحلة؛
- بين إشباع رغبات الناس المحرومين وبين الإمكانيات المتاحة زمنياً ومادياً؛
- بصدد المؤسسة العسكرية وإبعاد الصراعات الحزبية عنها بغية كبح الانقلابية العسكرية؛
- والمؤسسة الأمنية وآلية نسق عملها وتغيّر مهماتها الموروثة؛
- في سعيه لتعزيز الاستقلالية السياسية والاقتصادية ومواقف الشركات النفطية والمراكز الرأسمالية؛
- في العلاقة بين الأهداف الآنية والمستقبلية، المرحلية والاستراتيجية.. إلخ من المضامين الجوهرية لبرنامج عملي شامل للعراق ككل: كجغرافية سياسية وكمكونات اجتماعية وإثنية ودينية.

وعلى ضوء ما ذكر أعلاه نشير إلى العديد من النقاط التي يمكن اعتبارها عوامل يمكن أن ننقد سياسة ومواقف الزعيم قاسم عليها منها ما يلي:

1 - كان الزعيم قاسم يرى في ذاته تمثيل الكل.. وهذه إحدى دعائم طوباويته الثورية، التي غذتها ثقافته العسكرية من جانب والموروث الاجتماعي الذي لا يمكن فصله عن الواقع المادي للمجتمع من جانب آخر. كما كان يرى النظرة الواحدة إلى التكوينات الاجتماعية ويقيسها بالهوية الوطنية دون التعمق في اختلاف رؤاها ومصالحها. وهذا يتضح من خطبته: [يقول واحد: هذا قومي، ويقول الآخر هذا شيوعي وذاك بعثي والثالث ديمقراطي. وأنا **أقول هذا وطني وأبن هذا البلد**[137]] .

وكان أكثر عمقاً لفكرته عندما أفصح عنها بالقول: [**قمت بالثورة لصالح كل الناس إني دوماً مع الناس كلهم. أني فوق الميول والتيارات دوماً، وليس لدي انحياز لأي جانب كان إني أنتمي إلى الشعب بأسره، وإني أهتم بمصالح الجميع، وأسير إلى الأمام معهم كلهم، كلهم أخوتي**].

إن تكرار (الأنا) الذاتية هي ليست سمة الزعامة السياسية لقاسم فقط، بل هي سمة عامة لكل الزعماء السياسيين أو الممثلين للطبقات الاجتماعية والزعامة الروحية والدينية. في الوقت نفسه درس علم النفس الاجتماعي هذه الظاهرة من منظوره التخصصي الخاص وقد أشار إلى هذه الظاهرة باعتبارها سُنّة اجتماعية مضمونها:

(137) كما ورد في خطابه في كلية الاحتياط في الثاني من آذار/ مارس 1959

إن قائد أي مجموعة من الناس يشعر بتضخم الذات، مع الاختلاف في النسب. فالقيادة بحد ذاتها.. هي قمة عالية يكون تنفس الهواء عندها مختلف، ورؤيا المهام الجمعية المستقبلية ستكون ليس كما يتصورها أو يراها القابعون في وادي الطاعة والتنفيذ. كما أن (الأنا) العالية التي تميز هؤلاء القادة وستكبر أيضاً مع كبر المهام والمسؤولية التي أخذوا على عاتقهم تطبيقها بالتلاؤم مع الضرورة الاجتماعية. هذا من جهة؛

ومن جهة أخرى إن أقوال الزعيم قاسم المذكورة أعلاه كانت تمثل عصب الفكر الوسطي له، وكانت مرتبطةً إلى حدٍ بعيد بالزمن الذي قيل فيه وهو في أيار/مايو 1959 واشتداد حملة مطالبة الحزب الشيوعي على المشاركة في الحكم. كما أن رؤيته لنفسه (لتمثيل كل فئات الشعب) مثلت إحدى أفكاره المثالية التي انعكست على الكثير من المواقف والسياسات التي سلكها وأثرت سلباً في زخم صيرورة الثورة ذاتها.

من الناحية العملية لم يكن الزعيم قاسم يقف خارج الصراع الذي أبتدأ مع الثورة التي قادها، ووعى الأطراف المؤيدة لها من تلك التي عادتها في البدء أو تلك التي تهيبت من مسيرتها لاحقاً. لكن هذا الوعي لم يربطه بسياسة عملية تُبعد التأثيرات السلبية للقوى التي ناهضت فعل التغيير وصيرورته اللاحقة.

2 - اعتمد الزعيم قاسم في تحقيق أهدافه الجديدة على الكثير من أدوات السلطة القديمة، وخاصة في الأجهزة الأمنية وكبار منفذي قرار السلطة التنفيذية، الذين تظاهر كثير منهم بالولاء الشكلي له ولمشروعه، وفي أحسن الأحوال الوظيفي البحت. لكنهم كانوا في الحقيقة في تناقض، أو على الأقل في تعارض، مع قرارات السلطة وتوجهاتها العامة. لذا كانوا يقاومون عملياً الخطوات الجدية التي تهدد مستقبل مصالحهم المادية والأيديولوجية. لذا اخذوا يجسمون الأخطاء ويخلقون التبريرات ويهيمون بالتفسيرات اللامنطقية، بغية خلق قاعدة مادية للنفور من الثورة ومسيرتها. لذا [فلو أحسن الزعيم قاسم اختيار أعوانه لكان الأفضل] كما عبر أحد مناهضيه.

لنا من مواقف العديد من مفاصل قوى الأمن الداخلي خير مثال يضرب به هنا. إذ كانت ليس فقط ذات ولاء متدن له وللسلطة فحسب، بل كانت تعمل على الإطاحة به من خلال توصيل المعلومات إلى القوى المناهضة والمتآمرة عليه، وتحارب العناصر المؤيدة للنظام، وخاصة اليسارية والشيوعية، وتزج بهم في السجون بعد تلفيق التهم

الزائفة في حين تغض الطرف عن القوى المناهضة للحكم[138] لنا من الواقعة التالية، إن صدق عرضها، التي يعرضها إسماعيل العارف، والتي جرت بين علي صالح السعدي ومدير الأمن العام العقيد عبد المجيد جليل يوم التاسع من شباط 1963 خير دليل:

[اقترب منه السعدي يحاوره ويسأله عن أمر أصر عبد المجيد عن عدم الإباحة به، فبصق في وجهه وصفعه على وجهه صفعة قوية مؤذية. فبادره جليل قائلاً: «لماذا تضربني.. لولاي لما نجحت ثورتكم ولما استوليتم على الحكم» ، وبعد فترة قصيرة اقتيد عبد المجيد جليل إلى الساحة الواقعة خلف البهو ونفذ به حكم الإعدام رمياً بالرصاص في تلك الليلة[139].

هذا الموضوع يسري كذلك على بعض العناصر المحيطة به التي كانت تدير أعمال السكرتارية وترسم حدود القرار السياسي وشموليته، حيث تعاملوا مع الزعيم قاسم معاملة وظيفية بحتة، إن لم تكن مشحونة بالعداء السافر والتآمر عليه وهو يعرف ذلك، لنا من جاسم العزاوي مثلاً[140] يضرب هنا.

كما أن أغلب قادة الفرق العسكرية كانوا يتعاملون معه من هذا المنطلق ـ المنطلق الوظيفي البحت، وما عدم تحريكهم لقطعاتهم العسكرية يوم 8 شباط لمساندة الزعيم، رغم مناشدته لهم ووعودهم له، خير دليل.

3 ـ لم يستوعب، حسب رأينا، الزعيم قاسم شمولية وعمق عملية التغيّر الاجتماعي التي تمخضت عن إجراءات الثورة ولا النتائج الاجتماعية والجيو ـ سياسية التي ترتبت عليها

---

(138) للمزيد حول تدني ولاء الجهاز الأمني راجع هاني الفكيكي، مصدر سابق، كذلك د. علي كريم سعيد؛ مصدر سابق، أياد سعيد ثابت، عندما يواجه الثائر مصيره، ليبيا 1972، الجزء الثاني، د. حامد البياتي، أسرار انقلاب الثامن من شباط في الوثائق البريطانية، حيث يورد وثيقة للسفير البريطاني السابق في بغداد. تقول الوثيقة [... ولكن كنت مستغرباً أنهم أضمروا السوء لعبد المجيد جليل مدير الأمن. انطباعي أنه كان من وقت إلى آخر يتورط في مؤامرات ضد قاسم، إن الأمن كان ودياً معنا بدرجة كافية لإخبارنا بمعلومات سرية بين الحين والآخر عندما كان هناك شيء يجري ضدنا...]، ص. 248

(139) إسماعيل العارف، مصدر سابق، ص. 247.

(140) يعترف جاسم العزاوي ضمنياً بالتآمر على الزعيم قاسم، ويشير هو إلى شكوك قاسم فيه.. مع هذا بقي جاسم في منصبه الخطير وساهم يوم 8 شباط بتسليم الإذاعة لقوى التآمر وساهم في إسقاط النظام. راجع مذكرات جاسم العزاوي ثورة 14 تموز: أسرارها، أحداثها، رجالها، شركة المعرفة للنشر، بغداد 1990.

في الداخل والخارج، وما أحدثته من تهديد لمصالح الطبقات الاجتماعية القديمة والتقليدية ومنظومة قيم مؤسساتهما، وخلخلة توازناته في المجتمع. في الوقت الذي كان من الممكن تأجيل بعض مقومات المواجهة لمرحلة لاحقة، عندما تفقد هذه القوى المقومات المادية والروحية لوجودها الاجتماعي مع تطور الزمن وصيرورة البناء الجديد.

كما أنه لم يقس بدقة ردود الأفعال المضادة لمجمل سياسته من قبل القوى المتضررة الداخلية والخارجية، أو على الأقل إن قاسها بدقة، أن يتخذ الاحتياطات اللازمة لإجهاضها، مما أدى إلى توسيع محيط دائرة المناهضين. مثال ذلك قانون الأحوال المدنية وما أثاره من رد فعل لدى المؤسسة الدينية، رغم تقدمية القانون وضرورته للعراق الجديد.

4 ـ أبطأ الزعيم قاسم استكمال إعادة بناء مؤسسات المجتمع المدني التي تتلاءم وطبيعة المرحلة الجديدة وروح العصر، والمضامين الفكرية للسلطة الجديدة وقواها الاجتماعية وتطلعاتها المستقبلية. رغم الإقرار بأن الفترة الزمنية التي حكمها كانت من القصر بمكان، لم تتجاوز الـ(1666) يوماً فحسب، مقارنةً بالتجارب العديدة في البلدان المتشابهة أوضاعها مع العراق آنذاك من جهة، ومن جهة ثانية وعينا إلى عمق الإشكاليات والصراعات التي كبحت هذا الاستكمال. رغم أن بعضها كان موضوعياً، ناجماً عن فعل التغيّر ذاته، والبعض الآخر كان مصطنعاً من قبل القوى المتضررة، وبعضها الثالث كان سابقاً لأوانه.

مع ذلك لابد من الإقرار بالواقع الجديد الذي أرسى ملامح للمجتمع المدني المنشود، إذ تم تأسيس أكثر من 700 جمعية ونقابة ومؤسسة اجتماعية وسياسية مركزية (لم تحتسب فروعها العديدة.. مثل نقابات العمال والجمعيات الفلاحية ونقابة المعلمين وغيرها) مستقلة عن الدولة وأجهزتها، بالإضافة إلى سريان مفعول القانون الاقتصادي لكل القطاعات الاقتصادية، وتوحيد التشريع القضائي ليشمل سكان المدن والريف[141].

5 ـ لم يُكمل المشروع القاسمي مشواره بصدد حل المشكلة القومية للأكراد، إلى نهايتها المنطقية وتجسيد الإقرار الدستوري واقعياً، الذي سنته الثورة لأول مرة. رغم أن هذه الإشكالية والبطء في تحقيق الحكم الذاتي، آنذاك، تتحمله العديد من الأطراف، بمن

(141) لم يشمل النظام القضائي في المرحلة الملكية الفلاحين والمزارعين.. بل شملهم قانون قضائي مستقل مستنبطة أحكامه من منظومة القيم والعلاقات الاجتماعية للعشيرة. وكان يحابي في جملته شيوخ العشائر والإقطاعيين وملاك الأراضي على حساب الفلاحين.

فيهم الزعيم قاسم نفسه، [الذي كان يبحث عن حلٍ لها بنوايا غير تآمرية في حين نتائج استقرائنا لمشاريع عرضها رجال السلطة في مراحل مختلفة على الزعامة الكردية، إلى أنها محاولات خروج من مأزق خانق أو مآزق شخصية أو سياسية ليصبح الصعود إلى الصخرة خطوة غير مقصودة لذاتها...[142]].

في الوقت نفسه تتحمل قيادة الحركة الكردية ومنطلقاتها الفكرية وتحالفاتها السياسية مع أعدائها الاستراتيجيين، جزءاً كبيراً في ذلك، يضاف إلى ذلك طبيعة الحركة الكردية وتعقيداتها الدولية، **لأمة تتطلع، وهذا من حقها الطبيعي، نحو تحقيق وحدة ذاتها ووجودها القومي وحقها في تكوين كيانها المستقل.**

6 ـ إن تطبيق الزعيم قاسم لسياسة التسامح[143]، التي مثلت العمود الفقري لمشروعه، كانت وسيلة علاجية راقية لواقع متصارع ومتشظٍ، لكن يتطلب لتحقيق ذاتها، ظروفاً ووعياً اجتماعياً ملائماً لجوهر هذه السياسة، حتى يمكن حصد ثمارها. لكنها انقلبت في بعض الأحيان إلى عكس المبتغى منها، بل ساهمت في كبح تطور المجتمع والحد من فعالية الحكم ومراكزه وبالتالي إسقاطه.

إن تخلف الوعي الاجتماعي العام، وما يؤثر فيه وتتأثر به أشكال تجلياته الحقوقية والجمالية والفلسفية والدينية والسياسية؛ وعلى المستويين الفردي والجمعي، عوامل كبحت إلى حد كبير من تطبيق هذه السياسة المتحضرة والواعية لضرورات البناء

---

(142) حسن العلوي، البارزاني.. مئذنة عباسية من صخور الجبل/ جريدة المؤتمر في 14 تموز 2001، لندن

(143) يذكر خليل إبراهيم حسين، في الموسوعة، الجزء 2 هامش صفحة 262، أن الادعاء العام في محكمة الشعب طلب [توقيف كل من العقيد طاهر يحيى والزعيم ناجي طالب والعقيد إبراهيم الكيلاني والعقيد عبد اللطيف الدراجي والزعيم عبد العزيز العقيلي، **لثبوت علاقتهم بهذه القضية** (مؤامرة الشواف ـ ع. ن.) كما قال الادعاء. إلا أن عبد الكريم قاسم رفض أن يوقف العميد ناجي طالب أكثر من ليلة واحدة وذهب إلى داره، أما العقيد طاهر يحيى الذي تكرر ذكر علاقته على لسان المتهمين في المحكمة مرات عديدة وأنه كان مرجعاً لهم وأنه كان يزوره بعض الضباط للمداولة لأنه كان مرشحاً لقيادة الثورة في الموصل والذي طالب المدعي غير مرة بتوقيفه، فقد حُجز في داره لأن عبد الكريم رفض طلب الادعاء العام واستصحبه من مديرية الإدارة حيث كان بإمرتها إلى داره وبسيارته وأركبه بجانبه وعانقه بعد أن أوصله إلى الدار إكراماً لصداقته الطويلة مع طاهر يحيى]. لكن مع كل ذلك ساهم كلهم بعد إطلاق سراحهم، ثانية بعملية التآمر فطاهر يحيى التكريتي ساهم في انقلاب 8 شباط والحكم بإعدام قاسم، أما ناجي طالب فقد صمت بالموافقة على قتل قاسم.

الاجتماعي اللاحق وكونت وعياً بدأنا نشعر بأهميته بعد ما تعرض المجتمع لذلك الدمار العميق والشامل.

ورغم احتدام الصراع وتعقد الأوضاع، وازدياد العناصر الناقمة، واستغلال الفرص من قبل المغامرين والطامحين والحاقدين، وخاصةً الضباط منهم، ولكل منهم مأربه الخاص، كان يفترض بالزعيم قاسم، من الناحية السياسية، التحرك بمرونة لاسترضاء بعض القوى القريبة منه، وتأجيل بعض التناقضات لأجل حل تناقض أكثر ضرورة وأهمية، وتثبيت **قاعدة السلطة الاجتماعية والحكم بها وليس لها فحسب.**

7 ـ لقد أخذت الأحداث الواقعية والصراع غير المبرر بين القوى السياسية، القريبة موضوعياً من تموز ونهجه؛ وبروز تأثيرات الحركة الكردية؛ والتخفيض المتعمد لإنتاج النفط وأسعاره من قبل الشركات الاحتكارية؛ وكثرة محاولات الضباط المغامرين الانقلابية والتي بلغ عددها 39 محاولة، أي بمعدل محاولة لكل 43 يوماً؛ وتعمق تأثير عناصر الضغط الدولي (العربي والإقليمي والغربي)، وغيرها من العوامل، **أخذت دورها في احتواء الزعيم قاسم، مما أدى به إلى ممارسة سياسة غير مخطط لها، قدر كونها كانت تعبر عن مضامين (ردود الأفعال).**

هذا الظرف العصيب أفرغ الثورة من ذاتيتها إلى حدٍ ما، وفعل التغيّر من جوهره وتهميش دوره، مما أدى إلى تباطؤ فعالية مشروعه نظراً لاحتواء الظرف وتعقيداته إياه من كل الجوانب. لقد تحسس قاسم ذلك بكل جوارحه، بعد أن فرضت الظروف، رغماً عنه، في أن **يصبح هو كذات في مركز الصراع الاجتماعي/السياسي**، الذي اختزل إلى طرفين متناقضين، كان هو يمثل أحد قطبيه المستند إلى أكثرية شعبية غير منظمة، والقطب الآخر مثله المناهضون له على تعدد مسمياتهم وقاعدتهم الاجتماعية الضيقة.

ومع ذلك لم يتحرك لحسم الصراع القريب منه.. إذ كان مؤمناً (إلى حد المبالغة) بأن فكرة (الوطنية العراقية) وأولويتها وتغليب المصلحة العامة باعتبارها قوة ردع معنوية للقوى المناهضة وأداة لحل الصراع بين القوى الداخلية ذات المصالح المتضاربة، ووسيلة لتقارب وجهات نظرها المختلفة. وهذا ما كان يكرره دوماً. ففي إحدى خطبه ناشد القوى المتصارعة بالقول: [**أيها الديمقراطيون، أيها الشيوعيون، أيها القوميون، أتوسل إليكم أن تنبذوا خلافاتكم وتوحدوا قواكم في خدمة البلد**][144].

(144) لم يوضح لنا تاريخ عراق القرن العشرين.. أن **يتوسل المسؤول الأول في الدولة من القوى** السياسية بالقيام بشيء ما.. سوى عبد الكريم قاسم.. لقد رأت كل هذه القوى أن هذا ←

لكن هذا التوسل كان صرخة في واد لم تع هذه القوى مدى أهميته للبلد ولها كذات جمعية وفيما بينها المشترك الكثير. لكنها ظلت تتهامش حتى وصلت إلى حد الابتذال وتتصارع فقضت على نفسها وعلى الثورة ذاتها.

وكان الأخطر من نتائج سياسة (ردود الأفعال) أن تتراءى سطحياً، لغير المتعمق، كما لو أن سياسة قاسم العامة كانت متذبذبة، تتقاذفها الأهواء. في حين أن مضمونها الحقيقي ينبيء عكس ذلك.. خاصةً أن بعض مفردات هذه السياسة لم تحدده إرادته الذاتية، بل: **مستوى تطور التناقضات والحراك الاجتماعيين، ودرجة الخصومة وجذرها التاريخي بين الأقلية التي حكمت سابقاً والأكثرية المتطلعة إلى الحكم، مما أنتج وهماً سياسياً، جوهره ركز على انعدام القدرة القيادية للزعيم قاسم.** هذا الوهم الاتهامي، عند البعض عبر عن نزوة ذاتوية، بعضها كان ذات طابع عدائي، استهدفت تسفيه دور قاسم وتشويه صورته في أعين قاعدته الاجتماعية، غير المنظمة في الوقت نفسه، بغية شل قدرتها التعبوية في إسناد الحكم والتعجيل في تنفيذ غاياته المستهدفة الزعيم وقاعدة حكمه.

8 ـ لم يفصِل الدستور المؤقت الذي أصدرته سلطة تموز بين السلطتين التنفيذية والتشريعية، رغم وقتيته الانتقالية المستنبطة من ذات مرحلية الدستور ذاته، ومن طبيعة عدم استكمال بناء المؤسسات الدستورية المكملة الأخرى. إن عدم الفصل هذا أدى إلى سيطرة السلطة التنفيذية على التشريعية من جهة، مما أدى من جهة ثانية إلى مركزية في القرار، تركز في يد الزعيم قاسم. إذ [في البداية كان يسهل الوصول إلى قاسم، وكان مفتوح الذهن وشديد التوق إلى التعلم... لكن الأحداث وضعت المزيد والمزيد من السلطات في يديه، حتى لم يعد الوزراء يتخذون أية مبادرة من دون الرجوع إليه... وهكذا فإن قاسم الذي لم يكن له رأي ولا مبادرة الذي عرفته في العام 1958 بدأ يتذوق لذة كونه الرجل الوحيد في البلد. وبكلمات أخرى: لقد صنعنا دكتاتوراً (؟؟ ـ ع. ن) إن شعبنا في الحقيقة صانع للدكتاتوريين(145)]. ولكن مما يحد من غلواء هذا النقد ويعكس نفسية

← المنطق هو منطق الضعفاء وليس الحكماء الذين يبنون المجتمع المدني في رؤيا فاضلة.. زعماء هذه القوى جبلوا على إعطاء الدور الأساسي للقوة في حل الإشكاليات الاجتماعية والسياسية.. وعلى تلقي الأوامر الناهية أو معارضتها بالقوة وهذه الفكرة مستنبطة من منظومة القيم الاجتماعية للمجتمعات الزراعية ما قبل الرأسمالية..

(145) حديث هاشم جواد إلى حنا بطاطو، مصدر سابق، ص. 147، الجزء الثالث.

الزعيم ملاحظته التي أدلى بها في أحد أيام شهر تشرين الثاني 1958 إلى محمد حديد وزير المالية. فعند خروجه من مؤتمر المحامين الذي عقد في فندق بغداد، حيث كيل له المديح بكل اللهجات الممكنة، التفت إلى محمد حديد قائلاً: [أبو هيثم، أخشى فعلاً أن يصيبني الغرور[146]].

ورغم هذا التركز[147] للقرار فإنه لم يجنح نحو الصلاحيات المطلقة مقارنةً مع الحكومات اللاحقة له، وبما كان سائداً في دول المنطقة، **سواءً في دولة الأسرة الواحدة، أو/و دولة النخبة العسكرية ـ التسلطية أو/و في دولة الحزب الواحد، أو/ والجمهوريات الوراثية**.. هذا التركز النسبي للسلطة بيد قاسم لم يعبد الطريق نحو الاستبداد، بل كان متناسباً مع توزيع الصلاحيات على عدة مستويات، عمودية وأفقية ضمن هيكلة السلطة التنفيذية. والمؤسسات الإنتاجية في العاصمة أو المحافظات.

9 ـ كما يمكن أن يوجه النقد إلى عبد الكريم قاسم، على عظم المسؤولية التي أخذت الثورة على عاتقها تحقيقها، منها:

- إعادة تغيّر أسس تكوين الدولة وبنائها وفقاً للمنظور الجديد؛
- ضخامة مفردات برنامجها وشموليته لمختلف نواحي الحياة؛
- تطوير القاعدة المادية للإنتاج الاجتماعي والتسريع في ذلك؛
- وتبني سياسة خارجية تنطلق من مصالح العراق في علاقاته العربية والدولية... الخ

هذه المهام وغيرها أثقلت حركة سيرورة الثورة في هذا الظرف الزمني القصير والصعب في آن واحد، كما لو أنها كانت في عجلة من أمرها لتخوفها من المستقبل، حيث أدركت قيادة الثورة زخم ردود فعل القوى المتضررة واشتداد نزعتها لأجل القضاء عليها وقطع المسير المستقبلي للبلد.

10 ـ مثل الفقراء والجماهير الكادحة الشعبية، العصب المركزي في مشروع الزعيم قاسم

---

(146) المصدر السابق، ص. 146

(147) كانت مسؤوليات الزعيم قاسم هي: رئاسة الوزارة؛ قيادة القوات المسلحة، ووزير الدفاع وكالةً. وفي واقع نظام الحكم في العراق طيلة القرن العشرين. فإن هذه السلطات غالباً ما كانت تتركز في يد الشخصية القوية في الحكم سواءً في الملكية أو الجمهورية.. ولقد فاقها تركزاً في الجمهورية الثانية (شباط 1963 ـ نيسان 2003). ومما يثير الانتباه ملاحظة السيسيولوجي د. فالح عبد الجبار الذي رصد أن دولة المشرق العربي، وخاصةً العراق هي من أكثر مناطق العالم تمركزاً للقوة الاقتصادية.. وهي أكبر رب عمل ومستهلك في آنٍ واحد.

البنائي، **إلا أنه لم يحكم بهؤلاء وإنما حكم لهؤلاء.** وهذا ناجم عن تصوراته الفكرية الوسطية، مما أضعف مشاركتهم الفعالة في اتخاذ القرار وحكم أنفسهم بأنفسهم. **لقد أدرك الزعيم قاسم مدى حب الجماهير الكادحة له، لكنه ظل أسيراً لهذا الحب ولها**، مما أبطأ من حركة المشاركة الشعبية وتعميم الديمقراطية الاجتماعية والسياسية، والتي أحس بضرورتها في الأشهر الأخيرة من حكمه، ومع ذلك فقد كسب الزعيم قاسم المسار التاريخي للعراق والقوى التي حكم لها، رغم أن الثورة في البدء كانت من أعلى، ثم وجدت صداها قاعدياً نتيجة التغيير الذي أحدثته في الواقع المادي والروحي للمجتمع.

11 ـ لم يحاول الزعيم مراجعة ذاته القيادية وتعقب تقاطع مشاريعه التنموية والسياسية ذات المنحنيات الظرفية المتعددة، ومن ثم البدء من نقطة ارتقائها. كما لم يحاور قاعدته الاجتماعية والسياسية والقوى القريبة منه، كي يستمد منها مقومات المرغوب والمنتظر..[148]. وهذه كانت إحدى نقاط ضعفه، وهي بالحقيقة خارجة عن مثله العسكرية من جهة ومن جهة ثانية أعاقته الإشكاليات المصطنعة والواقعية من تحقيق ذلك. ومع ذلك جرب المحاولة مع كافة القوى السياسية بشكل لم تؤت ثمارها لتعنت هذه القوى في مواقفها المكتسية بالحزبية الضيقة والآنوية وتغليب الجزء على الكل، الخاص على العام، مما أدى إلى نشوء وضع جديد يصعب فيه العودة إلى الوراء.. في حين كانت الحياة تصرخ: هنا الورد فلنرقص هنا.

12 ـ لم يكن معسكر الزعيم قاسم والقوى المنضوية تحته متجانسة فكرياً ومتحداً تنظيمياً سواءً تحت قيادته، التي رفضها مراراً، أو رعايته لها على الأقل، إن لم يكن الكثير منها في حالة تصادم معه. كما كان الزعيم قاسم فاقداً لآلية توحيد مسارات توجهها عبر أي

---

(148) في الواقع جرب الزعيم قاسم مفاتحة القوى السياسية الأساسية في البلد منذ منتصف 1961، بعد أن هدأت عاصفة الاحتراب والصراع فيما بينها.. وقد ابتدأ بالتحاور مع كامل الجادرجي وفاتح الحزب الشيوعي، بل حتى حزب البعث وحركة القوميين العرب وقيادة الحركة الكردية. لكن هذه المحاورات لم تسفر عن نتيجة، نظراً للمواقف الحادة التي كانت الأحزاب السياسية تطرحها والتي تتناقض مع مشاريع بعضها البعض الآخر. وكان قمة التجافي من قبل حزب البعث كما وردت في مذكرات طالب شبيب، وكذلك مع الجادرجي كما عكسها في ملخص لقائه بالزعيم ووزع في حينه على الأحزاب السياسية، ومع الحركة الكردية التي رأت في إيران سنداً لها آنذاك ورفضت لقاء عبد الكريم قاسم الذي أعلن عن وقف القتال أكثر من مرة. في حين رحب الحزب الشيوعي بالفكرة، خاصةً وإنها اقترنت بإطلاق سراح المحجوزين والموقوفين سياسياً من كل الأحزاب، لكن لم تستمر هذه الفعالية إلى خاتمتها المرتجاة.

شكل من أشكال التنظيم السياسي الواعي. لقد كانت هذه القوى بالإضافة إلى تبايناتها الفكرية، موزعة بين شرائح وفئات اجتماعية يسودها التناقض واختلاف المصالح والأهداف وأولويات تحقيقها. فساهمت جميعها في وأد ذاتها وكبح الصيرورة المستهدفة وفقدان ماهيات الثورة.

13 ـ لقد أبطأت الظروف من عملية التحول البرلماني، رغم قصر التجربة والمرحلة الانتقالية، لكن أقنعت الحياة، بما فيه الكفاية، الزعيم قاسم، الذي كان مؤمناً بهذه القناعة في الوقت نفسه، إلى ضرورة الذهاب القطعي نحو الحياة الدستورية والبرلمانية، بعد أن هدأت نسبياً فورة الصراع السياسي الداخلي، وعدم سيطرة قوة سياسية واحدة وحدها على الشارع السياسي وحركته، ومنظماته الاجتماعية والمهنية.

كما أدرك عقم الحرب في كردستان العراق ومدى ضررها على العراق والأكراد أنفسهم، وحقهم في تنمية ذاتهم القومية، رغم تواطؤ زعامتها آنذاك مع أعدائهم الحقيقيين، ودنوّ قطف ثمار مسألة الفدرالية العراقية ـ الكويتية[149].. وبالتالي من حق الشعب في اختيار نوع الحكم وضمان سلامة تداول السلطة على قواعد جديدة تعكس فكر الواقع الجديد وطبقاته. لذا وعد[150] في آخر مقابلة له في الخامس من شباط 1963، أن الدستور سيشرع وولادة الحياة البرلمانية ستكون في تموز من العام نفسه.. وقد قال: [أما فيما يخص الدستور، فإنني أتعهد الآن علناً بأن لجنة من الخبراء ستشكل قبل نهاية شهر شباط هذا لتكلف إعداد مشروعي دستور دائم وتشريع انتخابي جديد... وفي كل الأحوال، إنني أتعهد علناً أمام الشعب بأن يكون عام 1963 هذا عام ولادة الجمعية الوطنية العراقية[151]].

ولقد أوضح خلفيات هذه الفكرة إسماعيل العارف بالقول: [إن الفكرة الأساسية للنظام الذي أراده كانت واضحة لديه، وقد كلف وزير العدل بتأليف لجنة من القانونيين المتضلعين لوضع مسودة الدستور الدائم للجمهورية العراقية مسترشدة بالدساتير الديمقراطية المطبقة في دول العالمين الشرقي والغربي ودول العالم الثالث. فوضعت مواد

---

(149) تشير الوثائق السياسية إلى أن الزعيم قاسم استلم في مطلع شهر شباط 1963 من السفير العراقي قاسم حسن ورئيس الوفد العراقي للمفاوضات السرية التي كانت تجرى في أوربا مع الجانب الكويتي المبادئ الأولية للاتفاقية. وقد وجدها الانقلابيون في مكتب الزعيم عند جردهم له. حول هذا الموضوع راجع حسن العلوي، أسوار الطين، كذلك مذكرات إسماعيل العارف.

(150) بصدد وعود الزعيم، فقد أعلن للملأ أنه [يتحدى أن يُذكر لي مثل واحد عن تعهد قطعته ولم ألتزم به في يوم الأيام] وكانت هذه من إحدى سماته الأخلاقية.

(151) راجع آخر تصريح له، مجلة أصوات مصدر سابق، ص. العدد 13، باريس 1993.

الدستور التي كان مقررا أن تعرض على لجنة موسعة لدراستها وتمحيصها ووضع اللمسات النهائية عليها ومن ثم تنتخب جمعية وطنية تناقش المواد وتقرر الدستور خلال الذكرى الخامسة لثورة 14 تموز سنة 1963.

وقد بدأ خلال سنة 1963 يستطلع آراء المقربين إليه ويناقشهم في طبيعة النظام الديمقراطي الذي ينشده لإعلانه في عيد الحرية الذي يصادف 24 آذار/ مارس 1963 وهو اليوم الذي انسحب العراق فيه من حلف بغداد... وقد أيد عبد الكريم قاسم تطبيق النظام البرلماني الذي يقول بوجود رئيس للوزراء مسؤول أمام البرلمان ووجود رئيس للجمهورية ينتخب من قبل الشعب مباشرة...

وفي يوم الاحتفال بعيد الحرية في 24 آذار/مايس 1962 أعلن عبد الكريم قاسم في خطاب ألقاه بهذه المناسبة تشكيل اللجنة الخاصة بإعداد الدستور الدائم. وعلى أثر ذلك صرح وزير العدل في 13 أيار/مايو أن لجنة تحضيرية قد تشكلت في وزارة العدل لتهيئة الخطوط الأساسية للدستور الدائم مسترشدة بالقوانين الدستورية العالمية لتسهيل عمل اللجنة الموسعة التي أعلن الزعيم عبد الكريم قاسم عن تشكيلها[152]].

لكن انقلاب شباط حال دون ذلك، لإدراك قادته من عدم تمكنهم من الوصول إلى الحكم عبر هذا الطريق السلمي، لضآلة حجمهم إزاء الأكثرية الشعبية، ناهيك عن إيمانهم الأعمى بالفكرة الانقلابية المعتمدة على مجموعة النخب المغامرة، ورفضهم للبرلمانية الحقيقية كوسيلة سلمية لتداول السلطة، ناهيك عن الارتباط بالعامل الدولي الذي كان يرى في قاسم حجر عثرة لابد من إزالتها.. وقد توافقت المصالح وقتل قاسم. وقد دللت التجربة التاريخية صحة هذه الفكرة.

14 ـ إن الزعامة السياسية لشخصية الحاكم وسجاياه الذاتية، تتجلى أبعادها الإيجابية في البلدان المستقرة سياسياً والمقترنة بوجود منظومة المؤسسات الدستورية وأنساق أعمالها المنتظمة ومنظمات المجتمع المدني وبالحرية الفكرية. هذه العملية الترابطية لم تكن وشائجها قوية في عراق القرن العشرين، وبعضها كان مغيباً بصورة كاملة، لسبب أو آخر، وسيرورة البعض الآخر كان بطيئاً، مما أثّر على زعامة قاسم ذاته وعلى البلد برمته وآفاق تطوره اللاحق.

وقد لعبت جملة من العوامل الداخلية والخارجية، الذاتية والموضوعية للزعيم قاسم والبلد وقواه السياسية وتكوينه الاجتماعي، دوراً سلبياً على جوهر الظاهرة العراقية

(152) إسماعيل العارف، مصدر سابق، ص. 433

في المرحلة القاسمية.. زاد الأمر بلاءً أن كثيراً من القوى، فرادى أم كليةً، كانت تضخم من ذاتها ومن رغبتها في وحدانية التمثيل، على تعدد أشكال صوره، ورأوا في أنفسهم القدرة الأكفأ على إدارة البلد من زعامة قاسم نفسه، لذا خلقوا الكثير من الإشكاليات ساهمت إلى حدٍ كبير في الإطاحة بالنظام بوعي أو بدونه وخاصة من القوى السياسية القريبة منه. مما أثّر على شعبية قاسم وتشظي قاعدة الحكم الاجتماعية، ناهيك عن القوى التي اختصرت الصراع وركزته في قتل قاسم والإطاحة به. مما فَعَّلَ عدم جمع قاسم لمكونات هذه القاعدة في كيان سياسي منظم ينطلق من ذات مشروعه الحضاري ويؤسس لتوازنات جديدة أكثر انسجاماً مع الظرف الزمني وأقرب تمثيلاً للواقع العراقي.. وبالتالي السيطرة على ديناميكية الصراع الاجتماعي والفكري وبوصلتها، بغية توجيه السيرورة القادمة للثورة، التي قطعها انقلاب شباط 1963.

بهذه الصورة الوجيزة والمكثفة كان عبد الكريم قاسم. وتلك كانت بعضاً من أدواره وكبواته، من أفكاره وممارساته، من تطلعاته وأهدافه، مما حقق وما أخفق، من إمكانيته وقدراته... الخ. وبتلك الصورة البشعة أعدم الحياة واستشهد يوم 9 شباط 1963 بعد أن حقق التغيير الجذري الكبير وحكم البلاد 1666 يوماً.. التي بقيت شاخصة كثير من معالمها سواءً في طبيعة إدارته للصراع الاجتماعي؛ أو في الغاية المستهدفة من التغير ذاته؛ ومن مآل وضع العراق على سكة المشروع الحضاري الحديث بعقلية متنورة انطلقت من ذاتية العراق بكل مكوناته الاجتماعية نحو الأمة العربية.. فأمسى ممن حقق للعراق تاريخاً جديداً على صعيد التغيير نفسه ومن هيأ الظروف لتعميق التغيير المادي، الذي كبحته الحكومات اللاحقة، إن لم نقل اجتثت ليس فعل التغيير المتحقق بل دمرت الأغلب الأعم من الأسس المادية للانطلاقة الحضارية التي أرستها قيادة عبد الكريم قاسم.

بعد هذا الاستعراض المكثف لسيرة قاسم، يطرح الاستفهام التالي نفسه بقوة الحقيقة والموضوعية التاريخية:

- ألا تقتضي إنجازاته والتغيّر الذي حققه الذي ضمن المسار التاريخي للعراق، أن نعيد له مكانته التاريخية: له كذات وللعراق كموضوع؟؟

- كان المفترض أن تتم هذه العملية الموضوعية والأخلاقية:

- بالأمس وليس اليوم، ربما اليوم ولكن ليس غداً، وليكن غداً إذا اقتضى الأمر ولكن ليس أبعد.

دلالات ومغازٍ[1]

(من أجل تاريخ حيادي للزعيم العراقي عبد الكريم قاسم)

سنسلط في هذا الجزء، الأضواء عما قيل بحق عبد الكريم قاسم، من شخصيات تم جمعها وانتقاؤها بصورة مدركة، تعكس في الوقت نفسه مختلف أطياف المدارس الفكرية والسياسية المتقاربة والمتعارضة، كان لبعضهم مواقف متناقضة، إن لم تكن متناحرة من ذات الزعيم قاسم.

وأوردت اقتباسات لآراء أكاديميين أجانب درسوا واقع العراق وفق الأساليب الأكاديمية، ومن منظورات فلسفية مختلفة ولأهداف متباينة، بعضهم كان ذا طابع حيادي نسبي، وقد توصلوا إلى قناعة معرفية تستحق الذكر والتسجيل، فاتت على الكثير من زملائهم العراقيين.

وبعضهم الآخر كان له مواقف مسبقة من الزعيم قاسم.. لكن الموضوعية والمتطلب الأكاديمي أجبرتهم على ذكر حقائق غيبتها الدراسات غير العلمية التي نشرتها الحكومات التي أعقبت قاسم في الحكم وهي محملة بالموقف المسبق ناهيك عن المنحاز. كما إنها تعكس وجهة نظر حزبية (بالمفهوم الضيق)، وبكونها ذات طابع ظرفي متعلق بطبيعة السلطة. إذ غالبا ما يرى الباحث أن واقعة ما تظهر بأشكال متعددة من ذات الكاتب أو التيار السياسي.

لكن في الوقت نفسه إن هذه الدلالات المستنبطة من المواقف المتغيرة في حراكها، تعكس منهجياً الروح الثورية في البحث العلمي والذي يقر عند دراسة أية ظاهرة (القاسمية

---

(1) لم يكن هذا الجزء من المحاضرات التي كانت أساس هذا الكتاب.. تم إضافته بعد ذلك. لذا لم ينشر في جريدتي الزمان والتلغراف في سدني - استراليا.

مثلاً)، ضرورة مرور مدة من الزمن على صيرورتها حتى نستطيع بدلالاتها المادية المتحققة أن نقيس تطورها من الناحية التاريخية من جهة، ومعرفة مدى ملاءمتها وتطابقها لنسق سنن التطور في ارتقائها الحلزوني من جهة ثانية، وبالتالي إعادة صياغتها وفق منظومة المقولات العلمية بثراءٍ أكثر تقارباً للصيرورة التاريخية للظاهرة في تجليها الحقيقي والصحيح.

إن هذه اللمسات ستلقي الضوء المكثف على أحد أهم الشخصيات العراقية، الذي ليس فقط مهد بالتغيير تربة البناء الحضاري والتغيير الاجتماعي فحسب، بل حتى إنه ساهم في إجراء التغيير الحقيقي ذاته نسبياً في مسار المجتمع العراقي.. وبعمله هذا كان مساهماً في كتابة التاريخ الحديث للعراق وفق الفهم الهيغلي للتاريخ.

سأترك للقارئ فرصة للتمعن في هذه الآراء، ومشاركته في البحث المعرفي وليصل إلى قناعة إن شاء، ستصب حسب قناعتي في بلوغ ما أردته التفكير به وهي:

أن أهمية ثورة 14 تموز تكمن ضرورتها في كونها كانت النقلة النوعية الحقيقة في تغيير واقع العراق المادي من جانب، ومن جانب آخر التعريف بمكانة رجل التغيير الأول في تاريخ العراق الحديث الذي قاده في أصعب ظروفه، وإعادة الاعتبار لمكانته الريادية في فعل التأسيس للمجتمع الحديث ذي النظام الجمهوري.

هذه الفكرة الأساسية سبق أن أوقدها كثير من الباحثين وشاركنا فيها.. وقلنا قبل أكثر من عقد من الزمن: **إذا كانت بالأمس مقموعة، فهي اليوم مهموسة، وسنجعلها غداً مدوية.**

ونؤكد في الوقت نفسه، نحن لسنا بصدد إعادة هذه الظاهرة بكل مكوناتها، لأن هذا اغتراب فكري وزماني، بل نرغب الانطلاق منها كمنهج عمل، ومفردات مكوناتها الاجتماعية/الاقتصادية كغائية مستهدفة لعراق حضاري قادم، ولنقل كلمة حق في قيادتها باعتبارها مَثَلاً في التسامح والزعامة السياسية الرائدة.

كما أن هذه الدلالات في الوقت ذاته ستميط اللثام عن تاريخ محجوب لوقائع ثورة 14 تموز ومسارها وعن تلك التغيرات العميقة التي أصابت ليس الواقع المادي للعراق بل حتى الثقافي والروحي. التي غيبتها الحكومات المتعاقبة وأهملها عن قصد العديد من الباحثين.

جاء ترتيب هذه الآراء بصورة قريبة من العشوائية، وليس هنالك من تفاضل في تراتبية العرض بين الأسماء المنتقاة، التي نأمل التوسع فيها مستقبلاً.

1 ـ يوم من حياة عبد الكريم قاسم:

عمل جاسم العزاوي، سكرتيراً لوزير الدفاع الفريق الركن عبد الكريم قاسم طوال مدة بقائه في الحكم تموز 1958 ـ شباط 1963. وقد اطلع على الكثير من مفردات حياة عبد الكريم قاسم وكشف في الوقت نفسه الأسرار والخفايا التي ساعدت الانقلابيين في 8 شباط على الاستيلاء على الحكم وإعدامهم الحياة للزعيم قاسم، الذي، في آخر المطاف، تيقن أنه خائن[2]، رغم التحذيرات السابقة لوصفي طاهر وفاضل عباس المهداوي وطه الشيخ أحمد ومدير الاستخبارات العسكرية آنذاك لعبد الكريم قاسم، من ضلوع الموما إليه في التآمر ضده.

يصف العزاوي بصورة مختصرة، يوماً واحداً من أيام عبد الكريم قاسم وكيفية تصرفه براتبه، ويعبر هذا الوصف ضمناً في بعض جوانبه عن موقفه الذاتي من الزعيم قاسم، يقول:

[كان عبد الكريم قاسم يحب ذاته، كثير الاعتداد بنفسه، ويحب النظافة والأناقة، ويعد نفسه شخصاً مميزاً في كل شيء. لا يقبل النقد من أي شخص مهما كانت صلته به، وكان خجولاً. لقد جعل من وزارة الدفاع دائرته وبيته فبنى جناحاً خاصاً به أشرف على بنائه المهندس قحطان المدفعي.

يبدأ عبد الكريم يومه بالنهوض متأخراً، فقد دأب على الاستيقاظ بعد الساعة الثانية عشر ظهراً، وبعد الحلاقة اليومية وارتداء ملابسه العسكرية يطلب من مراسله كوباً من الشاي والحليب. اعتاد المراسل تهيئته يومياً لأنه لا يطلب سواه. بعد ذلك يخرج إلى غرفته في حوالي الساعة الثانية بعد الظهر ويبدأ الاطلاع على الأمور المهمة والمستعجلة حتى الساعة السادسة مساءً، وهي وقت تناول الغذاء. كان يدعو إلى تناول الغذاء معه كل من هو موجود معه أو قريب منه برغم قلة الغذاء الذي يؤتى به يومياً من بيت أخيه حامد مقابل مبلغ شهري يدفعه قدره مائة دينار. يتألف الطعام الذي يجلبه السائق يومياً موضوعاً في (سفرطاس صغير) من ثلاثة (خانات) واحدة فيها التمن والثانية فيها المرق والثالثة تحتوي على دجاجة صغيرة (فروجة مسلوقة مع رغيف واحد من الخبز) ولم يتغير هذا (السفرطاس) والأكل طوال مدة وجودي معه[3].

---

(2) للمزيد عن هذه الموضوعة، راجع كتابنا عبد الكريم قاسم في يومه الأخير، الفصل الثاني، مصدر سابق.

(3) عمل جاسم العزاوي مع الزعيم قاسم منذ ثورة 14 تموز ولغاية القضاء عليها في 8 شباط 1963.

بعد انتهاء تناول الغذاء، أي بعد الساعة السادسة مساء، يخرج عبد الكريم في جولة تكاد تكون يومية في شوارع بغداد وأزقتها ولا يعود إلى الوزارة إلا في الساعة التاسعة وأحياناً العاشرة ليجد الوزراء في انتظاره لأن موعد اجتماع مجلس الوزراء هو الساعة الثامنة. ومجلس الوزراء في الأشهر الأولى للثورة كان يجتمع يومياً عدا يومي الخميس والجمعة، ثم أصبح اجتماع المجلس مرتين في الأسبوع واجتماع اللجنة العليا للإصلاح الزراعي برئاسته مرة واحدة، وكذلك لجنة التموين ومجلس الإعمار. وهكذا بقيت الاجتماعات قائمة طوال الأسبوع عدا يومي الخميس والجمعة[4].

يبدأ اجتماع مجلس الوزراء بعد عودة عبد الكريم قاسم من جولته ويستمر حتى الساعة الثالثة أو الرابعة فجراً وخلال الاجتماع هناك وقت للاستراحة يتناول فيه العشاء في حدود الساعة الثانية بعد منتصف الليل، يتألف العشاء من اللحم المشوي (شيش تكة بلا خبز)، ويأكل معه المرافق أو المرافقان الموجودان في مطعم في مقر الوزارة، ويدفع مقابل ذلك (40) دينار شهرياً.

لقد كان عشاؤه وفطوره وأكواب الشاي حليب المحلاة تهيأ له من المطبخ الملحق بمقر وزارة الدفاع، وهي لا تتعدى غرفة صغيرة مجهزة بطباخ بسيط مع أدوات مطبخ بسيطة جداً، وهي نفسها التي كانت مستعملة في مقر اللواء التاسع عشر قبل الثورة. وكان يشرف على الطبخ ويعد الأكل لكل العاملين في وزارة الدفاع، وعلى حساب الزعيم عبد الكريم قاسم، وهو نائب العريف عبود، الطباخ في مقر اللواء سابقاً، وكان طباخاً في فوج عبد السلام قبل نقله إلى اللواء العشرين وقد نقله إلى مقر اللواء التاسع عشر ليهيئ الطعام لهم. حتى إنه جندي بسيط من قرية هبهب العائدة إلى قضاء الخالص ولا تبعد سوى بضع كيلو مترات وأنا أعرفه معرفة تامة. ومن المفارقات أن هذا الجندي الطباخ قد نقله المرحوم عبد السلام عارف إلى القصر الجمهوري فأصبح طباخه الخاص وذلك بعد ثورة 14 رمضان، ثم استمر هذا الطباخ بالخدمة في القصر الجمهوري إلى أن أحيل إلى التقاعد

---

(4) لم تدرس من قبل الظاهرة التي ميزت حكم عبد الكريم قاسم، والمتعلقة بان تكون اجتماعات مجلس الوزراء في الليل.. ولم أفقه سر هذا التوقيت؟ وهل نبه الوزراء الزعيم إلى هذه الحالة وما هي ضرورتها ومدى عمليتها؟ ولماذا نظام العمل اليومي له يبدأ من الظهر ولصبيحة اليوم التالي؟ كان بودنا الوقوف على هذه الحالة ودراستها، ومدى توافقها مع نفسية الزعيم، وسنحاول ذلك مستقبلاً.

مؤخراً ـ منذ وقت قريب نسبياً ـ برتبة نائب ضابط. وعلى هذا، فلم يكن هنالك مطبخ أمريكي ولم يكن هنالك طباخ ماهر...[5].

وبعد انتهاء اجتماع مجلس الوزراء، يأتي عبد الكريم إلى غرفتي ومعه أحد الوزراء المقربين أو أكثر ويظل يتحدث في موضوعات شتى حتى الساعة السادسة صباحاً. ثم يأخذ الوزير الذي كان معه في جولة في بغداد. وفي الساعة الثامنة يعود إلى الوزارة وينام. كان طوال الأسبوع ينام داخل الوزارة عدا ليلة الجمعة التي يذهب فيها إلى بيته في العلوية، قرب نصب الجندي المجهول القديم. وهو بيت مستأجر من دائرة الأموال المجمدة، فيلاعب مجموعة من الكلاب العراقية العادية التي كانت تعيش في حديقة داره آمنة مطمئنة يأتيها أكلها وماؤها بسهولة وبكثرة، ولهذه المجموعة من الكلاب قصة تبدو طريفة وهي:

في أحد الأمسيات، منذ مدة طويلة وقبل ثورة 14 تموز بسنين، كانت هنالك كلبة صغيرة من الكلاب السائبة تركض مذعورة لأن أطفال المحلة كانوا يطاردونها بالعصي والحجارة متخذين من ذلك لهواً بريئاً، وأن هذه الكلبة المسكينة قد وجدت باب حديقة دار عبد الكريم قاسم مفتوحاً فدخلت إلى الحديقة تطلب الآمان من هذا الخوف الذي يتبعها.

وبالمصادفة أيضاً أن عبد الكريم قاسم كان يهم بالخروج من داره فزجر الأطفال وقدم الأكل والماء لهذه الكلبة الصغيرة المسكينة. وبعد مضي زمن تكاثرت الكلاب وأصبحت مجموعة مما كلف الزعيم عبد الكريم قاسم أحد المطاعم في بغداد أن يجهزها بالأُكل الباقي من الزبائن مع تجهيزها بالماء مقابل دراهم معدودات. وبقيت هذه الكلاب العراقية الهجينة المولدة من الكلاب السائبة في دار عبد الكريم قاسم حتى آخر يوم من حياته، ولم يكن من ضمنها أي كلب أجنبي، ولم يكن من عادة عبد الكريم قاسم العناية بالحيوانات وملاعبة الكلاب الأجنبية.

وليلة الجمعة، التي لا يوجد فيها اجتماع لمجلس الوزراء، خصصها عبد الكريم قاسم لزيارة أصدقائه ومعارفه، فقد اعتاد في الأشهر الأولى للثورة الذهاب إلى بيت الفريق نجيب

---

(5) يرد هنا العزاوي على ما نشرته حكومة انقلاب 8 شباط عن بذخ الزعيم قاسم حول جناحه الذي بناه في مقر وزارة الدفاع والذي كان يسكن فيه، وما ردده عبد السلام عارف أيضاً في مذكراته حول الجناح الأوربي المضاهي لقصور الملوك والأباطرة. ولا يزال البعض يردد مثل هذه الأقاويل غير الصادقة بل السخيفة.

الربيعي[6]، كما كان يذهب إلى بيت إسماعيل العارف وبيت رشيد مطلك وبيت العميد المهندس محمد علي البغدادي وبيت يحيى الجدة، أخي عبد الكريم الجدة، وبيت يحيى الصافي، الذي كان عميداً لكلية الصيدلة والكيمياء في أثناء انتفاضة عام 1952 وزوج أخت العميد الركن شاكر محمود شكري.

أما أيام الجمعة وليلة السبت، فكثيراً ما كان يزوره الصحفي يونس الطائي، صاحب جريدة الثورة الذي تربطه به صداقة قديمة ومعرفة، ويدلي له بالتصريحات الصحفية التي ينشرها في صحيفته.

ذكرت سابقاً أن عبد الكريم كان خجولاً في بداية الثورة ولم يخرج للوفود التي قدمت للتهنئة بنجاح الثورة حتى يوم 30 تموز. ولكن، بعد ضغط من وصفي الذي ألح عليه كثيراً بقوله: هذه فرصتك، فلا تجعل عبد السلام يبرز كقائد للثورة. خرج محرجاً وألقى كلمة قصيرة جداً ظهر فيها ارتباكه واضحاً. لكنه بمرور الوقت أخذ ينشرح عند مقابلته للوفود، ثم أن وصفي طاهر راح يتصل بالمدارس الثانوية والابتدائية مستوضحاً عن سبب عدم طلب مقابلة الزعيم، وهكذا بدأت الوفود تصل تباعاً لمقابلة عبد الكريم.

كان عبد الكريم مغرماً بشعار الجمهورية العراقية، يقوم بشرح تفاصيله لكل من يزوره فيتحدث عن السيف العربي والخنجر الكردي وسنابل الحنطة...[7].

كان راتب عبد الكريم قاسم، بوصفه رئيساً للوزراء مع مخصصاته يبلغ (440) ديناراً، لكنه لم يستلم راتبه بيده قط[8]، فقد كان محاسب مجلس الوزراء يأتي في نهاية كل شهر

---

(6) كف الزعيم قاسم من الذهاب إلى البيت الربيعي، بعد أن اكتشف مساهمة هذا الأخير في التآمر ضده، حيث ورد اسمه في أكثر من محاولة انقلابية وخاصةً في انقلاب الشواف وفي محاولة الاغتيال التي نفذها حزب البعث في شتاء 1959. ومع هذا لم يقدمه للمحاكمة ولا للمسائلة القانونية. وسبب ذلك حسب رأيي هو احترامه لتاريخ الرجل النظيف من جهة، والأهم لكون قاسم، كما مر بنا، يكره العنف لذات العنف.

(7) صمم الفنان المبدع جواد سليم شعار الجمهورية العراقية، وقد استوحى الفكرة من واقع تاريخ المجتمع العراقي منذ الحضارات الأولى.

(8) عندما صدر قرار مجلس قيادة الثورة السابق المرقم 67 في 1978/05/17والقاضي بمنح الحقوق التقاعدية لعيال الزعيم عبد الكريم قاسم، لم يحسب راتبه التقاعدي إلا باعتباره ضابطاً برتبة لواء ركن، رغم أن رتبته كانت فريق ركن، ولم تحتسب باعتباره رئيس وزراء ووزيرا للدفاع. لذا كان مجموع ما يتقاضاه من تقاعد يساوي 192 ديناراً و250 فلساً، وفقاً لحكم الفقرة 4 من المادة 31 من قانون خدمة الضباط رقم 89 لسنة 1959. راجع خليل إبراهيم حسين، الموسوعة، الجزء 6 هامش ص. 10.

ومعه قائمة الراتب وظرف فيه الراتب فيجد عبد الكريم جالساً في غرفتي. يتناول القائمة ويوقعها، وآخذ أنا ظرف الراتب لأضعه في الخزانة الحديد الموجودة في غرفتي. ثم أقوم أنا وحافظ علوان بصرفه، وذلك بإرسال مبلغ 100 دينار إلى أخيه حامد و100 دينار أخرى إلى أخته أم طارق و40 دينار إلى مطعم مقر الوزارة ويبقى في الخزانة مبلغ مائتي دينار. وخلال جولات عبد الكريم قاسم في بغداد يأخذ حافظ بعضاً منه ليقوم بتوزيعه على الفقراء، وكان أحياناً يجلب معه واحداً أو أكثر من هؤلاء ويطلب صرف مبلغ عشرة أو عشرين ديناراً وعندما ينفد الراتب أبلغ بذلك. وأحياناً أخرى يبقى مبلغ بسيط في الخزانة، وعلى هذا فلم يكن يملك في الخزانة يوم 14 رمضان إلا دراهم معدودة فقط. ولم يستلم راتب الضابط من وزارة الدفاع المخصص لرتبة فريق الركن.

وأذكر في هذا السياق أنه في إحدى المرات انزعج مني كثيراً، فقد جاء ومعه رجل فقير وأمرني بإعطائه مبلغ 50 ديناراً، وهو مبلغ كبير في ذلك الوقت، فأعطيته المبلغ، لكنني قلت لعبد الكريم إن ذلك مبلغ كبير. امتعض كثيراً وقال:

«تحاولون تخطئتي على الدوام دون معرفة سبب تصرفي بهذا الشكل. هذا الفقير لو أعطيته خمسة دنانير سيصرفها في يوم واحد ويظل فقيراً، أنا أعطيته خمسين ديناراً واشترطت عليه أن يشتري أدوات لعمل الشاي (قوري وكتلي واستكانات) ويعمل في المكان نفسه الذي وجدته فيه، ووعدته أنني سوف أزوره لأشرب الشاي عنده، وهو بالتأكيد سيصبح عاملاً بعد أن كان عاطلاً».

أما مخصصاته السرية بوصفه رئيساً للوزراء، فهي بحدود ستة آلاف دينار سنوياً ولم يصرف منها ديناراً واحداً[9] إلا في حالتين هما العيدان (عيد الأضحى وعيد الفطر المباركان) وذكرى ثورة 14 تموز. فبعد إجراء مراسيم المعايدة الرسمية يذهب عبد الكريم قاسم إلى مديرية الموسيقى العسكرية، بالقرب من باب المعظم ومديرها آنذاك العقيد سعيد العبيدي. كان المدير يهيئ قائمة بأسماء ضباط الصف من قطعات بغداد، من رتبة عريف إلى رتبة نائب ضابط، فيحضر هؤلاء، وبعد المعايدة يلقي عبد الكريم خطاباً فيهم ثم توزع هدية العيد (العيدية)، عشرة دنانير لكل واحد منهم، فيبلغ إجمالي ما يوزع حوالي ألفي

---

(9) لا يزال الكثير من مناهضي قاسم يرددون تلك الوقائع التي فبركتها في حينه وسائل الإعلام المعادية له والتي تردد أن عبد الكريم قاسم كان يبذل المبالغ الباهظة على وسائل الإعلام في بيروت وغيرها.. فبركوها بأنفسهم ويريدون أن يصدقها الآخرون، من دون أية وثائق تدعم ذلك.. حتى أن شخصيات إعلامية معروفة تردد ذلك كمحمد حسنين هيكل وأحمد بهاء الدين على سبيل المثال لا الحصر..

دينار في جميع المناسبات.

وفي إحدى المرات شاهد عبد الكريم قاسم القوائم بأسماء ضباط الصف فسألني «لماذا هذه القوائم؟» فأجبته: «حتى يكون التوزيع نظامياً والأمر متروك للزمن»، علماً بأن المخصصات السرية تصرف دون قوائم أو محاسبة، فقال:

«هذا يعني أنك غير مؤمن بدوام النظام وتعتقد أنك ستبقى بعدي وتخشى الحساب. تأكد أننا سنذهب معاً»، كررها مرة أخرى.

وفي مرة أخرى، كنت أروم الدراسة في كلية الحقوق المسائية، فهيأت شهادة التخرج من الدراسة الإعدادية وعندما رآها عبد الكريم سألني:

«ماذا تعمل بها؟»

فأجبته: «أريد الدخول إلى كلية الحقوق

فقال: «تريد أن تؤمن مستقبلك كأنك تخشى شيئاً[10]].

2 ـ حوار بين الزعيم قاسم وعبد السلام عارف:

استقبل الزعيم قاسم عبد السلام عارف بعد عودته من بون إلى بغداد بدون إذن مسبق. وجرى بينهم حديث نقله العقيد عبد الكريم الجدة آمر الانضباط العسكري وأحد الضباط الأحرار الذي كان حاضراً هذا اللقاء ونقله بالشكل التالي:

[الزعيم: لا شك بأنك قد ارتحت بعض الوقت في أوربا واستنشقت الهواء اللطيف.

عبد السلام: إنني لم أرتح وإن كان الهواء هناك ألطف من بغداد.

الزعيم: هل لاحظت شيئاً في جولتك هذه.

عبد السلام: أرى أن سفارات العراق في بون وبلجيكا وروما زائدة ولا حاجة لنا بها ولدي تقرير أنوي رفعه لإغلاق السفارات والمفوضيات التي لا لزوم لها في أوربا وهي تكلف مبالغ باهظة.

- الزعيم: ألم تصل إليك برقيتي (وهي البرقية التي كان قد أرسلها إليه عندما كان في النمسا وطلب إليه الذهاب إلى بون لاستلام مهام منصبه).

- عبد السلام: نعم وصلت ولكنني كتبت الجواب على برقيتكم فكان البريد مغلقاً بمناسبة

---

(10) مستل من جاسم العزاوي، ثورة 14 تموز: أسرارها، أحداثها، رجالها، ص. 253 ـ 258 شركة المعرفة للنشر، بغداد 1990.

عطلة الأحد فلم أتمكن من إرسالها وإني أحتفظ بمسودتها. ثم أخرج ورقة من جيبه فقرأها الزعيم ووضعها في جيبه.

- عبد السلام: أرجو أن تعيد إلي هذه البرقية.

- الزعيم: هي لي وقد وصلتني من يدك بدلاً من إرسالها من هناك ثم أردف قائلا: الوضع الداخلي يتطلب الالتحاق بمنصبك فإن كنت لا ترغب بسفارة بون فاذهب إلى إنكلترا لأن سفارتها شاغرة.

- عبد السلام: إني لا أتمكن من القيام بواجب سفير.

- الزعيم: المسألة بسيطة بإمكانك أن تتدرب تدريجيا.

- عبد السلام: عيني بمنصب آمر كدس عتاد هنا.

- الزعيم: الوضع الداخلي فيه شيء من الخطورة يتطلب ذهابك. أتذهب إلى أمريكا؟

- عبد السلام: إني لا أعرف لبس الشفقة (القبعة).

- الزعيم: امش حاسر الرأس، ثم قال له: أتذهب إلى طهران؟

- عبد السلام: إني لا أرتبط بوزير.

- الزعيم: أصدر أمراً بارتباطك بي رأساً بدلا من وزير الخارجية.

- عبد السلام: خليني هنا بجانبك وأعطيني منصب آمر فوج أو منصب جندي كاتب بدلا من منصب سفير.

- الزعيم: أتذهب إلى القاهرة؟

- عبد السلام: أنا لا أريد منصب سفير أريد أن أجلس بداري ولا أتصل بأحد والتقاعد يكفيني.

- الزعيم: كانت برقيتي إليك صريحة فلماذا أتيت من تلقاء نفسك؟

- عبد السلام: أخطأت.

وهنا لم أكن لأتمالك نفسي فتدخلت وقلت لعبد السلام إن أخطاءك قد تكررت فمتى تنتهي هذه الأخطاء.

- الزعيم: أخبرني ماذا تريد وبماذا تفكر؟

- عبد السلام: لا أفكر بشيء فأنت رئيس الوزراء والأمر يعود إليك.

وعند ذلك نهض الزعيم عبد الكريم بعد أن نفد صبره ففرك كفيه وقال مخاطباً عبد السلام: إن المسايرة والحلم لا يفيدان معك ـ لقد افترقنا ـ اذهب إلى الانضباط وفكر في أمرك ولك مهلة حتى الغروب.

وإزاء هذا الجد الذي بدا على الزعيم، أخذ عبد السلام يتوسل ويطلب الذهاب إلى بيته على أن يعود في صباح الغد. غير ان الزعيم كرر عليه الكلام بوجوب الذهاب إلى دائرة الانضباط. ولما شعرت أنا بتصميم الزعيم وتأكيده على ذهاب عبد السلام إلى دائرة الانضباط، قبضت على ذراعه وسرت به وعند وصولنا إلى إحدى غرف الانضباط قلت له: لماذا لم تفكر وما هذه الأجوبة المتناقضة؟ ألم تعلم أن الزعيم يزن أجوبتك بمعيار دقيق.

ـ قال: لا أعرف.

ـ قلت: أتعرف ماذا يقصد الزعيم من كلمته أن الوضع الداخلي خطر.

ـ قال: كلا.

ـ قلت: يقصد بها أنك قسمت الشعب إلى قسمين بخروجك عن طاعته وفتحت ثغرة لدخول الأجانب والطامعين وأذنابهم، منها والعبث بأمن وسلامة الجمهورية.

ـ فرد عليّ بقوله: ستندم.

ـ فأجبته: إني فرد وأنت فرد فلا قيمة للأفراد تجاه الجمهورية حيث إنهم زائلون وهي باقية.

انقضت المهلة وعبد السلام منغمس بغروره، أما أنا فقد عدت إلى مقر الزعيم وحينما رآني أخرج المسدس الذي كان قد أخذه من عبد السلام عندما هم بالغدر به خلسة كما بيناه سابقاً.

ـ وقال: هذا مسدس الغدر احتفظت به مع مسدس الخيانة العائد لنوري السعيد، إن عبد السلام رغم محاولته الغدر بيّ بهذا المسدس كنت قد صفحت عنه وعينته سفيرا في بون ولكن الذي يريد الإساءة إلى الجمهورية ويشق الشعب إلى شقين فليس له غير الإعدام[11]].

(11) مستل من كتاب العقيد عبد الكريم الجدة، الزعيم المنقذ، مصدر سابق ط 1. ص. 56، بغداد 1960. ولم يتطرف عبد السلام عارف إلى هذه الواقعة، بل سردها بصورة مختزلة في مذكراته فيها كثير من مدح الذات ويورد وقائع شهودها ليسوا أحياء.

3 ـ حوار ذو مغزى بين الزعيم قاسم وناظم الطبقجلي:

يورد جاسم العزاوي في مذكراته وصفاً للحوار الذي تم بين الزعيم قاسم وناظم الطبقجلي، بعد صدور قرار الإعدام من قبل المحكمة العسكرية العليا الخاصة ـ محكمة الشعب، بالشكل التالي:

كان المرحوم الطبقجلي أقرب أصدقاء عبد الكريم قاسم وأعزهم لديه. وكانت هناك صلات عائلية بينهم وتبادل الصور التذكارية. وكان عبد الكريم قاسم لا يرد طلباً لناظم الطبقجلي، ويكن له احتراماً متميزاً...

دخل عبد الكريم قاسم على ناظم الطبقجلي في غرفة المرافق وصفي طاهر، ولم يكن حاضراً معهم سوى الأخ حافظ علوان، مرافق عبد الكريم قاسم المقرب وهو الذي روى لي الحدث وكما يأتي:

وحينما دخل عبد الكريم قاسم وقف الطبقجلي وخاطب عبد الكريم مشيراً إلى يديه المربوطتين:

(كرومي[12]، هذه هي النتيجة؟ أيرضيك هذا لي؟).

فأجابه عبد الكريم: (لم أكن أنا السبب، ولم تكن هذه رغبتي، وإنما أنت الذي تآمرت عليَّ ووضعت نفسك في هذا الموقف)، ثم أردف قائلاً:

(شوف ناظم أنك ارتكبت الخيانة مرتين، الأولى خنتني باشتراكك مع الشواف، والثانية كانت للشواف حينما ورطته بإعلان تمرده، ومن ثم تنصلت عنه ودخلت المستشفى بدون عله، ومن ثم أرسلت برقيتك لشجب عملية الشواف وتأييدي، وقد أُعلنت البرقية من الراديو والتلفزيون حسب طلبك، شوف ناظم لا أريد أن ترتكب خيانة ثالثة.. أقول لك، قل الحقيقة في المحكمة بتفاصيلها كما حدثت، أكرر قل الحقيقة كلها بتفاصيلها وما علاقة ج ع. م. وأجهزة جمال عبد الناصر بتحريضكم وتقديم العون لكم وكل شيء! قل كل ذلك وخذ مني وعداً بأنك ستخرج من المحكمة إلى دارك رأساً مع إسقاط كل التعقيبات القانونية ضدك، ونرجع أصدقاء غافراً لك كل إساءاتك لي...

---

(12) كرومي، اسم الدلال الذي يطلقه البغداديون على اسم كريم، للدلالة على عمق العلاقة والمحبة المتبادلة.

وهنا سمعت صوت الطبقجلي يجهش بالبكاء عالياً يسوده الألم والأسى. وبعد لحظة صمت لم تدم طويلاً أجاب المرحوم الطبقجلي:

«انك يا كريم تطلب مني المستحيل، ولقد حكمت علي بالإعدام منذ الآن»

انتهت المقابلة بموقف حزين كله أسى ولوعة[13]].

4 ـ تسامح وعفو قاسم:

كتب د. علاء الدين الظاهر حول ذات الموضوع أعلاه ما يلي:

[بعد محاولة الشواف، عرض عبد الكريم قاسم على رفعت الحاج سري منصب ملحق عسكري في واشنطن (ابنته تقول عرض منصب سفير في واشنطن)، لكن الحاج سري أصر على البقاء في بغداد. ودعا ناظم الطبقجلي إلى وزارة الدفاع وطلب منه أن يدلي في المحكمة عن دور سلطات ج ع. م. في محاولة الشواف وقال له (خذ مني وعداً بأنك ستخرج من المحكمة إلى دارك رأساً مع إسقاط كل التعقيبات القانونية ضدك ونرجع أصدقاء غافراً لك كل إساءاتك) لكن الطبقجلي رحمه الله أنهار وبدأ يبكي قائلاً لقد حكمت علي بالإعدام.

عجيب أمر هذا (السفاح!) الذي عرض على من تآمر عليه وحاول قتله العفو عنه إذا اعترف عن ارتباط ج ع. م. بمحاولته، بينما شن إعلام العربية المتحدة هجوماً مستمراً تحدى فيه قاسم واتهمه بالجبن، لأنه لم يجرؤ على إعدام حلفائه من انقلابيي الموصل. ثم هل تآمر عبد الكريم قاسم للتخلص من الضباط القوميين أم هم الذين تآمروا عليه؟

إن الزعيم (حياً أو ميتاً) في مأزق لا يحسد عليه. فإذا أعدم المتآمرين عليه أصبح ـ مجرماً سفاحاً ـ وإذا عفا عنهم تآمروا عليه من جديد[14]].

---

(13) جاسم العزاوي، المذكرات، مصدر سابق، ص. 201. وقد كتب ذو النون أيوب [عن جاسم كاظم العزاوي سكرتير الزعيم الذي صار سفيراً في النمسا أيام حكومة بكر ـ صدام:«.. وكان هذا السفير قد اظهر لي من الود ما لم أره من سفير آخر قبله ولا بعده، فقد كانت تربطني به رابطة تبعيتنا السابقة للزعيم عبد الكريم قاسم، واعتماده علينا. ولكن الناس صاروا يقولون عنه بعد مصرع الزعيم قاسم، أنه كان لقاسم كيهوذا الاسخربوطي للمسيح وعذراً أبا هيثم فإنما أنا أردد إشاعة... (مذكرات ذو النون أيوب (القسم الخامس)، ص59)

(14) د. علاء الدين الظاهر، التاريخ كما يلقنه القصخون، مصدر سابق.

5 ـ تأكيد للواقعة:

وحول ما ذكره د. الظاهر أعلاه، يقول خليل إبراهيم حسين، مؤكداً وقوعها، بالقول:

[وفي صباح اليوم التالي (03/11/ 1959 أي بعد إخماد مؤامرة الشواف ـ ع. ن.) قال لي رفعت، لقد أقنعت الزعيم عبد الكريم بوجهة نظري حول صعوبة موافقتي على ما عرض عليّ مساء أمس رئيس أركان الجيش، بتعييني ملحقاً عسكرياً في واشنطن وعللت له بعدم إتقاني اللغة الإنكليزية. أما الحقيقة فهي كيف أترك أخواني يلاقون مصيرهم في بغداد إن انكشف أمرهم والتحقيق لا يزال في البداية...] ثم يستكمل المؤلف الحديث بأسلوب ماكر [... حاول قاسم الاتصال برفعت والطلب منه أن يذكر في المحكمة أن الذي ورطه هو عبد الناصر للمشاركة والإعداد للثورة، وأنه سيطلق سراحه حالاً ويذهب إلى داره وعائلته معززاً مكرماً من قبل قاسم[15]].

6 ـ كلمة حق في حضرة سلطان جائر:

نظمت مجلة «آفاق عربية» عام 1985 ندوة حول ثورة 14 تموز، شارك فيها عدد من أعضاء الهيئة العليا لحركة الضباط الأحرار، كذلك من قياديي الهيئة البديلة أو (الوسيطة)، ناقشوا فيها عدة محاور عن الثورة، وبدء تكوين الحلقات الأولى، ثم صيرورة تحقق الثورة وسيرورتها اللاحقة. وبالطبع تناولوا دور الزعيم المؤسس، كلّ حسب تصوره وبما يلائم مزاجية الواقع السياسي وسلطته المناوئ لقاسم.

لقد وصف الكثير منهم عبد الكريم قاسم بالعديد من الشتائم، التي تتناسب وجغرافية القمع والمستمدة منه مقوماتها، وكشفوا عن مدى حقدهم وكراهيتهم له. وفي جعجعة العواء المسعور والنهيق الناشز، تصدى لهم صوتٌ بدا غريباً في هذا الجو، لكنه كان صادقاً ومسموعاً، حتى أصبح كالنجمة الساهدة ترنو إليها أفئدة المحبين، من فقراء وكادحي الوطن والقوى الخيرة المملوءة كبرياء، لتلهمهم ذلك النقاء المستلب والاغتراب المفروض عليهم والذي يعانون منه منذ رحيله ووأد الثورة. كان هذا الصوت الشجاع الذي رن في حضرة السلطة الجائرة العميد عبد الجبار عبد الكريم، من التيار القومي الناصري، الذي قال:

---

(15) الموسوعة، مصدر سابق، الجزء الثاني، ص. 86 و103. لكن لم يوضح المؤلف ما أسباب التناقض في أقواله، ولماذا يطلق سراحه؟ ألم يعنِ هذا تورطه في المؤامرة، التي شرحها هو نفسه وبين دور كل قادتها، في الأجزاء الأربعة الأولى من موسوعته!!

[لدي كلمة حول ما ذكره الأخ علاء الجنابي عن موضوع عبد الكريم قاسم وبثه الشقاق بين الضباط. إنني أنفيه نفياً قاطعاً. كان عبد الكريم قاسم بالعكس، محور الضباط. وإن أفعال عبد الكريم مشهورة وشجاعته في فلسطين معروفة، وما كانت لديه هذه الروح التي ذُكرت، بل بالعكس، فعندما كان يغيب عنا لفترات قصيرة للاستطلاع لوحده ويعود كنا نفرح بعودته. وهذه الأمور عنه أسمعها عنه لأول مرة[16]].

7 ـ الأديب والسياسي كاظم السماوي يقيّم شخصية عبد الكريم قاسم:

[جمعتني وعبد الكريم قاسم، أننا كنا معاً من أبناء الفقراء، ولم ننحدر طبقياً من نسغ اللصوص الأغنياء، هؤلاء اغتنوا بانتزاع الطعام من الطبقات المسروقة، والمحرومة من أدنى مقومات الحياة، وحيث يصب عرقهم ودمهم ذهباً في خزانات مستغليهم من إقطاعيين زراعياً ورأسماليين صناعياً، وما بينهما من السماسرة والهامشيين المنتفعين من فضلاتهم.

وكان عبد الكريم قاسم من أجل هذا عصامياً فذاً، قليل الأصدقاء، يخلد إلى الوحدة والتأمل، بعيداً حتى عن العسكريين وحياتهم اليومية، منعزلاً في معسكره بين الروابي والتلال المحيطة، وكان، كما عرف عنه، قليل الكلام كأن شفاهه تطبق على السر الكبير. وكان كريماً كاسمه، نظيف اليد واللسان، ولم تكن في تاريخه بقع سوداء، ولم يكن أحد من المقربين يدرك كيف كان يفكر ثورياً، فقد كان متحفظاً حتى في خياله، وهذا ما شهد به عارفوه، فقد كان طلسماً مغلقاً، وهو ما أذهلهم أن يكون عبد الكريم قاسم، وما صدقوا في البدء على رأس الأفواج الزاحفة نحو القصر الملكي..

ومع هذا فلقد لمحتُ تأمله العميق فيما يُقَدّمُ من رأي في تقرير ما ولم يكن يستعجل الردود متمحصاً، مستشفاً لكل أبعاد هذا الرأي أو ذاك من تقارير الاختصاصيين في النفط أو الزراعة أو الاقتصاد أو الاجتماع. وكانت تذهلهم ملاحظاته فيما يُعلقّ أو يشير إلى هذه الفقرة أو تلك[17]..

---

(16) مستل من كتاب، الذاكرة التاريخية، مصدر سابق، ص. 250.. أما علاء الجنابي فهو من الضباط البعثيين الأوائل الذين انتموا للحزب قبل ثورة 14 تموز.. وقد ترقى في السلك العسكري حتى وصل رتبة فريق ركن.. وكان من القيادات العسكرية التي حظيت بمباركة صدام حسين.

(17) أشار السماوي عليّ في استوكهولم حول هذه الحادثة، أن الاقتصادي الكبير الراحل ←

وظل عبد الكريم قاسم، كما كان عليه قبل الثورة، متواضعاً زاهداً بسيطاً في نهج حياته اليومية، لم يُغير بيته الصغير المتواضع المؤجر ولم يستبدل أثاثه القديم ولم يقتن في ملبسه سوى بدلتين عسكريتين طوال بقائه على رأس السلطة، ولم يكن يدخر من راتبه في مصرف ما، وكان يهب ما في جيبه للفقراء وكثيراً ما كان يستدين من مرافقيه! ولم يخلف داراً أو عقاراً أو مالاً أو أي شيء من حطام الدنيا. فقد جاء إلى السلطة نظيفاً معدماً، وودعها كما جاءها، ولم يجدوا في جيبه بعد أن اغتاله المتآمرون العملاء، سوى 150 فلساً بعد خمس سنوات من الحكم تقريباً[18]].

8 ـ السياسي باقر إبراهيم الموسوي يحلل شخصية عبد الكريم قاسم ونظامه:

استفسرت من السياسي المعروف وعضو المكتب السياسي السابق للحزب الشيوعي العراقي، باقر إبراهيم الموسوي، حول تقييمه لشخصية الزعيم عبد الكريم قاسم، فأجابنا برأيه برسالة شخصية أوجز فيها وجهة نظره، المتميزة بالعقلانية وهدوء الطرح، بصدق المضمون وجدلية الربط بين الأمنية والواقع. وهذا نصها[19]:

[تصف بعض التحليلات الصادرة عن بعض الكتاب والمؤسسات السياسية والعربية، نظام قاسم بالدكتاتورية العسكرية، وعلى وصف. وأحياناً يعقب ذلك الوصف، سمات مقذعة أخرى، كالأهوج والأرعن، أو نصف المجنون... الخ. ولو عدنا إلى تحليلات متأنية ومقارنة، لفترة حكم قاسم، لوجدنا أن مبالغات كثيرة قد أثقلت طبيعة شخصية قاسم ونظام حكمه، رغم اعتقادي بصحة نشوء الجانب الفردي فيها، يقابله انعدام وجود المؤسسات الدستورية للسلطة.

لقد مسخ العهد الملكي، وشوه النظام الدستوري والبرلمان والحياة الحزبية العلنية،

← محمد سلمان حسن كان يقدم له بعض الدراسات والآراء السياسية. وبعد فترة تعاد إليه مع ملاحظات وهوامش الزعيم قاسم التي كانت في غاية الدقة، كما يوردها الراحل، ويتعجب كيف هو العالم الاقتصادي لم يفطن إليها!! للعلم أن السماوي قد أشاد بروح من الموضوعية النقدية لمرحلة قاسم في مذكراته المنشورة في عدة حلقات في جريدة الاتحاد ـ الناطقة باسم الاتحاد الوطني الكردستاني والتي تصدر في السليمانية.

(18) مستل من مجلة المجتمع العدد 8 تموز 1997، النادي الاجتماعي الثقافي في غوتبورغ، السويد

(19) هذه الإجابة سبق للكاتب أن نشرها في صلب مذكراته، الصادرة عن دار الطليعة عام 2002 في بيروت. بعد تأخر صدور كتابنا هذا.

وأفسح المجال لانتعاش الأحزاب الثورية السرية، التي لم تعرف المآثر النضالية الباسلة فقط، بل عانت الأمراض والتشوهات الناجمة عن تقاليد العمل السري، البعيد عن الرقابة الشعبية.

وإذا كانت تلك هي تركة العهد الملكي، للعهد الجمهوري، فإن العهد الأخير، بعد ثورة 14 تموز 1958، كان عليه أن يواصل تحرير العراق اقتصادياً، بعد تحرره سياسياً، وكذلك أن يؤدي استحقاق إقامة حياة دستورية مستقرة للعراق.

وحينما نتحدث عن مطالبة نظام عبد الكريم قاسم، بضرورة الإسراع بإقرار الحياة الدستورية، فلا يفوتنا أن نربط الاستعجال بتحقيق هذه الطموحات المشروعة بواقعية الفترة الكافية لأداء ذلك الاستحقاق.

هذا إضافةً إلى ارتباط تلك الطموحات المشروعة، بشخصية قاسم بوصفه رجل المؤسسة العسكرية التي لها تقاليدها وقواعدها الخاصة بها.

فقاسم ومؤسسته العسكرية، كانوا على رأس ثورة وطنية منحها الشعب بسرعة دعمه وثقته الواسعة.

ولدعم الرأي حول شعبية وأصالة ثورة 14 تموز، أورد هنا ما كتبه الباحث حنا بطاطو في الكتاب الثالث «الشيوعيون والبعثيون والضباط الأحرار» ص 116، حينما قال:

[يجب أن لا يقتصر حقل الرؤية عندنا على ما سبق أحداث 14 تموز (يوليو) بل أن يشمل أيضاً ما تلاها. والواقع أن إلقاء نظرة سريعة على الآثار اللاحقة، يكفي لجعلنا نعرف أننا أمام ثورة أصيلة.. ولم يكن لظاهرة سياسية سطحية أن تطلق كل تلك المشاعر بهذا العنف أو لتثير المخاوف والآمال بهذه الجدية التي غزت سنتي 1958 ـ 1959 والواقع أن 14 تموز أتى معه بأكثر من مجرد تغيير في الحكم. فهو لم يدمر الملكية أو يضعف كل الموقع الغربي، بطريقة جذرية فحسب، بل إن مستقبل طبقات بأسرها ومصيرها تأثرت بعمق].

وأود أن أشير إلى حقائق أخرى، تحمل المرء على التروي في إطلاق تلك الصفات السلبية، مارة الذكر بصورة ثابتة على نظام قاسم. وأذكر الملاحظات التالية:

1 ـ إن قاسم انفرد من بين كل حكام العراق الذين حكموه بين 1921 حتى اليوم، بإصدار قرارات العفو عن أبرز خصومه، حتى أولئك الذين ثبت تآمرهم عليه، أو المباشرة بمحاولة اغتياله، أو إشهار العداء له. ومعروفة قراراته بشأن العفو، أو التخفيف من الأحكام التي صدرت بحق الكثير من رجالات العهد الملكي، أو عن عبد السلام عارف ورشيد عالي

الكيلاني، وفرقة الاغتيالات البعثية (تشرين أول/أكتوبر 1959) وغيرها الكثير. وفيما يتعلق بعبد السلام عارف، فقد أُدين في محاكمة علنية بالتآمر ومحاولة الشروع بقتل عبد الكريم قاسم، وحكم عليه بالإعدام، ثم عفا عنه قاسم عام 1961، دعاه إلى مكتبه وقام بتوديعه حتى بيته.

2 ـ إعلان قاسم، قواعد قانونية، لم يألفها حكّام العراق بالأمس واليوم كالتسامح وقاعدة (الرحمة فوق القانون).... الخ، وممارسته لتلك القواعد في التطبيق، وليس لمجرد الادعاء. وعن روح التسامح عنده، أقتطف هنا هذا المقطع مما كتبه السيد حسن العلوي عن رؤيته المتأخرة لقاسم حيث يقول:

[تقرر وضع المناشير في غرفة عبد الكريم قاسم، بواسطة أحد الأطفال، الذين اعتادوا الدخول والخروج إلى بيت حامد قاسم.. ودسها في سرير الزعيم.. ولدى دخول الزعيم إلى غرفته فوجئ بحزمة مناشير مخبأة تحت الفراش.. فلم نلاحظ رد فعل ضد القائمين بهذا العمل وهم معروفون لديه ولدى عائلته[20]].

3 ـ إيمانه بضرورة الحد من تطرف الأحزاب والمنظمات العقائدية، وتعصبها ضد بعضها، ولجوؤه إلى نوع من الموازنة بينها ومحاولة شمول الجميع برعايته. وبخلاف ذلك، لو سمح بإطلاق العنان للتطرف والعصبيات الحزبية، لشهد العراق مجازر مبكرة، أوسع نطاقاً وأشد أذى مما حدث، بما لا يقاس.

ولو راعت تلك الأحزاب والمنظمات، نزعته المعتدلة، تجاه الصراعات الحزبية، وأفادت منه، لأمكن تجنب الكثير من المآسي، أو تحجيمها، خاصةً لو استطاعت الأحزاب الوطنية، التغلب والسيطرة على تعصبها، ولو استطاعت العودة إلى الطريق المضمون، بإحياء جبهة الاتحاد الوطني مجدداً.

4 ـ هل يعتبر كشف أحد أكبر القواعد العسكرية التي كان يستند إليها الانقلاب، أي كتيبة الدبابات الرابعة في أبو غريب، بعد انهيار آمرها خالد مكي الهاشمي، الذي أفشى أسرار الانقلاب أمام قاسم وسلمه الأسلحة المعبأة سراً (ثلاثة آلاف قطعة سلاح خفيف) وأعيدت إلى مخازن وزارة الدفاع.. هل يعتبر كذلك، تصرفات دكتاتور متوحش؟ خاصةً بعد أن يعرف القارئ أن خالد مكي الهاشمي، بقي في رتبته ومركزه العسكري،

---

(20) رؤية بعد العشرين، مصدر سابق، ص.87.

وليساهم في خطة الانقلاب، حينما أبلغ بموعدها في 7 شباط 1963، كما ورد في هوامش الدكتور علي كريم سعيد على مذكرات طالب شبيب ص 50[21].

5 ـ إن حادثة إلقاء القبض على قائد خطة الانقلاب ضد قاسم، أعني علي صالح السعدي، في 5 شباط 1963، ومعه عدد من أركان الخطة، وبحوزتهم صناديق من الأسلحة، إضافةً إلى موعد الانقلاب (ساعة الصفر وكلمة السر.. رمضان مبارك) وعدم توسيع التحقيق مع المعتقلين، والتعامل معهم بروية، لا يوحي بتصرفات نظام دكتاتوري، كما يوصف.

6 ـ فيما يتعلق بسعي قاسم لإشراك كل المعارضين في تحمل مسؤوليات السلطة، حتى آخر فرصة، أستشهد بالوقائع التالية:

أ ـ كتب د. علاء الدين الظاهر في كتاب: تفكيك التجني، ما يلي: [يذكر إسماعيل العارف، وزير المعارف في حكومة عبد الكريم قاسم، وأحد الضباط الأحرار، أنه اتصل بصالح مهدي عماش في نهاية عام 1962، وأخبره بأن لديه معلومات بأن حزب البعث يخطط لانقلاب عسكري، وطلب منه أن يبلّغ جماعته بأن يجمدوا هذا النشاط لأن عبد الكريم قاسم ينوي إجراء انتخابات عامة وتشكيل حكومة ائتلافية تضم حزب البعث (رغم أن الحزب قاد محاولة اغتيال الزعيم الدموية عام 1959). أبلغ عماش في وقت لاحق إسماعيل العارف، عن رفض القيادة القطرية لحزب البعث لهذا الطلب].

ب ـ كتب د. علاء الدين الظاهر، في جريدة القدس العربي، في 2000/09/05: [قال لي المرحوم محمد حديد، أن عبد الكريم قاسم كان الوحيد من بين القادة العسكريين الذين يقبل بالبرلمان والدستور الدائم. وبالفعل بدأ عبد الكريم قاسم في الأسابيع الأخيرة من حكمه، بإجراء المشاورات السياسية، تمهيداً للانتخابات العامة والتي وأدها انقلاب 8 شباط 1963].

ج ـ تحدث السيد طالب شبيب في مذكراته عن عرض عبد الكريم قاسم لحزب البعث، للمساهمة في السلطة، قبل أسابيع من الانقلاب. إذ أورد في ص. 48 من تلك المذكرات ما يلي:

---

(21) لم يبلغ الهاشمي بموعد الانقلاب، لأن الشبهات كانت تدور حوله من قبل حزبه. ولم يساهم بالانقلاب إلا بعد الثانية عشرة من صباح ذلك اليوم، كما أشار د. علي كريم سعيد، في هامش ص. 50، بعد أن وطد الانقلاب شيئاً من ذاته.

[وفي أجواء التحضير للثورة، جاءني الأستاذ محمد صديق شنشل وسيطاً وقال: اقترحوا لنا ثلاثة وزراء بعثيين وسيعينهم عبد الكريم قاسم فوراً. ورجاني أن أخبر قيادة الحزب، وأن الاقتراح صادر من قاسم مباشرةً، فأجبناه: يا أستاذ صديق، إن هذا الاقتراح لم يحصل إلا تحت ضغط إضراب الطلبة المحرج للحكومة، ثم إن بياناتنا وصحافتنا الحزبية السرية تدعو بشكل متواصل إلى إسقاط حكومة قاسم فكيف تطلب أن ندخل الوزارة ونحن على أبواب ثورة].

7 ـ من الحقائق المعروفة أن عبد الكريم قاسم أوعز خلال الشهرين الأخيرين قبل الانقلاب، للقوات المسلحة، بالكف عن القتال ضد الثورة الكردية، ما لم تبادر هي إلى إطلاق النار على الجيش العراقي. ومدد فترة وقف إطلاق النار لشهر، ثم مددها شهراً آخر. ومن المعلوم كذلك أن المظاهرات الجماهيرية التي نظّمها الحزب الشيوعي العراقي، طالبت بوقف إطلاق النار في كردستان نهائياً، وليس لفترة محدودة. كل هذه الوقائع تشير إلى أن قاسم لم يعدم المرونة في التعامل مع الخصوم الداخليين، والسعي لبلوغ مخارج معقولة للنزاعات الداخلية.

وقد دلت الأحداث اللاحقة، بعد انقلاب 8 شباط 1963، ان الانقلابيين، وضعوا المطالب القومية للشعب الكردي في طريق مسدود خلافاً لوعودهم للحركة القومية الكردية، مما أدى إلى تجدد القتال بسرعة، وتأزم الوضع بأكثر مما كان عليه إبان حكم قاسم.

8 ـ أجمعت أبحاث تاريخية كثيرة على تأكيد إصرار عبد الكريم قاسم، لمواجهة الحركة الانقلابية بتصدي القوات المسلحة وحدها لها، ورفضه توزيع الأسلحة على الجماهير الواسعة التي خرجت للشارع لتأييده، وبموقف واضح من قاسم، هو رفضه تحويل المقاومة إلى حرب أهلية شاملة. علماً أن تلك الأسلحة كانت متوفرة بكميات جيدة في وزارة الدفاع على الأقل. فهل تعتبر هذه الموقف دلائل تؤكد نزعته الدكتاتورية أو الفاشية أو الوحشية؟

9 ـ وأخيراً لابد من المقارنة بين نهجين سياسيين، اجتماعيين، لسلطة قاسم والانقلاب المضاد لها، خاصةً فيما يتعلق بإجراءات الإصلاح والتقدم الاجتماعي. فنظام قاسم كان له برنامج بناء عراقي يتميز بقدر واضح من التصميم والممارسة في الواقع، وكانت له منجزاته المعروفة. بينما لم يكن لسلطة انقلاب شباط مثل ذلك البرنامج البنائي. فكانت في واقع الحال، سلطة وضعت في رأس مهماتها الثأر والانتقام. وكانت نموذجاً للعنف والقسوة وانتهت إلى التمزق والفشل بسرعة.

لا يمكن لأي باحث أو قارئ لوقائع ثورة 14 تموز 1958 ومنهجها وعقلية قائدها، عبد الكريم قاسم، أن يتغاضى عن رؤية واحدة من أهم المنجزات الاجتماعية والسايكولوجية للثورة، إلا وهي قدرتها على تجاوز التمييز الطائفي خاصةً، وكذلك القومي والديني، بنجاحات ملموسة. وهذه النجاحات تحققت في الواقع على جميع الأصعدة، ابتداءً من تركيبات السلطة العليا حتى المؤسسات العسكرية والثقافية والدينية وعلى مشاعر الرأي العام في العراق.

إن نجاحات الثورة، وحنكة قيادتها، في معالجة تلك المشاكل الاجتماعية، هي نموذج إيجابي تتطلب الضرورات الاقتداء به وتعميق مضمونه الوطني والإنساني باستمرار. وعلينا أن لا تنسى، أننا بعد أن أهملنا دروس الماضي، ومتطلبات المستقبل، في هذا المضمار، صرنا عرضةً أكثر مما سبق للتلاعبات المقصودة من جانب الأعداء، ولتقسيمنا، وطناً وشعباً على أسس القومية والدينية والطائفية.

لابد من الإشارة إلى أن أول أخطاء قاسم، هي أنه سعى لتكريس زعامته في قيادة الثورة وطمس دور رفاقه الآخرين من العسكريين والاعتماد على دور اثنين منهم هما: قاسم ونائبه عارف، في البداية ثم تكريس فردانيته. وعانينا في العراق، كما في كل الوطن العربي، من جوع مجتمعاتنا إلى البحث عن الخلاص المرتبط بدور القائد المنقذ المهاب والموهوب وحتى المعصوم من الخطأ. وبدلاً من تشاركية الزعامة وقع العراق ضحية الصراع بين زعامتي قاسم وعارف، ووقعت الأمة العربية ضحية الصراع بين زعامتي عبد الناصر وقاسم.

إلى جانب صفات الفردية العسكرية، فإن نظام وسلطة قاسم، كان يتسم بمسحة واضحة من اللبرالية، وإمكان التأثر بالضغط الشعبي والاستجابة له، والميل نحو تعددية سياسية: **حزبية وصحافية معينة، وصولاً إلى نظام دستوري مستقر، لو أحسنت الأحزاب الفعالة على الساحة العراقية التصرف والتعاون بدلاً من العداء والطموح المفرط نحو تسلم السلطة والاستعجال بذلك**[22]. (التوكيد منا ـ ع. ن)

---

(22) سادت عراق تلك المرحلة نزعة التطرف بصورة مثيرة للاستغراب.. شمل أغلب القوى السياسية، ولم يتعمقوا في فهم ظرف عبد الكريم قاسم الذي [أرسى ديمقراطية جديدة، حدد محتواها التقدمي الدستور الجديد الذي كان الأول من نوعه في العالم العربي، إلا إن مشكلتهم الحقيقة هي أنهم لم يستفيدوا من تلك الظروف واستيعاب كل القوى من كل اتجاهات فيه]. كريم مروة يتذكر، حاوره صقر أبو فخر، ص. 310، دار المدى، دمشق 2002.

ومن المفيد التوقف عند الفكرة التي أوردها د. عقيل الناصري، في مقالته (قراءة في المشروع القاسمي) المنشورة في جريدة الغد الديمقراطي العددان 120 و121 أوائل نيسان ومايس 1995، حيث تحدث عن أفكار قاسم وقال:

[أفكاره هي الأقرب إلى جماعة «الأهالي» من غيرها من قوى الساحة السياسية العراقية آنذاك. وكان متأثراً بها وهي «الأيديولوجية الوطنية».. وقد قال قاسم ذات مرة إلى الجادرجي الراحل عن كونه متأثراً بالأهالي وأفكارها(23)].

---

(23) يشير كامل الجادرجي في تقريره عن مقابلته مع الزعيم قاسم في أواخر تشرين الثاني 1961 ووزعه بصورة محدودة، إلى مواقفه غير الموضوعية من عبد الكريم قاسم الذي أخذ يتودد إليه بالقول: [بأنه كثير الشوق لهذه المقابلة، وأنه لكم كان يتمنى أن تحدث وتتحقق منذ زمن طويل، لأنها مقابلة تتم وتقع بين أستاذ وتلميذ، وقد كنت أعتذر من قوله هذا، وأرد عليه قائلاً: **إن الزعيم عبد الكريم ليس تلميذا للجادرجي، ولا الجادرجي أستاذا له، فيصر عبد الكريم على قوله ويكرر بأنه تلميذ وفي إلى أستاذه... ثم بادر عبد الكريم قاسم يقول: أنني اعتبر نفسي تلميذاً لكم، فاعترضت على قوله هذا، بأن سلوككم السياسي لا يدل على ذلك، فأجابني عبد الكريم يقول لي: أرجو أن تعتبرني تلميذاً مخلصا إلى (الأهالي)، ولكنني رفضت مرة أخرى أن يكون عبد الكريم قاسم تلميذاً (للأهالي) فخلص عبد الكريم قاسم إلى القول: أنني من قراء (الأهالي) منذ عهد بعيد وما زلت أحتفظ بأعداد كبيرة منها وذلك اعتزازاً بمواقفها وأنه لما كنتم تكتبون فيها المقالات الافتتاحية وغيرها فأني أعتز بأن أكون من قرائها.**

فرد الجادرجي يقول: إن سلوكك السياسي يجعلني في شك من أنك كنت تقرأ (الأهالي) وتتأثر بها أو تتعاطف معها في أي يوم من الأيام. فيجيب الزعيم قائلاً: على كل أنني إذ أصر على القول بأني كنت تلميذا لهذه المدرسة، فإن هذا العتاب أو الحوار متعارف عليهما بين الأستاذ والتلميذ وإنني أعتز به... انتقل عبد الكريم قاسم إلى موضوع أخر وأخذ يقول لي: إن هذا الحديث الذي دار بيننا، وإنما يدور بين أستاذ وتلميذه في العتاب وأجبته. إنكم إذ تصرون على قولكم بأنكم تلميذ لي فهذا من حقكم ولا أنازعكم عليه ولكنه من حقي أن أرفض أن أكون أستاذاً لكم].

لنقارن بين هذا الذي يصر بإلحاح على طلب المشورة وذاك الذي يرفض بعناد ويشكك في جوهر المقابلة التي لها شقان: ماله علاقة بالقانون رقم 80 قبل صدوره، وكذلك حول الحكومة الائتلافية التي عزم قاسم على تأليفها. خليل إبراهيم حسين، الموسوعة، ج 5 ص. 462 وما بعده. علماً إن التقرير نشره المصدر بصورة مختصرة.

وشرح ذنون أيوب موقف كامل الجادرجي وقد قال لي [يوماً إثناء زيارتي له مع أحمد قطان مدير وكالة الأنباء العراقية المستحدثة: **«زعيمكم عبد الكريم قاسم يساوي صفراً في قيادة الجيش، صفراً في الزعامة السياسية، صفراً في قيادة الجمهورية»** . فضحكنا ولم نجب. ولقد شعرت أن الرجل قد خاب أمله حين رأى تلك الثورة تُنسي كل الناس كفاحه المرير مع حزبه فيبعد أمله في تولي قيادة العراق.] هذا التقييم أصاب كبد حقيقة موقف الجادرجي من الزعيم قاسم.

ولاشك أنه كان يطلب إلى قاسم أن يبادر، في أكثر من فرصة ومناسبة، لتخفيف العداء بين العراق ومصر وللمخاطبة التي من شأنها أن تخفف روح العداء والاستعداء، الذي أصر على استهداف إسقاط نظام قاسم، كحل للعلاقة المتأزمة بين العراق وج. ع. م. وبالتالي بين التيارين الوطني العراقي والقومي العربي. إن نفس ذلك الطموح المعقول والمسؤول، كان مطلوباً من القيادة الناصرية بالطبع[24].

واليوم لا بأس أن نسمح لأنفسنا في البحث عن مستحقات تصحيح خطأ الأمس، بموجب المدارك التي اكتسبناها، وبعد المعاناة والتضحيات الكبيرة التي قدمناه. وبهذا الخصوص، أرى أنه كان يترتب على قيادات الأحزاب الوطنية العراقية أن يجتمع رأيها على إحياء جبهة الاتحاد الوطني، وأن تمتد تلك الجبهة لتندمج مع قيادة جماعية أو مجلس يشمل قادة الثورة العسكريين، من قاسم وعارف، حتى أنصار البعث والقوميين والشيوعيين والشخصيات المستقلة.

وربما كان الحل لمعضلة الحكم، الذي غاب عن وعي القيادات الوطنية، يوم ذاك، هو ما نقترب من الاعتقاد به اليوم وهو: أن تجتمع الثورة مع النظام الدستوري الديمقراطي وأن يجتمع ميثاق الجبهة الوطنية والقيادة الوطنية الواسعة، المشتركة، مع دور صناديق الاقتراع

ومع توفر ذلك الحل الجامع، يكون الجميع بين ليونة المخاطبة وحزم القيادة تجاه التآمر، أو الإصرار على التمرد، موقفاً مقبولا من أكثرية الشعب.

هكذا ابتعد الجميع عن رؤية المخاطر المحدقة بالعراق. وعن رؤية مخططات تآمر مرسوم للإيقاع بالعراق وبفرص وحدة العرب وإعادة الجميع للوراء. ربما سيشعر المزيد من باحثي ومؤرخي ومناضلي التيار القومي العربي والشيوعيين وأنصار التيارات الوطنية الأخرى، بالنتائج السلبية والمأساوية التي ترتبت على فتح أبواب العنف السياسي على مصراعيه وتوسيع الهوة بين قوى التغيير والتقدم والوحدة.

---

(24) لقد كانت الناصرية في تلك الحقبة في أعلى مراحل أنويتها وذاتويتها، ومصريتها المتبرقعة بالغطاء العروبي، ليس على البعد المصري فحسب، بل شمل العالم العربي برمته. وقد تدخل النظام المصري في شؤون أغلب البلدان العربية.. وشجع القوى القومية على الإسراع في تحقيق الوحدة العربية بقيادته وبصورة فوقية دون الأخذ بالاعتبار واقع تكويناتها وظروفها ورغبة شعوبها. من هنا أدرك قاسم موقف الرئيس ناصر ورؤيته، ولم يتصادم معه مباشرة رغم التدخل المستمر في تشجيع المحاولات الانقلابية ضد نظام الحكم في العراق. وقد اعترف عبد الناصر بعد هزيمة حزيران بخطل هذه السياسية، لكن بعد فوات الأوان.

وقد سبق أن قيم باقر إبراهيم الموسوي شخصية الزعيم قاسم بالقول:

[إن الخصومات الحادة التي أعقبت ثورة 14 تموز (يوليو) مباشرة، كانت تعبر عن وعي وتجربة قادة الثورة، وكذلك الأحزاب السياسية، وبالتالي عن حالة وتجربة الشعب. لكننا، لاستخلاص تجربة مفيدة، بإمكاننا أن نحاكم أحداث الأمس بعقلية يومنا أيضاً، رغم الأثمان الباهظة التي دفعناها، ورغم فوات الأوان.

فهل كان الافتراق الحاد، ثم العداء الحاد، أمرا محتما؟ وهل كانت تلك اللجاجة على الوحدة الفورية مع ج ع. م. صحيحة؟ وفي الواقع.. هل استمر دعاتها عليها، بعد ان تسلموا هم السلطة؟ وهل كانت تلك المقاطعة من جانب القوى الديمقراطية، والحزب الشيوعي، ومؤيدي قاسم وعدم المرونة تجاه لجاجة القوميين من أجل الوحدة، صحيحة وضرورية؟ ألم يكن من الضروري، أن يتنبه الجميع إلى أن أعداء الثورة، وخاصة الإمبرياليين وملوك النفط، قد اختاروا تلك الثغرة، كمنفذ لتحقيق هدفهم في تحطيم الثورة والشعب الثائر؟

إن ثورة 14 تموز حققت منجزات كبيرة للعراق، بعربه وكرده واقلياته القومية، والشعب العربي كله، ولقوى التحرر والديمقراطية في العالم. وكانت منجزاتها الوطنية والقومية والاجتماعية، لصالح الشعب الكادح، ولتطوير العراق والسير في طريق الديمقراطية واضحة ومعروفة. وصار يعترف بها الآن، بعض من أنكرها بالأمس.

كان من الصحيح ومن المهم، أن يطمح الحزب الشيوعي وكذلك الأحزاب القومية والدينية والليبرالية إلى تطور الوضع وفقا لبرامجها وبعد أن يبحثوا بما هو مشترك بينها. ولكن لنا أن نتساءل اليوم:

هل أن اللجاجة والسعي الملح، من قبل الجميع، لأن يكون ذلك التطوير عن طريق استلام السلطة، بل حتى بالانفراد بالسلطة، هل كانت هي الحل؟ وهل قدم ذلك «الحل» خدمة للعراق، أم تسبب في تأخيره؟

إني أهتم بمتابعة ما ينشر، أو يلقى في المحاضرات من قبل بعض القادة السياسيين أو بعض الأحزاب، حينما يرمي كل على الآخر، المسؤولية في التواني عن مبادرة لاقتناص فرصة استلام السلطة في عهد المرحوم قاسم. لن تكون تلك الدعاوى طعنات تضاف إلى جسد الأسد الثقيل! إن عبد الكريم قاسم، بعقليته الوطنية وإخلاصه لمثله الوطنية والاجتماعية أسهم في تحقق تلك المنجزات كقائد للثورة ولعملية التطوير. ومن المتوقع أن تبرز عنده وبسبب تربيته ونفسيته العسكرية، النزعة لتقديس دور الفرد والخشية من المعارضة

ومن الحياة الحزبية، والرغبة في الحد من التطور الديمقراطي، أما نزعته للتوازن بين القوى السياسية فلم تكن بدون جوانب إيجابية وبعد نظر، بل أن استغرب ذلك هو الغرابة بعينها.

أليس في نزعة قاسم التي أتينا عليها أعلاه ما يماثلها أمس واليوم، لدى الغالبية الساحقة من القادة الثوريين والقوميين والشيوعيين والإسلاميين؟ ألم تكن العقلانية في المطالب التي تعرض كأهداف للنضال آنذاك، لازمة ومطلوبة؟ تتكاثر الأسئلة التي تلح في طلب الإجابات، دون حد، ومن الضروري أن تتكاثر[25]].

9 ـ رأي وزراء في مرحلة تموز/ قاسم:

نشر د. مهدي الحافظ، مقالة حول الشخصية الوطنية والسياسية عبد اللطيف الشواف، الوزير السابق في حكومة الزعيم عبد الكريم قاسم، التي قال فيها:

[ولعل تجربته مع الزعيم عبد الكريم قاسم كانت فريدة من نوعها وبالغة الحراجة. لقد اختاره عبد الكريم قاسم وزيراً للتجارة في منتصف 1959 في أدق الظروف السياسية وأشدها خطراً على تطور البلاد... ولم يكن لعبد اللطيف الشواف أي خيار سوى المسعى بطريقته الخاصة البعيدة عن المجابهة والعنف لترميم النهج العام والتأثير على قيادة الحكم وسط صعوبات وتعقيدات جمة وذلك عن طريقة النصيحة والتحذير من الأخطار الشاخصة... وخلال وجوده في المسؤولية أسهم في إنضاج وتحقيق عدد من الإنجازات في مجال النفط (قانون رقم 80 والتحضير لتأسيس شركة النفط الوطنية) وتطوير العلاقات التجارية الخارجية العراقية وإعداد مشروع الدستور الدائم وغيرها.

إلا إن تقويمه لعبد الكريم قاسم وأسلوبه في الحكم جديران بالاهتمام والمراجعة، وقد كتب الفقيد دراسة مطولة عن ذلك (لم تنشر بعد)، وهي تنطوي على دروس وخبرات ثمينة. وتخلص الدراسة إلى توكيد القناعات الوطنية والتطلعات الشعبية لعبد الكريم قاسم ورغبته الصادقة في بناء مستقبل زاهر للعراق. غير أن ظروف الانقسام الداخلي والضغوطات الخارجية قد عطلت هذا التوجه وآلت إلى نهايته المأساوية. ويحمل الفقيد الشواف القوى السياسية العراقية وكذلك بعض الوزراء السياسيين البارزين مسؤولية خاصة في انحراف وانتكاس للتجربة القاسمية، دون أن يبرئ نفسه من قسط منها، مع أنه كان خارج دائرة القرار والممارسة الفعلية. هذا ما كنا نسمعه غالباً منه[26]].

---

(25) راجع جريدة القدس العربي الدولي 31/07/ 1995.
(26) جريدة السفير اللبنانية بتاريخ 1996/09/10

10 ـ حسن رفعت وقاسم

كتب الوزير السابق حسن رفعت عن إحدى معاضل المرحلة كما أوردها الباحث الحقوقي محمد عنوز، بالقول:

[ففي صبيحة يوم الجمعة 8 شباط 1963، سقطت الحكومة الأكثر وطنية ونزاهة في تاريخ العراق حتى يومنا هذا، الحكومة التي نالت مساندة قطاعات واسعة من الشعب العراقي والتي رفض رئيس وزرائها الزعيم عبد الكريم قاسم معالجة تطورات القضية الكويتية ذات الأبعاد الدولية بوسيلة لا تنسجم مع مصلحة الشعب العراقي وحقوقه في وحدة الشعب والأرض على أسس سليمة بعيدة عن العنف والتهديد بالقوة أو باستخدامها، وفي ذات الوقت شدد على رفض السياسات الاستعمارية التي مارستها الدول الكبرى خصوصاً بريطانيا العظمى، ومثل هذا الموقف يعرفه كل منصف بكونه من حقائق التاريخ التي ليس من السهل تجاوزها. ومما يذكر بهذا الشأن (حضور عبد الكريم قاسم، ومباشرةً بعد المؤتمر الصحفي، مأدبة العشاء التي أقامها رئيس أركان الجيش بداره ودعي إليها أعضاء مجلس الوزراء. وكنت واحداً منهم ـ ومجلس الدفاع الوطني، وأثناءها تمت مناقشة ما جرى في المؤتمر الصحفي وما يجب عمله في المرحلة القادمة، ولم يجر خلال المناقشة والأحاديث طرح الحل العسكري إطلاقاً، إذ كان قد استبعد أصلاً، وكل الاقتراحات التي وضعت على الطاولة كانت تهدف كيفية التحرك السياسي والإعلامي محلياً ودولياً وكيفية إيجاد صيغة للتفاهم والحوار، ولكن ردود الفعل للانفعالات غير الموزونة وغير المدروسة لبعض الجهات والمحركة من بعض الأطراف.. ولطموحات شخصية، كلها أدت لعرقلة وتأخير المبادرات الهادئة والإيجابية التي كانت تجري وبصورة سرية بين مختلف الفرقاء وباستمرار لدراسة إمكانية إيجاد صيغة عملية وواقعية خروجاً من وسط زوبعة أثارتها الأوساط العربية والعالمية[27]].

---

(27) مستل من د. عبد الخالق حسين/ ثورة 14 تموز، ص. 157، مصدر سابق. ويشير المؤلف إلى المقالة التي نشرها الكاتب مرتضى الشيخ حسين في جريدة العراق الحر في لندن، بتاريخ 9/1/ 2002، التي تحدث فيها عما نسب إلى السيد حميد سيد حسين الحصونة قائد الفرقة الأولى آنذاك، بعدم التحرك لاحتلال الكويت، الذي أجاب قائلاً: **إن هذا النبأ مجرد إشاعة كاذبة مضللة دبرها الإنكليز للإنزال في الكويت أي ضد عبد الكريم قاسم الذي أطاح بحلف بغداد وتكالبت عليه جميع الأطراف من الداخل والخارج لتشويه حقيقته والإطاحة به. إن عبد الكريم قاسم لم يكلفني باحتلال الكويت ولو كلفني وامتنعت عن التنفيذ لفصلني لمخالفتي أمراً عسكرياً صارماً لا يجوز في الجيش مخالفته دون عقاب لمن يمتنع عن التنفيذ. ولو كان** ←

11 ـ إسماعيل العارف:

كتب العارف في صلب مذكراته عن سياسة الزعيم قاسم الخارجية بالقول:

[كان عبد الكريم قاسم من أكثر الضباط إحساسا بمأساة الشعب الفلسطيني. فقد حارب هناك ببطولة مشهودة عندما كان آمر فوج في منطقة كفر قاسم. ولمس بنفسه الجرائم التي ارتكبها الصهاينة ضد الشعب الفلسطيني. فأراد أن يعالج القضية الفلسطينية من ناحية عملية وواقعية. فقرر اتباع ثلاث خطوات عملية، أولها دعم المقاومة الفلسطينية بالمال والسلاح؛ وثانيهما حث الشعب الفلسطيني على تحرير أرضه بنفسه، مع دعم من الدول العربية؛ وثالثها تشكيل حكومة فلسطينية بالمنفى لإبراز القضية الفلسطينية أمام الرأي العام الدولي.

تعاون عبد الكريم قاسم مع الهيئة العربية العليا لفلسطين برئاسة الحاج أمين الحسيني مفتي فلسطين السابق التي افتتحت مكتباً لها في بغداد ودعمها بالأموال والمساعدات المختلفة. وقرر مجلس الوزراء تخصيص ربع مليون دينار سنوياً إلى تلك الهيئة ومنح مكتب الهيئة في بغداد عشرة آلاف دينار. وقامت السفارة العراقية في بيروت بمنح عشرة آلاف دينار لإنشاء دار لرعاية الأمومة والطفولة للفلسطينيين هناك[28]. وكانت الحكومة العراقية

← الأمر المذكور حقيقة ولو أني خالفته لحق لعبد الكريم قاسم وهو قائد عسكري في أعلى السلطة أن يعاقبني بالفصل من الوظيفة وإناطة الأمر باحتلال الكويت إلى غيري من قادة الجيش وكل ذلك لم يتم وهو إشاعة مغرضة كما بينت]. هذا الرأي الأقرب إلى المنطق ويناقض ما كتبه حسن العلوي عن لسان عدنان آل طعمة من كون الحصونة رفض تنفيذ الأمر لأنه استشار آمره الديني آية الله محسن الحكيم والذي منعه شرعاً لأن الاحتلال سيؤدي إلى قتل المسلمين وسفك دماء بدون حق. راجع حسن العلوي، أسوار الطين، ص، 97 ـ 98، دار الكنوز الأدبية، ط 1، بيروت 1995. رغم أن العلوي ذاته لم يكن يعتقد [أن قاسم أوعز للقائد العسكري للتوجه باحتلال الكويت مستنداً على إدراك عبد الكريم قاسم لمشكلات التورط في الحرب]. نفس المصدر والصفحة. في الوقت الذي أعزوه إلى طبيعة قاسم غير الميالة لحل القضايا بالطرق العسكرية.. رغم أنه عسكري. وهذه تمثل إحدى أهم ميزات الزعيم قاسم وهي تنسجم مع منظومة أفكاره في إدارة الصراع الاجتماعي وتسيير الشؤون الإدارية في الدولة.

(28) يقول سفير العراق السابق في بيروت بصدد تبرع العراق لإنشاء دار إسعاد الطفولة، لإيواء ما لا يقل عن 300 من الأطفال الفلسطينيين المشردين على أن تغطى كلفة إنشاء هذه الدار من تبرعات العرب [مثل رئيس الجمهورية في هذه الحفلة رشيد كرامي رئيس الوزراء حيث افتتح سجل التبرعات باسم رئيس الجمهورية بمبلغ عشرة آلاف ليرة لبنانية، كما تبرع رئيس الوزراء بمثل هذا المبلغ وتبرع كل من سفراء الأقطار العربية بمبلغ يتراوح بين العشرة آلاف والخمسة آلاف ←

تدفع مائتي ألف دينار سنوياً كمخصصات لإغاثة اللاجئين الذين وصلوا العراق بعد النكبة سنة 1948...

وتنفيذاً للرأي الذي كان يؤمن به عبد الكريم قاسم في أن فلسطين لا يحررها سوى أهلها[29]، تقرر تشكيل جيش التحرير الفلسطيني بقانون رقم (120) في 27 آذار / مارس 1960... وقد خصص مبلغ 360240 دينار في ميزانية سنة 1960 للإنفاق على هذه القطعات...

واعترف العراق بحكومة الجزائر المؤقتة فور تشكيلها في 19 أيلول/سبتمبر 1958 وكان ذلك أول دولة تعترف بها... وقام العراق بدفع مليون دينار في أول أيار/مايو 1960 ووعد بدفع مليون آخر بعد ستة أشهر للحكومة الجزائرية المؤقتة.

وكانت الثورة الجزائرية تستلم من حكومة العراق الثورية أكبر مبلغ يدفع إليها من الحكومات العربية الأخرى. فقد رصد في ميزانية السنة المالية 1959 وما بعدها وحتى نهاية السنة المالية 1961 مليونا دينارسنويا، كانت تدفع بقسطين بينما لم تزد مساعدات المملكة العربية السعودية مثلاً عن ثلاثين ألف ريال، ولم تدفع الجمهورية العربية المتحدة حصتها لميزانية الثورة الجزائرية لعدة سنين. وكانت الطائرات العراقية تنقل الأسلحة والأعتدة والتجهيزات العسكرية باستمرار إلى تونس لتسلم إلى الثوار الجزائريين بين كل أسبوع أو أسبوعين...

وقررت الحكومة العراقية تحمل جزء من نفقات ممثل عُمان في هيئة الأمم المتحدة. وأجازت فتح مكتب في بغداد للثورة العمانية، كما ساهمت بنسبة 12,57٪ من الميزانية التي أقرتها الجامعة العربية لميزانية عمان وبلغت سبعة وثلاثين ألفا وسبعمائة وعشرة دنانير.

← ليرة لبنانية، وعندما دعيت لبيان مقدار تبرع الجمهورية العراقية، أعلنت بأن حكومتي تتبرع بتكاليف بناء جناح كامل في هذا المشروع الفلسطيني مهما بلغت... وتسلمنا برقية من وزارة الخارجية جاء فيها أن رئيس الوزراء (عبد الكريم قاسم) أيد تصرف السفير بالتبرع باسم الجمهورية العراقية... وقرر أن يكون مبلغ التبرع عشرة آلاف دينار يحول إلى مصرف الرافدين...] من أوراق نجيب الصائغ، في العهدين الملكي والجمهوري،، ص. 144 و193، دار اليقظة العربية، بغداد 1990.

(29) واجهت هذه السياسة الصائبة مقاومة كبيرة آنذاك من قبل كثير من زعماء التيار القومي المرتبط بالتيار الناصري على وجه التحديد. كما حاربها أيضاً كل الحكام العرب آنذاك، الذين نصبوا أنفسهم ممثلين بالنيابة عن الشعب الفلسطيني دون خياره.. وكانت هذه واحدة من علل السياسة العربية التي قادت إلى الهزائم.

وقامت حكومة الثورة بإرسال الأسلحة والعتاد بطائرات عراقية عن طريق المملكة العربية السعودية لثوار عمان... وفي 28 تشرين الثاني/نوفمبر 1960 خصص مجلس الوزراء العراقي مبلغاً آخر يدفع سنوياً لدعم الثورة العمانية...[30]].

12 ـ رأي ضابط وسياسي مستقل:

وكتب الضابط الكردي والوزير، الزعيم فؤاد عارف، في مذكراته عن الزعيم قاسم، ما يلي:

[كان عبد الكريم قاسم يبني علاقات أو يرغب في بناء علاقات مع الناس، أي من الشعب، لا على أساس تكتلاتهم، بل على أساس عراقيتهم، بغض النظر عن كل شكل من أشكال التمايز الجغرافي أو القومي أو حتى السياسي. أقول إن عبد الكريم قاسم كان رجلاً عراقياً له صفات العراقي. كان الرجل إنساناً بسيطاً بكل معنى الكلمة وأقصد بالبساطة هو التواضع. كان لا يعرف الحقد، كريم النفس، سخياً لا يعرف البخل، غيوراً على العراق طالباً وضابطاً. كان كتوماً جداً، حتى إننا كنا في فترة ما نعتقد أنه من المخلصين لنوري السعيد. كان قبل الثورة قليل الكلام... فقد كان عالماً مغلقاً لا يتمكن من معرفة مشاعره الحقيقية إزاء النظام الملكي غير المنضمين إلى حلقته في تنظيمات الضباط الأحرار، وفي اعتقادي أن مسؤولية قيادة العراق كانت أكبر من قدراته الحقيقية، وربما كان هذا سبب فشله. لكنه كان ضابطاً جيداً وشجاعاً...] ويضيف قائلاً: [اتصل بيّ عبد الكريم قاسم وطلب مني زيارته، فأمتنع، فطلب أن يزورني هو بنفسه في داري، فقلت له لن أفتح الباب ما لم توافق على الاستقالة، (التي قدمها فؤاد عارف من منصب وزير دولة آنذاك ـ ع. ن.) فوافق ثم زرته...[31]].

وفي حوار صحفي مع أمل الجبوري من بغداد أجاب عن سؤالها عن أبرز ما كانت تمتاز به شخصية عبد الكريم قاسم من خلال رفقته له منذ الدراسة حتى مصرعه، قال:

[لقد كان رجلاً شجاعاً كفوءاً كآمر لواء، ليست لديه خبرة الرئاسة، لم يكن شعوبياً

---

(30) إسماعيل العارف، المذكرات مصدر سابق، ص. 297 ـ 303.

(31) راجع مذكرات فؤاد عارف، مصدر سابق، جريدة القدس الدولي، لندن، الحلقة 9 و11 في تشرين أول / أكتوبر 1998. وقد صدرت في دهوك في كتاب مستقل ـ الجزء الأول. ويتضح من مضمون المذكرات أن فؤاد عارف كان على علم مسبق بانقلاب شباط 1963، وكان أيضاً على صلة الوصل بين قادة الانقلاب وقيادة الحركة الكردية والاتفاق الذي جرى بينهما لإسقاط حكم قاسم.

متطرفاً، كان عراقياً لا فرق لديه بين شيعي وسني، عربي وكردي، الإنسان لديه هو الإنسان، أحب الفقراء وأحبوه، كان يقول نحن شركاء في هذا البلد... لم يكن يحبذ الإعدامات، لأنه كان يملك طبيعة بشرية لا تؤذي نملة، كان يقول: لا تقولوا اعدم.. اعدم، قولوا إبني.. عمّر. حتى إن معظم الإعدامات التي حصلت في زمنه لم تكن بعلمه، خذي مثلاً، مقتل فيصل الثاني بعد قيام الثورة، عبد السلام عارف كان يقف وراء ذلك لأن خطة عبد الكريم كانت أن يقدم الوصي ونوري السعيد للمحاكمة العادلة ويضع الملك تحت الوصاية مدة ثلاثة أعوام، لكن حدث الذي لم نكن نتمناه، وعندما سمع بمقتل الشواف، صدقيني، رأيته بأم عيني وهو يبكي.

ـ ألم يكن دكتاتوراً كما يوصف الآن؟

ـ لم يكن ديكتاتوراً لكن الناس والشيوعيين بالذات هم الذين كانوا وراء البلاء والتطبيل له.. أوحد.. أوحد.. حتى أوهموه إلى الحد الذي جعله لا يسمع أحداً.

ـ من أبرز الساسة الذين كان يأتمنهم قاسم؟

ـ كان يأتمن الجميع في بداية الأمر، إلا أن ما فعله عبد السلام عارف من وشايات ومكائد جعلته يتوجس من الآخرين

ـ هناك مشاريع عمرانية واقتصادية نفذت بعد غيابه هل كانت حقاً من استراتيجيته في بناء العراق كما يقول البعض؟

ـ نعم، هو الذي خطا الخطوة الأولى ليعبد الطريق أمام تأميم نفط العراق بعد أن كان ملكاً للشركات الأجنبية التي كان لها الحق أن تستثمر جميع الأراضي، إلا أنه حددهم فقط بالأماكن التي كانوا يعملون فيها. فالقانون رقم 80 كان أحد الأسباب التي قتلته، كذلك قضية الكويت التي كانت في نهاية الأمر قضية نفط أيضاً، نادى بها ليجس النبض وعندما حاول الرئيس صدام بعد ذلك دفع الثمن غالياً.

ـ أبرز المؤامرات التي تعرض لها عبد الكريم قاسم؟

ـ كل التعقيدات تكالبت عليه: شركات النفط، كما أسلفت، والاستعمار الذي حاول إشعال النعرات والخلافات بين الحين والآخر، كذلك الإنكليز وعبد الناصر من الجهة الأخرى والذي كان عبد السلام هو السبب الرئيسي بجعل العلاقة تسوء بينهما إلى الحد الذي وصلت إليه.

ـ وهل كان مقتل عبد الكريم قاسم ثورة أم انقلاباً؟

- ثورة 14 تموز عام 1958 هي الثورة الحقيقة في العراق، أما ما حدث بعد ذلك فهو مجرد انقلاب لا أكثر.

- ماذا عن الوجه الآخر لشخص عبد الكريم قاسم؟

كان عفيف اليد واللسان، لم يسمح لعائلته الاستئثار بالسلطة حتى قال لأخيه أمامي والذي كان يحمل رتبة نائب ضابط في الجيش، ستبقى في رتبتك طالما بقيت أنا رئيساً للجمهورية (كان رئيساً للوزراء - ع. ن.). أما أخوه الأكبر فكان ميسور الحال يصرف على العائلة. لم يكن شخصاً معقداً حاول الزواج لكنه لم يوفق، فقد ركز اهتمامه على الحكم، لكن المرأة الوحيدة التي أحبها كانت زوجة فنان معروف. كنا نلتقي نحن الثلاثة ولساعات طويلة في بيت عبد الكريم حتى بقيت الوحيدة التي سكنت قلبه دون منازع. من عاداته السهر حتى الساعات الأولى من الصباح مما يضطره إلى النهوض الساعة الثانية عشرة ظهراً ليكون الغذاء والفطور وجبة واحدة.

كان يحب قراءة كتب التاريخ والسيرة. وأذكر أنه كان قليل الكلام عندما كان معي في الكلية العسكرية، لكن السلطة أطلقت لسان قاسم بشكل يكاد يكون غريباً للذين عاشوا معه وعرفوه قبل أن يصبح (الزعيم الأوحد). لم يعرف الحقد، كان متسامحاً، حتى مع الذين حاولوا قتله، حيث لم يكن رده على قاتليه غير عبارة: «عفا الله عما سلف»[32]].

13 - رؤية زعيم سياسي كردي منصف:

نشر مسعود البرزاني، رئيس الحزب الوطني الديمقراطي، كتاباً عن والده مصطفى البرزاني[33]، وكان بعنوان: البرزاني والحركة التحررية الكردية، وقد تضمن الكتاب فصلاً

(32) راجع نص الحوار في المصدر السابق، العدد 2917 في 26 - 27 / 09/ 1998. ثم أعيد نشرها في كتاب مستقل، ص، 212 - 213 و252. في الوقت نفسه انتقد فؤاد عارف الزعيم قاسم بصورة غير موضوعية ما له علاقة بالحركة الكردية، حيث قال: [إن عبد الكريم قاسم كان وراء كل فتنة تقع بين الحكومة والشعب الكردي]، المذكرات، ص. 237، مصدر سابق. هذا الحكم غير منطقي ويقف خلفه الوعي القومي المتعصب. والمؤلف يناقض في هذا القول ما ذكره أعلاه بصدد عدم تفرقة عبد الكريم قاسم بين العربي والكردي. كما أن فؤاد عارف نفسه يعترف في مذكراته بصورة ضمنية، وفي بعض الأحيان بصورة صريحة. وكان على معرفته بانقلاب شباط ضد عبد الكريم قاسم، من خلال الصلات التي توسط فيها بين الحركة الكردية وقادة الانقلاب العسكريين منهم خاصة، من أمثال طاهر يحيى وأحمد حسن البكر وكذلك علي صالح السعدي وغيرهم.

(33) مسعود البرزاني، البرزاني والحركة التحررية الكردية، نشر في جريدة الزمان منذ 2002/10/4.

عن ثورة 14 تموز والزعيم قاسم، كانت قراءة حديثة ومليئة بالروح النقدية الموضوعية المكشوفة والمستترة وبأسلوب دبلوماسي هادئ، نورد مقطعاً منها، حيث يقول:

[إني أسمح لنفسي أن أبدي ملاحظاتي وأستميح كل مناضلي الحزب الديمقراطي الكردستاني والشعب الكردي الذين مارسوا أدوارهم في تلك الفترة عذراً لأن أقول وبصراحة بأنه كان خطأً كبيراً السماح للسلبيات بالتغلب على الإيجابيات في العلاقة مع عبد الكريم قاسم، مما ساعد على تمرير مؤامرة حلف السنتو وعملائه في الداخل والشوفينيين وإحداث الفجوة الهائلة بين الحزب الديمقراطي الكردستاني وعبد الكريم قاسم. فمهما يقال عن هذا الرجل فإنه كان قائداً فذاً له فضل كبير يجب أن لا ننساه نحن الكرد أبداً. لا شك أنه كان منحازاً إلى طبقة الفقراء والكادحين وكان يكن كل الحب والتقدير للشعب الكردي وكان وطنياً يحب العراق والعراقيين وكان التعامل معه ممكناً لو أحسن التقدير. يُتَهَمّ عبد الكريم قاسم بالانحراف والدكتاتورية، أتساءل هل من الإنصاف تجاوز الحق والحقيقة؟ لقد قاد الرجل ثورة عملاقة غَيَّرت موازين القوى في الشرق الأوسط وألهبت الجماهير التواقة للحرية والاستقلال وشكل أول وزارة في العهد الجمهوري من قادة وممثلي جبهة الاتحاد الوطني المعارضين النظام الملكي ومارست الأحزاب نشاطها بكل حرية. ولكن لنكن منصفين ونسأل أيضاً من انقلب على من؟ إن بعض الأحزاب سرعان ما عملت من أجل المصالح الحزبية الضيقة على حساب الآخرين وبدلاً من أن تحافظ أحزاب الجبهة على تماسكها الذي كان كفيلاً بمنع عبد الكريم قاسم من كل انحراف، راحت تتصارع فيما بينها وبعضها تحاول السيطرة على الحكم وتنحية عبد الكريم قاسم ناسيةً أولويات مهامها الوطنية الكبرى. إني أعتبر أن الأحزاب تتحمل مسؤولية أكبر من مسؤولية عبد الكريم قاسم في ما حصل من انحراف على مسيرة ثورة 14 تموز... إن عبد الكريم قاسم قد انتقل إلى العالم الآخر، ويكفيه شرفاً أن أعداءه الذين قتلوه بتلك الصفة الغادرة فشلوا في العثور على مستمسك واحد يدينه بالعمالة أو الفساد أو الخيانة. واضطروا أن يشهدوا له بالنزاهة والوطنية، رحمه الله. لم أكره عبد الكريم قاسم أبداً حتى عندما كان يرسل أسراب طائراته لتقصفنا، إذ كنت أمتلك قناعة بأنه قدم كثيراً لنا، كشعب. وكأسرة لا يتحمل لوحده مسؤولية ما آلت إليه الأمور. ولا زلت أعتقد أنه أفضل من حكم العراق حتى الآن[34].

(34) مستل من: مسعود البرزاني، البرزاني والحركة التحررية الكردية، ص.

14 ـ رأي أحد الوزراء القوميين:

كتب د. علاء الدين الظاهر، عن محادثته مع أحد الوزراء القوميين، ما يلي:

[... قبل عدة سنوات، سأل أحد الأخوة العراقيين، في مناسبة عامة أحد القادة العروبيين عن رأيه بعبد الكريم قاسم فكان الرد:

(قندرة (حذاء) عبد الكريم قاسم أشرف من كل الذين حكموا العراق بعده بمن فيهم أنا).

أعتذر عن ذكر أسم هذا الرجل الشجاع والذي أكن له كل تقدير واحترام وكل ما أقوله عنه: أنه من قادة الضباط الأحرار المقيمين في السويد وشخصيته لا تخفى على أحد... وعلى كل حال نشرت إحدى صحف المعارضة تعليقه بالكامل(35).

15 ـ رؤيا الأديب والسياسي ذو نون أيوب:

كتب الأديب ذو نون أيوب حول عبد الكريم قاسم في روايته: وعلى الدنيا السلام ما يلي:

[لقد واجهت قائد الثورة، فوجدته يختلف عن القادة العسكريين الذين يقومون بأمثال هذه الثورة في كل بلد متأخر في العالم الآن ووجدته في حيرة. إن أهداف القوم واحدة، فلماذا يختلفون ويقتل بعضهم البعض الآخر. لتأديب من استعمال العنف.. إذ إنه نشأ وتربى في وسط القوة التي لا تعرف غير القوة حلاً. لقد ملت للرجل ولكني أدركت أنه حمامة سلام في ثوب نسر أو مسيحي يحمل صليبه على كتفه إن أعداءه في الخارج

---

(35) يبدو من النص أن المعني هو العميد الركن عبد الكريم فرحان، من القوميين العرب ومن أعضاء الهيئة العليا للضباط الأحرار. كان مع رتل الهادي في الأردن يوم 14 تموز، ولعب دوراً مهماً في سحب الرتل من داخل الحدود الأردنية إلى العراق. ساهم بعد الثورة في تأسيس حركة الضباط القوميين الأحرار وهو ائتلاف بين حركة القوميين العرب والمكتب العسكري لحزب البعث لأجل الإطاحة بحكم الزعيم قاسم. فشل هذا الائتلاف لينفرد كل منهم في طريقه. حددت مجموعته يوم العيد 25 شباط 1963 موعداً للإطاحة بحكم الزعيم. تعين وزيراً للزراعة والإصلاح الزراعي، والإرشاد. أصدر كتابين عن ثورة 14 تموز.. الأول عن مقدمات الثورة، والثاني عن تجربته في الحكم (حصاد ثورة). اعتقل في قصر النهاية وعذب من حلفاء الأمس. مقيم بالسويد منذ مطلع السبعينيات من القرن الماضي.

يسمونه دكتاتوراً وهو لا يستطيع في نظري أن يحمي نفسه. إنه يترفع عن استعمال القوة حتى في الدفاع عن نفسه. أما الساسة الحاذقون المطلعون فيعتبرونه جاهلاً في السياسة مفلساً.

أما أعداؤه في الداخل فيروجون بأنه رجل مجنون وأن الخير في التخلص منه، وهو يسمع كل ذلك دون أن يتأثر. إنه رجل همه منصب على إلغاء أنظمة قديمة جائرة وإبدالها بأخرى منصفة إنسانية حديثه، وهذا ما استهوتني للبقاء معه. على الرغم من أني أعلم، أنا وكل أنصاره القلائل، بأننا سائرون إلى الهاوية[36]].

- وحول الحملة الإعلامية التي قادتها مصر الناصرية ضد قاسم، كتب ذو نون أيوب يقول:

[كانت إذاعة مصر تقذف حمماً في وجه قاسم وحكمه. ولم يطلب قاسم منا رداً أو هجوماً معاكساً. وقد تحرشت أنا به حول هذا الموضوع. فقلت له أنه إذا لم يرد الرد فلدينا من الأجهزة ما يشوش على تلك الإذاعة. فأجاب «إخواننا هؤلاء يكذبون علينا كثيراً، وسيرجعون إلى جادة الصواب فدعهم والناس هنا يدركون الحقيقة بدون رد»].

- كما يكتب في صلب مذكراته حول علاقة الزعيم قاسم بالشاعر المجدد بدر شاكر السياب، حيث يقول إنه:

[أثناء زيارته للقاهرة في عام 1972، التقى المرحوم عبد اللطيف الشواف الوزير السابق في حكومة الزعيم عبد الكريم قاسم، والذي كان مقيماً هناك، وقد أكرم ضيافته، فيقول:

وكان من أغرب ما سمعت من أحاديث أبي علي (عبد اللطيف الشواف) أنه كان الشفيع لرعاية بدر شاكر السياب عند قاسم. وبلغت الرعاية أن أرسل الزعيم الشاعر للاستشفاء على نفقته الخاصة، خارج العراق، فصاغ الشاعر قصيدة مدح له سماها (الزعيم) وحدث أن قتل قاسم وهو (السياب) في المستشفى، فبدل الزعيم بالزنيم وأحالها إلى قصيدة هجاء. ثم لحق بقاسم بعد وقت قصير دون أن يجد رعاية من أحد[37]].

---

(36) مستل من مقالة د. عبد الخالق حسين: عادت حليمة لعادتها القديمة، جريدة القدس العربي الدولي، في 9 آذار / مارس 2001.

(37) ذنون أيوب، المذكرات، الجزء الخامس، مصدر السابق، ص 55.

16 ـ رأي باحث تراثي جليل:

كتب العالم التراثي الجليل هادي العلوي عن الزعيم قاسم يقول:

حالة عبد الكريم قاسم لا تقترن بموقف تقدمي، لأن عبد الكريم قاسم لم يكن مثقفاً، وإنما هو زعيم عسكري وسياسي. ولم تكن له اتجاهات يسارية ضاغطة، بل هو وطني بالمفهوم العام.

أما خروجه من ربقة الطائفية فيرجع إلى عاملين:

الأول: تكوينه الأخلاقي المتين. والأخلاق عندما تتبلور كقيم ضاغطة لدى الفرد تتغلب على النزعات العقائدية أو الأيديولوجية الضارة، أو تخفف من تأثيرها.

الثاني: خلفيته العائلية. فقد ولد لأب سني وأم شيعية. وكان كلا الأبوين فاضلاً ومحمودا في محيطه... فعبد الكريم، نشأ في عائلة متوازنة طائفياً وهي عائلة فاضلة أيضا وأتيحت لعبد الكريم تربية مستقيمة، هي التي تقف وراء شخصيته الاجتماعية المتكاملة[38]].

17 ـ تقييم الاكاديميين بينروز لمرحلة قاسم:

تناول الأكاديميان بينروز، بالدراسة العلمية للعراق خلال الفترة 1915 ـ 1975، وتوقفا كثيراً عند المرحل، وأشارا إلى العديد من سماتها نورد بعضاً منها هنا:

- إن الانتقادات الموجهة لهذه المرحلة [يجب أن توضع في موضعها من الزمان والمكان والبدائل المتيسرة، فما أن قضى وبقوة على الفوضى والاضطراب في أول عهده حتى بدأت المؤامرات تذر بقرنها في الداخل والخارج، وكلها تهدف إلى إقامة أنظمة حكم تتجاوب مع العقائد السياسية للفئات المتآمرة. رغم الاختلاف الواسع والتباين الكبير بين تلك العقائد].
- [لقد كان العراق في عهد قاسم وما يزال يعتبر بصورة عامة أحد الأقطار التقدمية في المنطقة في الشرق الأوسط. إذ استطاع أن يقلم سلطة ملاك الأراضي، وإلى حد ما التجار والرأسماليين].
- [إن النواقص في ظل هذه الفترة يجب أن ينظر إليها على ضوء الانهماك الكبير بالصراع

---

(38) هادي العلوي، حوار الحاضر والمستقبل، مجلة النهج العدد52، (16)، ص. 58 خريف 1988.

السياسي الداخلي والخارجي. فالمؤامرات المستمرة وسيل الدعاية المعادية من الإذاعات الخارجية، تعكس تيارات عقائدية متضادة من جهات مختلفة، وتخلق جواً من عدم الثقة وعدم الاطمئنان، كثيراً ما تحول الاهتمام عن الأعمال البناءة وأعمار التطوير الداخلي].

- [فمع هذا فإن حرية الكلام والمناقشة في تلك الفترة، كانت أكبر من أية فترة تلتها، فلطالما كنا نسمع نقداً للنظام في المناقشات العادية اليومية، ولم يلجأ قاسم إلى الإجراءات القمعية، إلا حين يتأكد من قيام بعض الأفراد بالتآمر عليه].

- [ويرتبط الصراع العقائدي في العراق دوماً بالعوامل الخارجية، مثل ارتباطه بالعوامل الداخلية، وما من خطوة اتخذتها حكومة عبد الكريم قاسم، إلا وكانت ـ حين النظر إليها نظرة صحيحة ـ ترتبط بالعوامل الإقليمية أو عوامل أمن الدولة في العراق. وليس بالإمكان الحكم على قاسم وعهده دون الأخذ بالحسبان الظروف الخارجية التي واجهته، والتي كانت تكوّن دوماً تهديداً للاستقرار الداخلي ومصدراً حقيقياً أو متوقعاً للانقسام في الرأي والولاء في الداخل. وكانت لها على الدوام عقابيل داخلية أو إقليمية].

- [... إن عبد الكريم قاسم، على الأقل أنقذ العراق من أن يكون أداة سالبة في أيدي القوى الخارجية. وإنه وبطريق قويم جداً، وسع في بعض الأحيان، وإن يكن لحد محدود، في حرية التعبير أكثر مما فعله أسلافه. ومع الأخذ بعين الاعتبار، كل ما يتردد من المآخذ على عهد قاسم، فالثابت أننا سنسمع العراقيين وإلى سنين عديدة مقبلة كثيرة، يقارنون عهد قاسم بما جاء بعده من عهود مقارنة تنتهي لمصلحته هو لا مصلحتها[39]].

18 ـ رأي الأكاديمي حنا بطاطو:

كتب حنا بطاطو في موسوعته حول العراق ما يلي:

- [حتى هذا اليوم هناك عدد غير قليل من أولئك الذين وقفوا ضده أثناء تلك الساعات. يعترفون بصورة خاصة، وبصرف النظر عن كونه عدواً لهم، أن أبناء الشعب العراقي لم يمنحوا حبهم الأصيل من أعماقهم، لأي قائد في تاريخ العراق الحديث مثلما منحوه له].

---

(39) الاكاديميان بينروز، مصدر سابق، ص. ص. 449، 459,460.

وعن ثورة 14 تموز يقول:

[والواقع أن إلقاء نظرة سريعة على الآثار اللاحقة يكفي لجعلنا نعرف أننا أمام ثورة أصيلة. ولم يكن لظاهرة سياسية سطحية أن تطلق كل تلك المشاعر بهذا العنف، أو لتثير المخاوف أو الآمال بهذه الجدية التي غزت سنتي 1958 - 1959. والواقع أن 14 تموز (يوليو) أتى معه بأكثر من مجرد تغيير في الحكم. فهو لم يدمر الملكية أو يضعف كل الموقع الغربي في المشرق العربي بطريقة جذرية وحسب، بل إن مستقبل طبقات بأسرها ومصيرها تأثر بعمق. ولقد دمرت إلى حد كبير السلطة الاجتماعية لأكبر المشايخ ملاكي الأراضي ولكبار ملاكي المدن، وتعزز نوعياً موقع العمال المدنيين والشرائح الوسطى والوسطى الدنيا في المجتمع. وتغير كذلك نمط حياة الفلاحين نتيجة لانتقال الملكية من ناحية ولإلغاء أنظمة النزاعات القبلية وإدخال الريف في صلب القانون الوطني[40] من ناحية أخرى. وصحيح أن الثورة لم تجذر بالعمق بما يكفي، ولكن هذا ما يميل إلى تمييز كل الثورات التي تلعب فيها عناصر الطبقة الوسطى دوراً تقريرياً تقريبياً. وصحيح كذلك أن التيه ميز مسار الثورة وأنها كانت لها تعاقبات صعود وهبوط ولكن هذا ناجم عن عدم انسجام الطبقة الوسطى وعن الانشقاقات في صفوفها وصفوف سلك الضباط، الذي هو ذراعها المسلحة والشرعية القائدة فيها].

- [وإذا كان قاسم قد سعى، من خلال القيود الجزئية والتشجيع الواسع، إلى كسب ود أصحاب رؤوس الأموال فإنه أظهر، في الوقت نفسه، اهتماماً كبيراً جداً بالجماهير الواسعة من العمال الفقراء، وأوضح ذات مرة أن هذا «واجب على الابن أؤديه»، أنا ابن أبي وابن الطبقة لعاملة. وفي مناسبة أخرى قال أمام مؤتمر عمالي: «إني واحد منكم... أنتم عائلتي وقبيلتي... عندما أنظر في وجوهكم تصيبني قوة وأنقاد إلى مساعدة الكادحين في كل مكان» ولم يكن في هذا كله أي تكلف ولا كان الدافع إليه نفعياً... ولم يطعم قاسم الفقراء كلمات فقط، بل عمل بشكل ملموس وبالتنسيق مع عارف أولاً ثم لوحده على تحسين حصتهم فقد خفض أيجار الغرف بنسبة 20٪ وإيجارات

---

(40) يقصد بطاطو هنا إلغاء قانون دعاوى العشائر، وهو القانون الذي صدر في منتصف الثلاثينيات لينظم العلاقات الاجتماعية الجديدة في الريف العراقي بعيداً عن شمولهم بالقانون الجزائي (قانون العقوبات البغدادي)، وصدر هذا القانون في فترة بدايات تكوين علاقات إنتاج شبه الإقطاعية، مجازاً، لأجل تعميقها، بعد أن مهدت السلطات، آنذاك، ورسخت علاقات الملكية الزراعية لشيخ العشيرة قانونياً عبر قانوني تسوية الأراضي واللزمة وغيرها من القوانين والمراسم التي تصب في تحقيق هذا الهدف.

المنازل بنسبة تتراوح بين 15 ـ 20 ٪ وإيجارات الدكاكين بنسبة تتراوح بين 10 ـ 15 ٪، ولكن هذا الإجراء أفاد، أكثر ما أفاد، أفراد الطبقات الوسطى والوسطى الدنيا الذين لا أملاك لهم. والأمر الأكثر مغزى هو أنه خفض سعر الرغيف المسطح (مرقد) من 6 فلوس إلى 4 فلوس وسعر الصمونه من 10 فلوس إلى 8 فلوس، وخفض، بالمقياس نفسه، سعر الطحين الموزع على الأفران محملاً خزينة الدولة الخسارة الناجمة عن ذلك...

ـ وبكلمات مختصرة، فإن قاسم لعب بشكل مميز دور الوسيط في المجال الحيوي للعلاقات المتبادلة بين الطبقات. وهذا ما ساعده، بلا أدنى شك، في تدعيم انتصاره على عارف وفي الصمود في وجه التحديات لسلطته. ومما كان يفضي إلى النتيجة نفسها، بالضرورة ـ وإن لم يكن المنطق هو مركز القوة عند قاسم ـ المسار الوسطي أساساً الذي اتخذه في السياسة أيضاً... وإن الظروف دفعته بشكل متزايد إلى السير في تلك الطريق...[41]].

19 ـ السياسة الاجتماعية والاقتصادية للزعيم قاسم في رؤية باحثين:

قيم الباحثان الأكاديميان ماريون وبيتر سلوجلت السياسة الاجتماعية/الاقتصادية لمرحلة قاسم، بالقول:

[رغم النكسات التي عاقت التقدم في مجال الحريات المدنية والسياسية، استمر قاسم معروفاً لدى قطاعات واسعة من السكان بأنه رجل مبدأ حفظ مصالحهم ومصالح الأمة في قلبه.

وازدادت شهرته كتجسيد للثورة بدرجة أكبر عن طريق الاستجابة الواسعة لكثير من السياسات الاقتصادية والاجتماعية التي دعمها، إذ خصصت الحكومة موارد كبيرة لزيادة أعداد الأماكن المتاحة في كل مراحل التعليم ولتحسين الخدمة الصحية، وتنفيذ تشريع

(41) بطاطو، الجزء الثالث، ص. ص. 296، 115، 149 ـ 154. ولم يصب حسب اعتقادنا بطاطو، عندما نسب إلى عارف مساهمته في الإجراءات التي نفذها الزعيم قاسم بصدد مساعدة الفقراء، لأن بقاء عارف في السلطة لم يتجاوز الشهرين والنصف وإن أغلب هذه الإجراءات اتخذت أساساً منذ مطلع عام 1959، وتحديداً بعد خروج الوزراء القوميين في مطلع شباط، حيث أصبح الزعيم قاسم من الأسهل عليه معرفة المكان الذي يقف فيه، وهو المكان الوسطي المعبر عن فلسفة الفئات الوسطى، وممثلها الحزب الوطني الديمقراطي، ومثل هذا جوهر موقفه السياسي العام، رغم ميله نحو الفئات والطبقات الفقيرة مقارنةً بفكر الحزب الوطني.

عمالي متقدم، وأدخل إصلاحا زراعيا بعيد المدى في أكتوبر/تشرين أول لم يفلح لعدم الكفاءة في التخطيط وبالتالي في التنفيذ في كسر القوة السياسية لكبار الملاك... وقدمت عقود جديدة أكثر فائدة للفلاحين لتنظيم العلاقات بين الملاك ومستأجريهم ومشاركتهم في المحاصيل.

ولا ننسى خطوة أخرى ـ شعبية بصورة خاصة ـ التصقت بقاسم هي بناء مدينة الثورة، وهي عبارة عن مجمع إسكان ضخم منخفض الكلفة خصص لسكان الصرائف على أطراف بغداد... وأنشئت جمعيات إسكان وفرت قروضا بفائدة مخفضة لتمكين الأعضاء إما من شراء قطع من الأرض وبناء منازلهم عليها، وإما من شراء منازل بنتها الحكومة بأسعار في غاية الإكرام وأصبحت هذه المنازل ملكية خاصة للملاك فور استكمال السداد للأقساط.

بالإضافة إلى ذلك بدا قاسم مهتما حقيقةً بإصلاح حال الفقراء، وكان هذا مرتبطاً بتعهداته بمحاربة الإمبريالية، وضمن أنه لم يفقد مطلقاً قاعدة صلدة من التأييد الشعبي، وأكثر من ذلك فقد استحق العنصر البطولي العراقي في وطنية قاسم، إلى جانب افتقاره الواضح إلى الحماس الديني (والذي ربما استمده من منبت نصف شيعي ونصف سني) أن يضم جميع قطاعات السكان مما نتج عنه أن الشيعة والمسيحيين واليهود وكل أفراد الأقليات العرقية المختلفة داخل البلاد، كانت تشعر بالراحة في ظل حكمه.

... ولما كان قاسم نفسه شغوفاً ـ بالميل الطبيعي ـ إلى إصلاح مستويات معيشة الفقراء أكثر من تخفيض مستويات الأغنياء ـ فإنه يمكن أن يفهم أن الحفاظ على الملكية الخاصة ـ حتى الحد الأقصى للملكية المسموح به بموجب قانون الإصلاح الزراعي، والذي كان كريماً جدا ـ كان علامة مميزة هامة في فلسفة الحكم الاقتصادية.

لقد شجعت الحكومة الاستثمار الخاص في الصناعة من خلال القروض الخاصة والإعفاءات المالية، بل حتى ألغت قوانينها الأولى، بخصوص ضريبتي التركات والأيلولة، وهنا يجب أن ينظر إلى هجوم قاسم على شركات النفط، وخصوصا القانون الشهير رقم 80 لعام 1961 الذي يستعيد المناطق غير المستثمرة في امتياز شركة نفط العراق، يجب أن ينظر إلى ذلك بمفهوم «استعادة السيادة القومية»... وطبيعي أن يعبر بشدة عن وجوب إحداث شيء في صناعة النفط، في وقت الثورة، فقد شعر معظم العراقيين أن العهد القديم سمح لشركات النفط بأن تسلب البلاد المكاسب التي يجب أن توجه إلى التنمية الاقتصادية الوطنية.

... افتقر قاسم إلى سفالة وحقد هؤلاء الذين جاؤوا بعده، وحتى هؤلاء الذين كانوا يرغبون في وصفه بأنه تجسيد للشيطان، عجزوا عن توجيه اتهامات إليه بالفساد أو خيانة الأمانة، وكان رأيه المتضخم في قدراته، وشعوره المبالغ فيه بالرسالة لم يبد أنهما اشتملا على ادخار أموال في البنوك السويسرية، ومرة أخرى وبعيدا عن تصديقه على أحكام الإعدام على متآمري الموصل، فقد أبدى شهامة معقولة تجاه هؤلاء الذين سعوا في أوقات مختلفة للإطاحة به، ففي أكتوبر ونوفمبر (تشرين أول/ تشرين ثاني) 1961 أطلق سراح جميع هؤلاء الذين حكم عليهم المهداوي بمن فيهم عارف ورشيد عالي وباقي هؤلاء الذين حكم عليهم إما بالإعدام وإما بالسجن لفترات، بسبب تورطهم في مؤامرات ضد النظام، ومثالب قاسم لا تكاد تناقش بنفس المقاييس مثل الفساد والوحشية والدموية الغشوم التي ميزت الكثير من العهود التي جاءت بعده[42]].

20 ـ رأي باحثين اسرائيليين:

ـ كتب آوريل دان، غير الحيادي في موقفه، عن الزعيم قاسم، ما يلي:

[إن مقدرة عبد الكريم قاسم على البقاء في دست الحكم أربع سنوات وستة أشهر، بممارسة الحد الأدنى من سياسة القمع في الظاهر، وبحصيلة من الدماء أقل مما يتوقع المرء في ذلك الوضع السياسي. وهذا ليس بالشيء الهين أو مما يمكن التغاضي عنه].

ويفسر أسباب العفو عن منفذي محاولة اغتياله بالقول:

[وعلى كل حالٍ ومهما كانت الحسابات المنطقية الكامنة وراء قرار قاسم، ففي أعمق غورٍ من الدواعي والأسباب، يجب على المرء أن لا يغفل السمتين الغالبتين على طبع عبد الكريم قاسم المعقد، وهما انعدام الروح الانتقامية فيه ووزنه الكبير للحياة البشرية.

هذا المزيج من الواقعية السياسية والكرم العاطفي هو أيضاً أو على أغلب الاحتمال مفتاح لفهم تغاضي قاسم عن خيانة الربيعي بعد البغتة التي اعترته لأول مرة...[43]].

---

(42) الزوجان ماريون وبيتر سلوجلت، العراق الحديث، من الثورة إلى الدكتاتورية، ترجمة مركز دراسات الترجمة، مراجعة وتقديم أحمد رائف، ص. 125 ـ 135، دار الزهراء للإعلام والنشر، القاهرة 1992، الطبعة الأولى.

(43) آوريل دان، العراق في عهد قاسم، مصدر سابق، الجزء الأول، ص، 472، 325.

21 ـ ويقول الباحث اليعازر بعيري عن الزعيم قاسم:

[لم تعرف عنه مواقف خطابية، وحماسته الوطنية وشجاعته وتطهره وما يتمتع به من عدل في التعامل مع رجاله، لا يمكن لتفسر قوة الرجل. وعندما أصبح رئيساً للدولة، أبدى مواهب فذة في التكتيك وتماسكاً وعناداً في التمسك بمبادئه. لكن شخصيته ظلت لغزاً(44)].

22 ـ رأي باحث عراقي في عبد الكريم قاسم:

كتب الأديب والباحث مير بصري حول عبد الكريم قاسم ما يلي:

[رجل فذ حكم العراق أربع سنوات ونصف السنة وقد تجاذبته التيارات المختلفة ذات اليمين وذات اليسار، من وطنية وقومية وبعثية وشيوعية وانتهازية، فحافظ على توازنه بصعوبة بالغة ومهارة عجيبة، كالسالك على الحبل الممدودة في الهواء، حتى أطاح به نفس الرجال الذين حاولوا قبل ذلك تنحيته وقتله فعفا عنهم وأطلق سراحهم.

كان عبد الكريم قاسم مزيجاً من الجندي والراهب: فهو رجل عزم وكتمان لا تنفذ العيون إلى قرارة نفسه، يقرر الأمر ويسره في صدره، حتى ينفذه يوماً من الأيام ولا يرجع عنه ولا يغريه. وهو إلى ذلك إنسان عاطفي سريع التأثر، كثير الرأفة والحنان، نزيه، مخلص، لا تغره المادة ولا يستهويه الترف والثروة، ولكنه كان ثرثاراً كثير الكلام، مزهواً بنفسه، هائماً بالمجد، نازعاً إليه، مغتبطاً بالزعامة والسلطة.

وإننا لنعجب لرجل يجمع في ذاته أحلام دون كيشوت الذي لا يتورع عن محاربة طواحين الهواء وواقعية سانشو بانزا الذي يعرف ما يريد ويحاول أن يناله بشتى الطرق.

لم يوّفق عبد الكريم قاسم في أعوانه، فقد قاد الثورة بصمت وعزيمة، وقضى على الحكم الملكي الذي كانت تؤيده أكثرية الشعب الصامته(45). ولو كان الأمر بيده لم يبطش بالعائلة المالكة ذلك البطش الفظيع في صبيحة يوم الثورة. ولم يكد يتسلم مقاليد الحكم حتى رفعت رأسها كل القوى المعارضة للعهد السابق، المخلصة والانتهازية والمغامرة،

(44) اليعازر بعيري، ضباط الجيش في السياسة والمجتمع العربي، مصدر سابق، ص. 171.

(45) لا يخلو هذا الرأي من مبالغة كبيرة. ولم تظهر المعايشة الحياة للنظام الملكي ظواهر تدلل على هذا الرأي، بل أرى بالعكس من ذلك. حيث الأغلبية السكانية من فلاحين وفقراء في المدينة كانوا ضد النظام وقاعدته الاجتماعية الضيقة.

كالأفاعي الجامدة التي حركها الدفء واستهوتها الغنيمة الباردة. واصطرع حوله القوميون الذين يريدون الانضمام إلى جمال عبد الناصر والشيوعيون الذين يرغبون في جعل العراق ذيلاً لموسكو...

عاد عبد الكريم قاسم إلى الطريق الوسط يحاول تأمين الاستقرار والطمأنينة ويهدف إلى رفع مستوى الطبقات الكادحة ومواصلة تنفيذ مشاريع الإعمار التي أصابها بعد الثورة الجمود...

أثرت نشأة عبد الكريم قاسم وفقر أبويه تأثيراً دائماً في نفسه، فكان يحب الطبقات الكادحة ويأنس لرفقة أبناء الشعب والتحدث إليهم ومعالجة مشاكلهم والتخفيف عن كاهلهم. ولذلك عمد حالما تسلم زمام الحكم إلى القضاء على الأكواخ المحيطة بالعاصمة والمعروفة بالصرائف، فأنشأ المساكن للعمال والفلاحين وبنى مدينة الثورة وأسكن فيها القرويين وأبناء الريف النازحين إلى بغداد، وعددهم مئات الآلاف...

كان عبد الكريم قاسم رؤوفاً بالأقليات الكثيرة التي يزخر بها الوطن العراقي: فقد اعترف بحقوق الصابئة واليزيديين والأكراد والتركمان والآشوريين والبهائيين، وألغى قانون إسقاط الجنسية عن اليهود العراقيين. ومنع تهجير الإيرانيين الساكنين في العراق ومنح الجنسية العراقية لآلاف الأكراد الفيلية. ووجدت في مكتبه بعد وفاته مئات الوشايات والتقارير المتعلقة بمختلف الأشخاص والقوميات فكان يكتفي بحفظها وإهمالها.

كان عبد الكريم قاسم يقيم في جناح متواضع من أجنحة وزارة الدفاع، ولم يرض بالانتقال إلى البلاط الفخم الذي بني للملك ثم اتخذه خلفاء الزعيم قصراً جمهورياً ومقراً منيفاً لهم. وكان يسهر الليالي مفكراً عاملاً يجمع مجلس وزرائه ويقابل زواره إلى قبيل الفجر... فإذا حل يوم الجمعة مضى عبد الكريم إلى الدار الصغيرة التي كان يقيم فيها مذ كان ضابطاً مغموراً ليقضي فيها عطلة نهاية الأسبوع.

وكان أصحاب الحاجات يقفون له في الطريق، فيهش في وجههم ويستمع إلى ظلاماتهم ويتسلم عرائضهم ويأمر مرافقيه بإنجاز مطالبهم. لم يتزوج عبد الكريم قاسم ولم يؤثل مالا ولا متاعاً، فلما قضى نحبه لم يترك من حطام الدنيا سوى بزته الخاكية التي لوثها الدم وثقبها الرصاص.

كان حين إعلان الثورة زعيماً في الجيش، فانتظر مرور المدة القانونية ليرفع نفسه إلى رتبة لواء. ثم أنتظر أربع سنوات أخرى ليصبح فريقاً.

كان عبد الكريم قاسم طيب النية، حسن الطوية، لكنه هز كيان النظام الذي أقيم في

العراق حجراً فحجراً خلال ثلث قرن فلم يستطيع إعادة بنائه ولم يتمكن من تأمين الاستقرار وتثبيت دعائم الجمهورية الناشئة[46]. ولعل تجرده وإخلاصه ونزعته الإنسانية كانت في مقدمة العوامل التي هيأت الإطاحة به بعد سنوات قليلة وتسليم سفينة الدولة نهباً للعواصف الهوج التي أخذت تقاذفها وتزعزع أركانها.

قال عبد الكريم قاسم: «إننا نذرنا أنفسنا في سبيل الله والشعب والوطن».

وقال: «إننا نتمسك بالوحدة العراقية الكاملة ونرتبط برباط الأخوة مع الدول العربية والإسلامية».

وقال: «إنني أذكركم، أخواني أخواتي، بأن جمع الكلمة وتوحيدها ومحاربة التفرقة ومحاربة العدوان أساس المجد والقوة والحياة».

كان مؤمناً بالمساواة الاجتماعية، فعين أول امرأة وزيرة في العراق. وعني بنشر التعليم والإكثار من المدارس وإن أدت سياسته التربوية إلى العناية بالكمية دون النوعية. وفتح آفاق التجارة مع الدول الشيوعية كالاتحاد السوفيتي والصين، لكن الدول الغربية بقيت تستأثر بالنصيب الأوفر من العلاقات الاقتصادية. وبالرغم من تهديده لشركات النفط واسترجاعه معظم المناطق التي لم تستثمرها فإنه أهتم باستمرار تدفق النفط حرصاً على موارده الضرورية لازدهار القطر.

إن عهد عبد الكريم قاسم بداية لتحول في العراق لم يقتصر على نبذ الملكية والأخذ بالنظام الجمهوري. ففي السياسة الخارجية أنشأ علاقات سياسية واقتصادية مع روسيا السوفيتية وتوابعها والصين دون أن يقطع العلاقات الوثيقة القائمة مع الديمقراطيات الغربية. أما في الميدان الداخلي فأصدر قانون الإصلاح الزراعي (30 أيلول 1958) وقانون الأحوال الشخصية (1959) الذي حاد عن المبادئ الشرعية الإسلامية فألغاه عبد السلام عارف بعد تطويحه بالحكم القاسمي. ومن الخطوات المهمة إصدار قانون التركات وتحويل المشاريع العمرانية من التركيز على مشاريع الري والصناعة الكبرى إلى مشاريع الإسكان وما يماثلها من المشاريع ذات الأثر السريع في تحسين أحوال الطبقات العاملة والزراعية الفقيرة. وقد

---

(46) هذا الكلام لا يمثل كل الحقيقة. وكان الأحرى بالباحث تحليل العوامل التي اصطنعت وبوصلت عمداً لوقف عملية البناء للنظام الاجتماعي/ السياسي، ودور القوى الاجتماعية في ذلك.. إن الإطلاق في التعبير لم يكن موفقاً حيث يبدو من النص كما لو أن سكة الحداثة لم تحرث ذاتها في العقل والوعي الاجتماعيين، وكما لو أن العراق لم يدخل تاريخاً جديداً كما ذهب إليه الكثير من الأكاديميين.

أدى قانون العمل وقانون الإصلاح الزراعي بمنحهما حقوقاً واسعة للعمال والزراع والفلاحين إلى بلبلة شؤون الصناعة والزراعة وتقليل الإنتاج والإكثار من استيراد المواد الزراعية والغذائية من الأسواق الخارجية.

وخرج عبد الكريم قاسم عن الكتلة النقدية الإسترلينية، ونبذ ميثاق بغداد، واشترك في تأسيس منظمة الدول المصدرة للنفط (أوبك).

إذا جاز تشبيه عبد الكريم قاسم بزعيم من زعماء الثورات العالمية فانه يصح تشبيهه بأوليفر كرومويل الذي أعدم شارلس الأول ملك إنكلترا سنة 1649 وأصبح بعد ذلك حامياً للجمهورية. ولئن استمد كرومويل عزيمته وقوته النفسية من إيمانه الراسخ وتدينه الشديد، لقد نبع تصميم عبد الكريم قاسم وخلقه القيم من تجرده ونشأته الشعبية ونزعته الإنسانية. كان كلاهما يستهدف الخير والإصلاح، لكنهما لم يستطيعا وقف الشر الذي انبعث من أعمالهما...

لعل عبد الكريم قاسم الوحيد في هذه الفترة في محاولته لتأكيد استقلال العراق ومنعه من الانحراف يميناً أو يساراً والحيلولة دون ارتباطه بكتلة معينة... لقد مضى عبد الكريم قاسم، فبرز الأقزام على المسرح في غفلة من الزمان، لكن الثورة تأكل أهلها، فانقضت أعوام قليلة، فإذا بأولئك الذين تألقت أسماؤهم حيناً ما قد اختفوا في الظلام، فمنهم من غيب في القبر ومنهم من غاب في مطاوي العزلة ومهاوي النسيان.

... وأخيراً يحق لنا التساؤل: هل كان عبد الكريم قاسم رجل دولة؟ لا شك أنه بتجرده وشخصيته القوية، وشعوره بموقع العراق في البلاد العربية والشرق الأوسط، ورغبته في دعم استقلال بلاده ورفاهية أهليها، كان يحمل في ذاته بذور رجل الدولة في مقدرته وإخلاصه، لكنه قضى السنوات القلائل التي أتيح له ممارسة الحكم فيها في قيادة سفينة الدولة وسط العواصف والزعازع الداخلية والخارجية ومحاولة إيجاد الاستقرار في خضم الفوضى الشاملة، فلم يتسن له إظهار مواهبه الحقة والاستعانة بها في خدمة وطنه ومواطنيه. وقد اضطر على افتعال مناهج واللجوء إلى أقوال وأعمال لا غاية لها إلا تبرير وجوده وإعياء خصومه، ولعل ذلك كان أهم أسباب تردده السياسي وبلبلة إدارته. ولو طال به الزمان واستتب له الأمر لبرزت مزاياه الكامنة وأصبح رجل دولة لا سياسياً مغامراً شأن مناوئيه وخلفائه[47]].

---

(47) مير بصري، أعلام السياسة في العراق الحديث، مصدر سابق، ص. 240 وما بعدها

23 ـ رأي باحث قومي في الزعيم قاسم وشعبيته:

كتب الباحث د. علي كريم سعيد حول شعبية الزعيم قاسم بالقول:

[... كما لم يكن قاسم وحده فردياً، بل كان ناصر كذلك، فقد أدلج للدكتاتورية وللخلافات العربية ـ العربية في حين ركز قاسم على معاداة الاستعمار والإعمار الداخلي ومساعدة حركات التحرر العربية دون التدخل بشؤونها وأفكارها، بل لم يؤسس أجهزة مختصة للتدخل في شؤون الدول العربية كما فعل ناصر. لقد دافع ناصر بشدة عن الدكتاتورية في محادثات نيسان الوحدوية.

ذلك ينفي ادعاء ناصر وعارف وغيرهما بأن خلافهما مع قاسم يدور حول الدكتاتورية. بل هما أقاما ديكتاتورية مؤدلجة... وليس صحيحاً اتهام قاسم بالتخلف عن الوحدة لأنه لم تكن هناك وحدة ليلتحق بها، بل اختصرت الوحدة المصرية السورية إلى حكم المباحث المصرية لسوريا. ولم يقيموا الوحدة بعد مقتل قاسم بأربعة عقود من حكمهم ولم يكن قاسم على قيد الحياة ليعيقهم[48]].

أما بصدد شعبية الزعيم قاسم فيقول:

[إن السخرية من قاسم بسبب شعبيته يجدها البعض نقطة لمصلحة قاسم. ويراها آخرون دليلا على مسايرته للفئات البسيطة الجاهلة أو غير المتعلمة التي تتأثر بالمظاهر، وتشكل نسبة عالية منها رعاع تصفق وتتراكض دون تَفكُر أو تَعَقُل. ورغم ذلك لابد أن نشير إلى ظاهرة تستحق النظر وهي أن الجمهور العراقي العريض ظل منذ رحيل قاسم ولحد اللحظة الراهنة حذراً في تأييد كل الحكومات التالية. وظلت ذاكرة عهد عبد الكريم قاسم مثيرة للاهتمام أكثر من غيرها وطيبة في أذهان كثيرين. بل إن قاسم ظل يضيق على كل الحكام اللاحقين بسبب إدمان الشعب على مقارنتهم به. وبعد قاسم لم تأت سلطة تمتلك نفس الشعبية والبساطة، بل عاشت السلطات اللاحقة عزلة حقيقية خصوصاً بين أبناء الأحياء الفقيرة وفي أوساط الفئة المثقفة والمدنية من بغداد وحاضرها وأرياف العراق الأخرى. وإن العدل يفرض ملاحظة اضطرار الحكومات المتعاقبة وأبرزها الحالية، إلى اللجوء لوسائل قهرية قاسية لتنظيم الشباب والناس في مؤسساتها والاختفاء وراء شعاري الوحدة العربية والقضية الفلسطينية، وكأنها تسعى لبث الحذر من هذين الشعارين بين أوساط الفئات الاجتماعية المتضررة من الممارسات الحكومية القاسية[49]].

---

(48) المصدر السابق، هامش ص. 213.

(49) المصدر السابق، هامش ص. 103.

24 ـ عبد الكريم قاسم.. صورة لم تكتمل.

تحت هذا العنوان كتب المؤرخ والباحث د. سيار الجميل في كتابه «تفكيك هيكل» ردا على ما له علاقة بالزعيم قاسم، أوضح فيه مقدار جهل محمد حسنين هيكل الفاضح بمكونات وحقيقة الزعيم قاسم ووقائع تاريخه الموضوعي بغية تفكيك التجني الذي ألحقه به، بالقول:

[وكم كنت أتمنى أن يطلع هيكل على تفصيلات تاريخية مفصلة عن حياة عبد الكريم قاسم وعن سيرته الشخصية، وما اتصف به الرجل من النزاهة والإخلاص في أداء الواجب والمثابرة وتقديس المال العام وقراءة بسيطة من هيكل للكتاب الوثائقي الذي جاء بعدة مجلدات عن عبد الكريم قاسم والذي ألفه العميد المتقاعد خليل إبراهيم حسين والذي جمع وثائق وشهادات لا تحصى بحق عبد الكريم قاسم، ستمنح هيكل وغيره من الناس الفرصة لمراجعة تفكيرهم بشأن هذا الرجل اللغز المحير الذي حكم العراق على مدى أربع سنوات ونصف السنة، وسيبتعدون حتماً حتى عن إطلاق الأحكام السريعة عنه، وسيكفون عن ترديد ما قاله صديق شنشل[50] أو غيره بحق عبد الكريم قاسم أو غيره من زعماء العراق.

هل كان عبد الكريم قاسم مجنونا أم نصف مجنون؟

لم يكن عبد الكريم قاسم مجنوناً أو نصف مجنون، بل كان يتمتع بكل قواه العقلية مقارنة بزميله ورفيق الثورة التي أشعلها: عبد السلام عارف الذي ما زال محمد حسنين هيكل معجباً به، وبطبيعة الحال لا يمكن إجراء مقارنة بين الاثنين، وكل من قارن بينهما

---

(50) ينقل هيكل، إذا صدق، قولاً منسوباً لصديق شنشل قاله أثناء تواجده في دمشق يوم 18 تموز 1958 ضمن وفد قاده عبد السلام عارف. وانفرد بنشره هيكل بعد اشتداد تهجم وتآمر الرئيس ناصر على الزعيم قاسم، مفاد القول أن قاسم وعارف أحدهما نصف مجنون والآخر نصف عاقل. بدورنا نستبعد هذا القول نظراً لأن شنشل لم يتعرف عليهما عن قرب آنذاك، رغم احتدام صراعه ضد عبد السلام في البدء، ومن ثم ضد قاسم بعد عدة شهور. وإن ما نشر عن تلك الأيام الأولى للثورة يتضح أن شنشل كان أقرب إلى قاسم في نمط تفكيره وأسلوب إدارته للحكم منه إلى عارف. وقد امتدح كثيراً سياسة قاسم آنذاك. صحيح أن شنشل كان قد درس في ذات الإعدادية المركزية التي درس فيها قاسم لكن لم تجمعهما صداقة أو زمالة في صف واحد.. إذ كان صديق شنشل في الصف الرابع الإعدادي حين دخل قاسم الصف الأول، كما إن حالة الفقر المادي التي لازمت الطالب عبد الكريم كانت تحول دون إيجاد علاقات مع زملاء له من أبناء العوائل الغنية والأرستقراطية

وجد فروقات عريضة من التناقضات التي حكمتهما! فبرغم السنوات الست التي يكبر قاسم فيها عارف، وأن الأول كان أستاذاً للثاني في الكلية العسكرية، وأن الأول قد اشترك في وقائع متعددة منها عمليات في حرب 1948 بفلسطين التي أبلى فيها بلاء حسناً فضلاً عن ثقافته العسكرية وإمكاناته الخفية[51] في بناء علاقات مع القادة السياسيين قبل الثورة، ناهيكم عن ديماغوجيته الذكية في استخدام أعلى درجات «التقية» بأن يعلن عكس ما يبطن أمام المسؤولين الكبار في العهد الملكي وكسب ثقة الرجل الأول نوري السعيد من خلال ولائه له وانصياعه الكامل لأوامره، وبالوقت نفس: استخدم ذكاءه في اختراق جماعات عدة من الضباط الأحرار وتخطيطه السري في تنفيذ حركته عام 1958 التي هزت العالم هزا شديدا].

[... وتدلنا أغلب شهادات الذين زاملوه في الجيش أو الذين اشتغلوا تحت إمرته عن كفاءته وحسن تدبيره وإخلاصه في العمل وتقديسه المال العام ونزاهته وحسن قيافته وهندامه.. وحب الواجب وتقديس ساعات العمل مع الضبط والربط وعدم التسيب.. لكنه كما كتب عنه مدعماً بالمستندات الرسمية، كان لا يهمه ماله الخاص، إذ كان يصرف كل راتبه في الأيام الأولى من الشهر، فيبدأ يستدين على الدوام من جهات رسمية وليس من قبل أصدقاء أو أقرباء، وكان يفرق بين التصرفات الشخصية والواجبات الوطنية.. إلى حد غير مقبول...

كان من طبيعته أن لا يضبط ميزانية راتبه بحيث كان يتجاوزه مما يضطره مرارا وتكرارا إلى الاستدانة سواء كان ضابطاً في الجيش العراقي أم عندما غدا حاكماً للعراق[52]! ولقد مات عبد الكريم قاسم ولم يتزوج، ولم يترك أي تركة من مال أو ملك أو عقار.. ولم يكن في جيبه إلا دريهمات، بل إنه مات وثمة دين في ذمته، لاحقه ذلك الدين وبقي مشكول الذمة حتى عام 1978...[53]].

---

(51) حول سيرة عمل الزعيم قاسم يقول ذو نون أيوب: [كان عبد الكريم قاسم يقول» **لو علمت يساري بما تصنع يميني، لانتفت سرية الحركة ولما قدر لتلك الثورة أن تنجح.**] المذكرات، مصدر سابق.

(52) لم نستطع الوقوف على فكرة كون قاسم كان يستدين بعد أن غدا رئيساً للوزراء.. ربما أراد الإشارة د. السيار إلى حالة السخاء والكرم لدى قاسم.. وهذا ما تشير إليه كثير من الدراسات التي تناولت سيرته.

(53) د. سيار الجميل، تفكيك هيكل، ص. 484 460، مصدر سابق. ويشير هنا د. الجميل إلى الدين الذي ترتب على الزعيم قاسم عن أجور التلفون الشخصي في بيته، والذي كان رقمه (82264)، والذي أبقاه على ذمته الشخصية بعد توليه الحكم ولم يحوله إلى تلفون رسمي، كما هي ←

25 ـ صورة أخرى تُكمل سابقتها:

يُكمل الكاتب حسن العلوي الصورة أعلاه، برصده لجملة الأبعاد المركزية للوحة قاسم الحياتية غير تلك التي شوهها المناهضون له على تعددهم، لتشق طريقها كما يقول: [إلى العالم بعد ربع قرن وليس من الصعوبة على أحد من أن يستعرض فقرات من الأحداث والحالات والشواهد التي يستطيع بعدها تقديم صورة جذابة لشخصية غير عدوانية لا تميل إلى الانتقام.

إنه يبدو من هذه الزاوية متسامحاً إلى حد الليونة وطيباً إلى حد السذاجة، هكذا يقول الطرف الآخر فيه مرتكزاً على شيء مما يلي:

1 ـ رفض عبد الكريم قاسم المصادقة على أحكام الموت التي أصدرتها المحكمة العسكرية الخاصة ضد عدد من رجال العهد الملكي على الرغم من ضغوط هيئة المحكمة وظهور مقالات وقصائد شعرية تستنجد به وتحرضه على توقيع أحكام الموت هذه. إن المظاهرات التي خرجت في بغداد ومدن أخرى وقصائد الشعراء كانت تهتف بشعارها.. اعدم جيش وشعب يحميك.

ويستدل مريدوه وأنصاره من هذا الهتاف، على أنه كان مصراً على رفض أحكام الإعدام ويضيفون إن حركة العقيد الشواف في الموصل استغلت من قبل المجموعة الضاغطة على قاسم،، باتجاه تنفيذ الأحكام، فقد أشار عليه هؤلاء بأن تردده أو رفضه المصادقة على التنفيذ، إنما فسر على أنه ضعف وخوف استثمره العقيد الشواف، فقام بحركته المعروفة وعليه فإن السكوت إزاء حاملي السلاح بوجه الثورة سيدفع آخرين على عمل مماثل الأمر الذي أقنع عبد الكريم بالموافقة على تصديق الأحكام.

2 ـ رفع عبد الكريم قاسم شعاراً طالما كرره في خطاباته، مما جعله مثلاً سائراً في الناس ومما جعل الأطفال في الأحياء الشعبية، إذا أخطأ أحدهم قال (عفا الله عما سلف)، وتحول الشعار إلى أوساط اجتماعية واسعة فكان الرجل إذا أراد تهديد أحد، قال سأقتله والزعيم يعفو عني.

3 ـ يقدم أنصار عبد الكريم قاسم شواهد وأمثلة على تسامحه، في الحالات التي يتعلق الأمر

← العادة. ولم تدفع أجور التلفون للسنتين الأخيرتين قبل وفاته. وطلبت مديرية التلفونات استقطاع مبلغ 13 ديناراً و631 فلساً من رواتب الإجازات التي يستحقها الفريق الركن عبد الكريم قاسم. سدد المبلغ بعد إلغاء (مجلس قيادة الثورة) في 05/17/ 1978 قرار مصادرة أمواله المنقولة وغير المنقولة ومنح عياله الحقوق التقاعدية. بعدها استقطع المبلغ أعلاه من رواتب الإجازات الاعتيادية.

به شخصياً، فقد عفا عن الأشخاص الذين اشتركوا بإطلاق النار عليه وإصابته إصابة بالغة يوم 7/ تشرين أول/1959 في شارع الرشيد ببغداد. وكان القرار بإعدامهم قد حدد في فجر يوم معين لكن عبد الكريم قاسم لم ينم ليلته فأمر بفتح أجهزة التلفزيون في الساعة الثانية من فجر ذلك اليوم ليعلن قراره بالعفو عن المشتركين في تلك المحاولة، وإطلاق سراحهم فكان عرساً مشهوداً خرجت فيه سيارات معارضيه تجوب الشوارع والموسيقى تصدح ليس تأييداً له بل استقبالاً للمعفو عنهم[54].

4 ـ كما عفا عن عبد السلام عارف الذي أُدين بمحاولة قتله، وقد اعترف عبد السلام فيما بعد، بمذكراته التي نشرتها مجلة روز اليوسف المصرية، أنه كان ينوي بالفعل اغتيال عبد الكريم قاسم بمسدس كان يخفيه تحت ملابسه. وحين تمكن عبد السلام منه في يوم 14 رمضان عام 1963، أبدى تحمسه الشديد لإعدامه.

5 ـ إن أغلب الأشخاص الذين حكموا العراق منذ 14 رمضان عام 1963، كانوا موقوفين أو معتقلين، وقد أفرج عنهم تمشياً مع شعاره المذكور.

6 ـ كان يؤمن فوق ذلك بنظرية تقول (الرحمة فوق القانون) في وقت تحول فيه الساسة إلى مخالب وقواضم. لقد احتج رجال القضاء في العراق على تسامحه وكانوا يتذمرون من أنهم يصدرون الأحكام اليوم ليلغيها الزعيم غداً.

7 ـ إذا كانت تلك الشواهد التي يسوقها مريدو عبد الكريم قاسم للدلالة على تسامحه، وعدم عدوانيته، وحلمه ترتبط أو تتعلق بمزاج شخصي هو عرضة للتغير، فإن حالات أخرى وظواهر تؤكد هذا الاتجاه، من خلال الهيكل التنظيمي للدولة أو من خلال الالتزامات الأخرى لعبد الكريم قاسم زعيما ورجل دولة. فهو لم يشكل منظمة قمعية تابعة له تحت أي اسم، ولم يوافق على استحداث جهاز أمني خاص به. بل اكتفى بالأمن العامة، وأبقى على أغلب عناصرها القديمة تمشياً مع مذهبه في التسامح.

لكنه في بعض الحالات كان يعتمد على (الانضباط العسكري) الذي كان بإمرة عبد الكريم الجدة، وهو جهاز تابع للجيش، ومشرب بقيم عسكرية تمنعه من ممارسة أعمال التعذيب أو التجسس ضد مواطنيه.

8 ـ إن عسكرية عبد الكريم قاسم منعته هي الأخرى من تقريب رجال الشرطة والأمن إليه، وكان لا يرتاح إليهم بأعماقه كما لم يبد أي اهتمام خاص أو غير خاص بأجهزة الشرطة

---

(54) كان أحد شعاراتهم هو [إحنه الكسرنا إيده وإحنه نحتفل بعيده] نحن الذين كسروا يده ونحن نحتفل بعيد خروجه من المستشفى

والأمن. فقد رفض مساواة ضباطها بالرتب العسكرية لضباط الجيش وأوكل قيادتها إلى ضباط من الجيش أشرفوا على الشرطة العامة والأمن العام. ولعله لم يكن بحاجة إلى تقريب أحد منهما ثقة بنفسه، لأنه لا يضمر مهمات خاصة ولا ينصب كمائن لأحد.

9 ـ كان عبد الكريم قاسم لا يفكر بأساليب الإيقاع بخصومه، ولهذا لم يستعمل على الإطلاق طريقة زرع الجواسيس وأجهزة التصنت ضد أحد منهم. كما كان يأنف من إشغال نفسه بقراءة التقارير الأمنية ضد الآخرين. وقد ترك الأمر لمسؤولي تلك الأجهزة.

10 ـ لم تكن شخصيته تتأثر بردود الفعل الانتقامية إزاء منتقدي سياسته ومعارضيه الشخصيين. ففي الوقت الذي كان فيه الشاعر عدنان الراوي، يقدم برنامجه اليومي من إذاعة صوت العرب في القاهرة والموجه ضد عبد الكريم قاسم، كانت عائلته تتمتع بكامل حقوقها المدنية والإنسانية، وفي الوقت الذي كان فيه الشاعر محمد مهدي الجواهري يتعرض بقصائده في الخارج بشخصية عبد الكريم قاسم، فيقول عن نفسه..

إذ رأى العيش مداراة زنيم لا يدارى.

كان الجواهري موضوعاً يدرس في كتاب الأدب العربي لطلبة الصف الثالث المتوسط، وكانت الصحف تنشر قصائده الجديدة. وبينما يتمرد الشواف في حركة عسكرية مسلحة ضد حكمه، وينتهي تلك النهاية المفجعة، كان عبد الكريم قاسم يتمسك بوزير الصحة اللواء الشواف شقيق قائد الحركة.

11 ـ لم يحدث خلال فترة حكمه، لأحد معارضيه أن تعرض لعملية اغتيال أو اختطاف، سواء داخل العراق أو خارجه، بل كان قاسم نفسه عرضة لمحاولة اغتيال قام بها معارضوه[55]].

26 ـ د. عزيز الحاج يعيد تقييم عبد الكريم قاسم:

أعاد د. عزيز الحاج تقييم شخصية الزعيم قاسم، خلافاً لكتاباته الأولى وخاصة في الفترة 1970 ولغاية 1990 (منها كتابه: مع الأعوام)[56]. يقول في واحدة من كتاباته المتأخرة:

---

(55) حسن العلوي، رؤية بعد العشرين، ص. 82 ـ 85، مصدر سابق.

(56) راجع الفصل الثاني، ص. 75، 91، الطبعة الأولى 1981، بيروت المؤسسة العربية للدراسات والنشر، حيث ادعى: أن عبد الكريم قاسم [استمر تشجيعه لعمليات اغتيال الشيوعيين في العاصمة والموصل بوجه خاص.] ص 81. وفي الطبعة الثانية نقح د. الحاج بعض ما كتبه ←

[انطوت أربعة عقود من عمر العراق وأعمارنا، منذ إعلان الثورة صبيحة الرابع عشر من تموز 1958. أربعون سنة وموضوع عبد الكريم قاسم (تقويمه) والنظرة إليه، والموقف منه كان ولا يزال محوراً لاجتهادات وخلافات وحساسيات وإثارات بين الوطنيين العراقيين خصوصاً، والوطنيين العرب عموماً، وحتى داخل الحركة السياسية الواحدة (كما برز خصوصاً لدى الشيوعيين العراقيين).

وهناك موضوع تبرز فيه اجتهادات مستجدة، لكن أغلبية الآراء والتقديرات الوطنية لا تزال، وكما أعتقد، مع ترجيح كفة الثورة، وحتميتها التاريخية. وعلى كل فليس هذا هو موضوعي هنا، وإنما هو رأي أبديه في النظرة إلى عبد الكريم قاسم.

ومما ألاحظه بأسف أن النقاش السياسي العراقي كثيراً ما يتأثر بالعاطفة أو تغليب جانب وتجاهل جوانب، وكثيراً ما يخضع لمنطق الأبيض والأسود... وهكذا أيضاً بالنسبة إلى قاسم، فثمة اليوم كتابات جديدة تبرئه من كل خطأ كبير وتصوره مجرد ضحية للآخرين. أما الذين عادوا قاسماً وحقدوا عليه وحاربوه بتهمة «الانحراف القومي» فان قلة قليلة منهم فقط هي التي عدلت نظرتها القديمة والتقويم الذي لا يزال لديهم سائداً هو تخوين قاسم وتجريمه واعتباره أباً لمآسينا الراهنة أو جداً.

إن القوى والحركات السياسية العراقية والمثقفين والمحللين السياسيين ذوي الاهتمام بالشأن العراقي، ماضياً وحاضراً ومستقبلاً، لا يمكن أن يغلّبوا عواطف أمس وعقده في مناهج التحليل وتحديداً المواقف، كما أن الكوارث التي حلت ببلدنا منذ سنوات، وأوضاعه الشاذة، قد تخلق أجواء القياسات الخاطئة في النظرة لأحداث الماضي وإجراء المقارنة الاعتباطية المرتجلة بعيداً من تباين الظروف والنسبية التاريخية.

... انحدر عبد الكريم قاسم من سلك العسكريتاريا متأثراً ببعض أفكار الحزب الوطني الديمقراطي. وما أن مضت أسابيع حتى وجد نفسه أمام صراعات حزبية عنيفة، وأمام ضغوط وتحركات ومناورات باسم الوحدة الاندماجية الفورية، وردود الفعل لا سيما

← وخاصةً ماله علاقة بحزب البعث العراقي وسلطة انقلاب 1968. ويشير المفكر اللبناني كريم مروة، في شبه سيرته الذاتية، إلى ذات الخطأ عندما ينسب لعبد الكريم قاسم تصفية الشيوعيين عندما يقول: [فقد حصلت تصفيات لعدد من الكوادر الشيوعية قام بها بعثيون ونفذ بعضها باسم عبد الكريم قاسم] ص. 308، مصدر سابق. إن هذا الرأي مستنبط من عدم دقة المعلومات التي كانت تنشر في بيروت آنذاك، التي تروجها مصادر عديدة، بما فيها كتابات اليسار المتطرفة النزعة التي كانت تنسب لقاسم في الوقت الذي كان يقوم بها عديدون ومنهم القوى المعادية لقاسم ولليسار في أجهزة الأمن.

من الحركة الشيوعية وجماهيرها المؤازرة. هذه الصراعات الحادة خلقت الأجواء السلبية بالنسبة إلى التطور الديمقراطي للبلد الذي كان شهد تشكيل حكومة وطنية ائتلافية (عدا الشيوعيين)، وميلاد صحف حزبية حرة، ومؤتمرات وتحركات عمالية وفلاحية وطلابية ونسائية نشيطة. الصراعات الحزبية ـ الحزبية، خصوصاً البعث ـ الشيوعي والتدخل المصري المتزايد في كواليس السياسة الحزبية العراقية إلى حد تمويل تمرد الشواف وتسليحه في آذار/ مايس 1959 دفعت بالسلطة تدريجياً نحو طابع الحكم الفردي العسكري...

إذا كان من غير الجائز تبرئة عبد الكريم قاسم من نهج الحكم الفردي والتعود عليه بدلاً من فتح صفحة جديدة في الاتجاه الديمقراطي، فإن من غير الجائز أصلاً، نزع صفة الوطنية عنه أو اتهامه بمعاداة العروبة والقومية العربية.

عبد الكريم قاسم كان وطنياً مخلصاً لبلده ولشعبه، والنزعة العراقية الأصيلة من أهم صفاته وخصاله، وأبرز مآثره ومعها روح التسامح في النظر للأعراق والأديان والطوائف.

تقترن النزعتان باحترام عميق للمرأة، والإيمان بحريتها وحقوقها، حتى إنه أقدم على مغامرة محفوفة بكل الأخطار في موضوع المرأة والإرث. وهي مغامرة صدمت القوى المحافظة والمراجع الدينية، من سنية وشيعية. وإذا كان هذا موقف قاسم راقياً من الجهة الإنسانية والمستقبل الأبعد، فإنه كلفه الكثير على الصعيد التكتيكي، بتعبئة شرائح وقوى جديدة ضده. وبمعنى من المعاني، إأنه كان «أكثر تقدماً» في النظرة للمرأة من معظم شرائح المجتمع والقوى السياسية ومن أكثر القيادات العربية الرسمية الأخرى.

لكن أهم ما تحقق لقاسم وضمن له شعبية منقطعة النظير هو حسه الاجتماعي المرهف في التعاطف مع الطبقات والشرائح المحرومة وما قدم لها على صعيد السكن والتعليم والوضع المعاشي، من إنجازات كبيرة حفرت له في الضمير الشعبي البسيط صورة محبوبة لم تغيرها الأحداث التالية والحملات التشهيرية المستمرة إلى يومنا هذا.

لم يكن قاسم زعيماً مثالياً ولا قائداً معصوماً، لكنه كان وطنياً مخلصاً، محباً لشعبه، لا سيما كادحيه، متحلياً بروح عالية من التسامح حتى نحو من أرادوا قتله. وعندما تعرض بعض المتهمين في أعقاب حركة الشواف إلى إهانات وتعذيب في دوائر التحقيق فإن قاسماً هو الذي أمر باستكتابهم للإدلاء بتفاصيل ما تعرضوا له، ليتخذ اللازم تصحيحاً.

وقدمت حكومة قاسم الكثير لنصرة الثورة الجزائرية وللشعب الفلسطيني ولم يكن عدواً للوحدة، وإنما كانت له نظرته العروبية المتميزة عن بعض الأيديولوجيات التي كانت سائدة في الحقل القومي العربي... وهكذا فإن لقاسم ما له وما عليه له مآثره وله خطاياه،

لكن أخطاءه وخطاياه كانت أدنى خطراً وعواقب مما فعلته القوى السياسية الحزبية المتناحرة بعضها ببعض وبالثورة وما آلت إليه من ردة وانتكاس[57]].

27 ـ قاسم والنفط:

كتب الكاتب والسياسي إبراهيم علاوي (نجم محمود) حول سياسة قاسم النفطية وخاصةً القانون رقم 80، ما يلي:

[وكان هذا القانون أهم ضربة وجهت للشركات بعد تأميم النفط الإيراني، وهو وإن كان يختلف في المدى عن التأميم الكامل، إلا أنه فتح الطريق لتصفية سيطرة الكارتيل الدولي على صناعة النفط في البلاد العربية ومنطقة الشرق الأوسط. وليس من شك أن القانون رقم 80 كان السبب المباشر الذي دفع الشركات النفطية إلى أن ترمي بكل ثقلها في مواجهة حكومة قاسم وتنفيذ انقلاب 8 شباط 1963.

وينقل مصدر مطلع عن حماد شهاب الذي شغل فيما بعد منصب وزير الدفاع في حكم البعث 1968 (ولغاية تموز 1973 ـ ع. ن.)، حديثاً جرى بحضوره في مناسبة ورد فيها اسم عبد الكريم قاسم. ففاجأ حماد شهاب الحاضرين بثنائه عليه ووصفه بالأمانة الشخصية ثم نقل الحادثة التالية.

قال: إن شركات النفط هددت قاسم قبيل صدور القانون رقم (80) طالبةً منه عدم تشريع القانون المذكور وإلا فإنه يتحمل عواقب ما أقدم عليه. وقال حماد شهاب، وفق ما نقل المصدر، أن تهديد الشركات أبُلغ إلى عبد الجبار جواد، صهر قاسم وقائد الفرقة الخامسة منذ عام 1960 وكان في بيروت يقضي إجازة مرضية في عام 1961. فقد اتصل به شخص تكلم باسم شركات النفط طالباً منه إبلاغ صهره قاسم، بأن الاستيلاء على الحقول غير المستثمرة يعتبر تحدياً مباشراً للشركات، وإن على قاسم التراجع عما يريد الإقدام عليه وإلا فإنه سيواجه ما لا يحمد عقباه. وأخبر عبد الجبار جواد حماد شهاب الذي كان يصحبه في بيروت بما جرى مشككاً بجدية هذا التهديد، ولكنه عاد إلى بغداد بعد ما أدرك خطورة الموضوع وأبلغ قاسم بالخبر. ولكن قاسم لم يعبأ بالتهديد وصادق على القانون.

ويقول مصدر سوفيتي، بشيء من الاستحياء، بعد أن كال الشتائم لقاسم، إن الحكومة البريطانية هددت باحتلال العراق رداً على القانون رقم 80، فقد ذكر كتاب

---

(57) د. عزيز الحاج، عبد الكريم قاسم وثورة 14 تموز العراقية، جريدة الحياة، في 16 / 07/ 1998

(تاريخ الأقطار العربية، الصادر عن معهد الاستشراق التابع لأكاديمية العلوم في الاتحاد السوفيتي، دار التقدم 1975، ج 1، هامش ص 361) ما يلي:

[إن شركة نفط العراق لن تعترف بالقانون رقم 80، فرفضت تنفيذ بنوده، وحذرت الحكومة البريطانية من أنها ستنزل المظليين لحماية (حقوق) شركة نفط العراق.

وقد ورد هذا الهامش الصغير في الكتاب شبه الرسمي السوفيتي ضمن إشادته بحكومة عارف ـ يحيى، حسب تعبير الكتاب، وأنها هي التي شرعت قانون شركة النفط الوطنية وليس قاسم...

لاشك أن هذا التلاعب الفظ بالوقائع التاريخية لم ينطل حتى على مؤلفيه «العلماء السوفيت» الذين أحسوا بهذا الخرق الفاضح للحقيقة بعد إكمال الكتاب، فأرادوا التستر على الأمر بإضافة الهامش الذي أوردناه حول دور عبد الكريم قاسم في تشريع القانون رقم 80 والتهديد البريطاني بإنزال المظليين في العراق لإبطال مفعول القانون... و[... يلتزم الكتاب السوفيتي الصمت عن دور القاهرة في عرقلة مسيرة الثورة العراقية، ويغفل تهجمات خروشوف المفتعلة على ناصر واتهامه «بالطيش» والتآمر لابتلاع العراق تزلفاً لماكميلان، يتحي الكتاب (ص 348) باللائمة على عبد الكريم قاسم لـ«موقفه المعادي للجمهورية العربية المتحدة».

ومهما يكن فقد كانت شركات النفط أدركت الخطر المحدق بها من سياسة قاسم النفطية، وضاعفت من مساعيها للإطاحة بالحكومة العراقية الوطنية، ففي 7 شباط 1963، أعلن عبد الكريم قاسم عن تأسيس شركة النفط الوطنية العراقية، وفي اليوم التالي نُفذ الانقلاب البعثي. وطبقاً لروايات معينة، وجدت مع جثة عبد الكريم قاسم لائحة قانون الشركة الوطنية الجديدة![58]].

---

(58) نجم محمود، المقايضة مصدر سابق، ص. 347، علماً بأن عبد الكريم قاسم قد رقع قانون تأسيس شركة النفط الوطنية يوم 02/08/ 1963، وقد سبق لمجلس الوزراء أن وافق عليه يوم 1963/02/06، ولم يعثر عليها مع جثمانه، كما ورد أعلاه. للمزيد راجع كتابنا عبد الكريم قاسم في يومه الأخير، الفصل الثاني. مصدر سابق. ويذكر حسن العلوي في كتابه: عراق ـ منظمة الدولة السرية، ص. 26: [حدثني السيد مرتضى العسكري (87 عاماً) أثناء زيارتي له في لندن يوم 30 حزيران 1990، أن وزيراً من وزراء عبد الكريم قاسم، أخبره بعد صدور قانون رقم 80، بأن رئيس الوزراء عبد الكريم قاسم بدأ جلسة المجلس المخصصة لمناقشة وإصدار قانون رقم 80 بقوله: تعالوا نوقع على الحكم بإعدامنا ثم وقع ووقعنا من بعده]... حول الموضوع راجع دراستنا الموسومة [القانون الذي حكم على الزعيم بالإعدام] مجلة الموسم، العدد 32 لسنة 1997، امستردام ـ هولندا

- كما يشير (نجم محمود) في ذات المصدر، إلى ما ذكره مكميلان، رئيس وزراء بريطانيا السابق في مذكراته، حول تنسيق المواقف بينهم وبين الفرنسيين بسبب قضية النفط وأزمة الكويت. وقد ذكر:

[أنه تلقى رسالة سرية من ديغول بتاريخ 1961/07/07، يخبره فيها بضرورة تنسيق الخطط العسكرية للحكومتين. ومما جاء في الرسالة:

«ولما ظهر الخطر العراقي وكنتم قد عقدتم معاهدة معونة مع شيخ الكويت، فإنني... أقدر تماماً من أنكم ستضعون في الحساب الأوضاع التي قد تواجهها مصالحنا المشتركة في العراق. وإذا تدهورت الأمور في هذا الاعتبار، فعلينا أن نبدأ بالتنسيق حالاً».

يتضح من هذا أن الدول الغربية الكبرى كانت ترى في محاولة العراق ضم الكويت تهديداً خطيراً لمصالحها النفطية دفعها إلى تناسي خلافاتها حول مسألة برلين وتنسيق مواقفها ضد العراق، على الرغم من الأزمة الخطيرة التي كانت تمر بها المشكلة الألمانية وقتذاك[59]].

28 ـ حول النفط وقاسم لدى كمال مجيد:

كتب البرفسور كمال مجيد حول سياسة قاسم النفطية بالقول:

[... إن الشركات العملاقة للبترول لا تعترف أصلاً بأن نفط الخليج ملك لشعوب المنطقة أو لحكوماتها. إن الشركات تؤمن، وبقوة السلاح، بأن النفط ملكها، لا في الخليج بل في كل العالم. وإذا حاولت أية حكومة مخالفة هذا الرأي فستنال العقوبة القاسية عاجلاً أم آجلاً، مثلما نال عبد الكريم قاسم حين تم قتله أمام عدسات التلفزيون[60]].

29 ـ رأي غازي الداغستاني بعبد الكريم قاسم:

كتبت السيدة عصمت السعيد، رأي غازي الداغستاني عن عبد الكريم قاسم، ما يلي:

[وفي هذا المجال أذكر أنني سألت اللواء الركن غازي الداغستاني عن رأيه في عبد

---

(59) المصدر السابق، ص. 299.

(60) البروفيسور كمال مجيد، النفط والأكراد: دراسة العلاقات العراقية ـ الإيرانية الكويتية، مصدر سابق، ص. 71.

الكريم قاسم الذي كان تحت إمرته عندما قامت الثورة... فأجابني بأن قاسماً كان ضابطاً مثالياً وأنه استطاع بدهاء خارق يحيط نزعته السياسية بسرية تامة، ومثل ذلك أنه شاهد مرة عبد الكريم قاسم وهو يحطم المذياع في نادي الضباط عندما كان أحمد سعيد يكيل السب والشتائم من القاهرة على الحكام القائمين بالعراق، مدعياً بأنه لا يجوز لجيش يرأسه الملك فيصل الثاني، بأن يسمع لأقوال مأجور يهاجم العراق. كانت ثقة الداغستاني بضابطه المفضل عظيمة جداً، ولما طلب إليه رئيس أركان الجيش مراقبته بناءً على التقارير السرية الواردة من المخابرات العراقية والأردنية، استشاط غضباً وقال هذا أكثر الضباط ولاءً للعرش وأكثرهم كفاءة[61]].

30 ـ رأي عسكري محترف:

كتب عامر عبد الله، عضو المكتب السياسي السابق للحزب الشيوعي العراقي، عن لسان أحد قواد الفرق العسكرية في العهد الملكي، في منتصف الخمسينيات ما يلي:

[خلال هذه الفترة، كان الحزب يقوم باستطلاعات واسعة للتعرف على القوى المساندة والمناوئة للحركة في صفوف الجيش. وأذكر من ضمن مساعي الحزب في هذا المضمار، محاولة استكشاف موقف قائد الفرقة الثانية في كركوك (صالح زكي توفيق). وبالفعل فقد نظم الحزب لقاء معه على العشاء في دار (كمال عمر نظمي) في خريف 1956، وأجري معه حوار طريف يتناسب مع طبيعته الهازلة. فقد أشار إلى أنه شأن جميع العسكر في العراق ـ على حد قوله ـ ليسوا فرساناً في هذه القضية الخطيرة، التي تحتاج إلى علم وفلسفة، كما هو الحال بالنسبة لعبد الناصر وجماعته. ولكنه استدرك (وكان هذا أمراً باعثاً على الدهشة). بأن شخصاً واحداً فقط، يستطيع أن يفعل شيئاً وهو (عبد الكريم قاسم).. وأنه بالتالي مستعد لتأييده. ثم بدأ يطري جسارته في القتال إبان حرب فلسطين ويؤكد بأنه مغامر من طراز فريد].

ويضيف عامر عبد الله، حول ما انتاب حركة الضباط الأحرار من تلكؤ بعد اكتشاف اجتماع الكاظمية للسلطات، إذ:

[نشأت حالة مؤقتة من التطير بالنسبة لبعض القادة الذين طالبوا بتجميد العمل لمدة

---

(61) عصمت السعيد، نوري السعيد: رجل الدولة والانسان، ص. 217 - 218، لندن 1991. والسيدة هي زوجة صباح نوري السعيد.

شهرين. وقد وصل إلى علم الحزب وقتذاك، أنِ الفريق المعارض لتجميد العمل قد طالب بالمباشرة بالثورة فوراً.. ولكنه لم يفلح. وهنا استحوذت على قاسم فكرة قد تكون راسخة في ذهنه من قبل، وهي أن يأخذ على عاتقه والقوات التي كانت تحت إمرته والأنصار المقربين إليه زمام المبادرة، وهذا ما تم فعلاً[62]].

31 ـ قاسم والعدالة الاجتماعية ومحاربة الطائفية في رأي عسكري سياسي:

كتب العقيد الركن أحمد الزيدي، المشترك في أحداث 8 شباط عام 1963 والمناهض لحكم ثورة 14 تموز آنذاك، حسب قوله، حول سياسة الزعيم قاسم الداخلية والموقف من التكوينات الاجتماعية والإثنية والدينية التي يزخر بها العراق، ما يلي:

[وعلى الرغم من كونه سنياً إلا أنه لم يظهر عليه ميل طائفي، وجد نفسه ملزماً بتغيير الوضع وإرساء مبدأ العدالة الاجتماعية بالتدريج، وكان أن بدأ بإحداث تغيير أساسي في حياة سكان الصرائف والأكواخ في منطقة خلف السدة، وأبدى تعاطفاً معهم، وكان يزورهم مرات عديدة ويشرف شخصياً على تنفيذ المخطط الذي وضعه بنفسه لإحداث مثل هذا التغيير، وبعد سنتين اختفت الأكواخ بصورة كاملة، وانتقل القسم الأكبر من هؤلاء إلى مناطق جديدة، ووزعت عليهم قطع الأراضي السكنية مجاناً، إضافةً إلى حصول قسم منهم على مساكن حكومية ملائمة، وبدا بأن عبد الكريم قاسم بدأ يتجه لكسب تأييد الشيعة خاصة الفقراء منهم، الذين كانوا يستقبلونه استقبالا عظيما عند زيارته لهم في مدينة الثورة، التي بدأت تسمى بها المنطقة الجديدة التي أنتقل إليها بؤساء خلف السدة، وكانوا يحملون سيارته الشخصية دلالة على عمق الحب الذي يكنونه له.

كما وأن قاسماً بدا يدرك أيضاً بأنه ولأجل أن يستمر في مخططه هذا، فإنه يتوجب عليه أن يعيد النظر بالتصميم القديم الذي وضعه الإنكليز ومن قبلهم الأتراك، لإدارة شؤون البلاد حاضراً ومستقبلاً. وبالفعل فقد لوحظ في الفترة التي حكم فيها العراق، على قصرها، تحول ملحوظ في هذا الاتجاه، وبدأت الكلية العسكرية تستقبل أعداداً أكبر من

---

(62) عامر عبد الله، خواطر وذكريات، بمناسبة الذكرى 25 لثورة تموز المجيدة، الثقافة الجديدة، ص 20، العدد 144، تموز 1983وكان كمال عمر نظمي من الأعضاء القياديين في الحزب الشيوعي العراقي لغاية 1963، وكان على صلة بعبد الكريم قاسم منذ 1953 باعتباره صلة الربط مع الحزب الشيوعي من خلال رسول قاسم للأحزاب السياسية رشيد مطلك.

أبناء المحافظات الوسطى والجنوبية، وفتحت أبواب الجامعات على مصراعيها، واستطاع أبناء الشيعة أن يحصلوا على مقاعد أكبر في البعثات الدراسية التي كانت وزارة المعارف ترسلها إلى أوروبا، وبدأت الدوائر الرسمية تتعامل مع الناس وكأنهم أبناء لأب واحد. فالمشاريع الصناعية والإنمائية والاجتماعية والسكنية بدأت تظهر في المحافظات التي يقطنها الشيعة التي لم تشهد في حياتها أي توجه مماثل من قبل. وبدأت الحياة تزدهر كي تعم العراق دون استثناء.

وبغض النظر عن بعض المظاهر السلبية التي ظهرت خلال حكم عبد الكريم قاسم، إلا أنه كان الشخص الوحيد في تاريخ العراق ممن عمل على خلق روح جديدة ونمط جديد في الحكم. وبذا يكون قد أثار حفيظة الإنكليز الذين بدأوا يحسون بأن هذا التغيير الذي يجري الآن في العراق لم يكن أبداً في صالحهم. بل إن مخططهم الذي صرفوا عليه جهداً ووقتاً كبيراً بدا وكأنه آخذ بالتهاوي، ولم يكن الإنكليز وحدهم الذين شعروا بهذا التحول، إن حلفاءهم القدامى قد أدركوا ذلك قبلهم، فبدأ الحلف بالتحرك المضاد للوقوف في وجه التغيير الجديد قبل أن يستفحل، وبدأ العمل المكثف ورفعت شعارات جديدة له، وانضوت كل الأدوات والأوساط التي كانت تقف قبلاً مع النظام القديم، واصطفت مع قوى جديدة للعمل ضد قاسم، وأصبح العراق يعيش جواً مشحوناً بالتوتر والاضطرابات وكأن للقوى الكبرى اليد الطولى في التخطيط لها ودعمها، أدت آخر المطاف إلى الإطاحة بحكم عبد الكريم قاسم وقتله.

وكما كان متوقعاً فلم يسقط عبد الكريم قاسم لوحده، بل سالت مع انهيار حكمه انهار من الدماء البريئة، نتيجة اختزان الأحقاد الطائفية التي كانت تتوثب وتنتظر الفرصة الملائمة للتفجر في كل الاتجاهات، ناشرة الموت والدمار في كل زاوية من أرض العراق من شماله إلى أقصى جنوبه...]

[... وظهرت عناصر النزاع والتسابق على الاستئثار بمقاليد الحكم بين كل مجموعات الضباط، ولم يخل عهد من العهود بعدها من وجود تكتلات تسعى إلى نسف حالة راهنة كانت لا تتلاءم مع طموحاتها السياسية والاجتماعية، على أن ذلك لم يعن على الإطلاق بأن النزاع الذي كان يدور داخل القوات المسلحة باستمرار يستهدف إحداث تطوير في بنية المجتمع الاقتصادية والثقافية والسياسية، باستثناء فترة حكم عبد الكريم قاسم، الذي كان يتمتع بديناميكية فائقة، ميزته بين أقرانه من الضباط الذين لم يبدوا

من الكفاءة والمقدرة على مساعدته في إدارة شؤون الدولة، حتى المقربين منه والمحسوبين عليه، إلا أن هذه الفترة لم يكتب لها أن تستمر طويلا بسبب ظروف عامة سياسية واقتصادية حاكمة متأصلة تساهم في وضع إطار خاص لبنية الدولة والمجتمع، لم تكن توفر لعبد الكريم قاسم الفرصة والوسائل الكافية للتغلب عليها[63]].

32 ـ رأي أحد الذين حكموا عليه بـإعدام الحياة

ذكر طالب شبيب في مذكراته، عن عبد الكريم قاسم ما يلي:

[... كان عفيف اليد، وليس عفيف اللسان، وكانت عينه شبعانة فلم يطمع وهو حاكم العراق الوحيد، ببستان أو قطعة أرض، في حين سعى كل حكام العراق الذين سبقوه والذين خلفوه للكسب والاستيلاء وسرقة المال العام خصوصاً كتلة صدام حسين وخير الله طلفاح والحيتان من أنجالهم وأصدقائهم...

[... وكانت أذهاننا تضج بشعارات ومشاريع كبرى دون التفكير بآليات تحقيقها. ورغم ذلك عقدنا العزم واندفعنا، فاصطدمنا برجل مثل عبد الكريم قاسم، الذي كان وطنياً ولا يخرج في أفكاره عن نطاق تصوراتنا، فقضينا على بعضنا وخرجنا جميعاً خاسرين...].

[... كان قاسم وطنياً وراعياً لمصالح الفقراء، ولم تكن مشاريعه لمصلحتهم بهدف الدعاية والادعاء، وإنما آمن بها ونفذها بحماس... كان عليه أن يستفتي الشعب على الدستور الدائم وأن يفسح المجال لحرية الأحزاب ولانتخابات ديمقراطية حقيقية. وأنا واثق أنه كان سيفوز رئيساً للجمهورية دون منازع لو قام بتلك الخطوات فشعبيته كانت عظيمة ولم يكن بحاجة للدكتاتورية مع الشعبية التي حظي به[64]...

---

(63) العقيد الركن أحمد الزيدي، البناء المعنوي للقوات المسلحة العراقية،، مصدر سابق، ص 78 ـ 79، 111.

(64) ترى هل قامت حكومة الانقلاب بسن دستور دائم وأعطت للأحزاب حرية العمل بعد إزالة (دكتاتورية؟!) الزعيم قاسم؟ أم أنهم أقاموا دكتاتورية حقيقية وأسسوا لأسوء منها وهي وريثتهم الشرعية دكتاتورية البعث 1968 ـ 2003؟ إن نقده غير الموضوعي يتجلى في مساهمته كأحد قادة الانقلاب في كبح مسار البرلمانية التي وعد قاسم بتحقيقها في تموز 1963، كما مر بنا. إن هذا الردح جيد لكنه جاء متأخراً ولم يشر إلى مسئوليتهم (كحزب وقادة) في كبح مسيرة الثورة وفي تبني الانقلابية العسكرية كوسيلة وثوب للسلطة ويعمقوا ثقافة العنف الدموي.

وفي الأخير فقد كان من الصعب علينا وصف قاسم بأوصاف تدينه غير الفردية والديكتاتورية، لأننا وبعد هزيمته وجدنا أن ركنه الخاص في وزارة الدفاع يتكون من غرفة نوم واحدة وحمام جيد بمستوى أوربي... وفي كل الأحوال فقد كان قاسم لا يستحق المصير الذي آل إليه، ولا ندري بأي شيء تأمل أو فكر وهو يستعد لتلقي رصاصات سيطلقها تلاميذ مدرسته الوطنية العسكريون، الذين تمثلوا فوراً بعد مقتله في الحكم لكنهم فشلوا أن يصيبوا ما أصاب من عفوية وشعبية[65]].

33 ـ حقائق عن سياسة الزعيم قاسم العربية:

كتب سفير العراق إبان مرحلة تموز/ قاسم، المحامي نجيب الصائغ في مذكراته ما يلي:

[وباستطاعتي القول إن سفارتنا لم تصرف أي مبلغ إلى الصحافة اللبنانية طيلة مدة عملي في لبنان وقد يكون هذا إجراء غير اعتيادي بالنسبة إلى الصحافة اللبنانية قياساً على تصرف السفارات العربية...].

كما [... طلبت سفارتنا تحديد موعد لزيارتي لرئيس الوزراء (المعني به صائب سلام ـ ع. ن.). وفي الموعد المعين استقبلني في داره حيث كانت مكتظة بالزائرين والمهنئين وبعد الترحيب أخذني إلى غرفة مكتبه وأثار موضوع الخلاف الحاصل قائلاً إن سبب مقاطعته سفارتنا هو زعله مني شخصياً بسبب إهمال زيارته بعد وصولي بيروت وليس موقفه من الجمهورية العراقية التي يكن لها ولزعيمها عبد الكريم قاسم كل إعجاب وتقدير وأن موقفي هذا مطلع عليه حسين جميل الذي اجتمع بي خلال فترة ثورتنا الوطنية ضد كميل شمعون في منطقتنا العسكرية بعد أن اجتاز الأسلاك الشائكة حيث سلمني رسالة من عبد الكريم قاسم يعرض علينا استعداد حكومته بتقديم ما نحتاجه من مساعدات وقد أجبت الأخ

---

(65) مراجعات، مصدر سابق، ص. ص. 113 ـ 114، 111 ـ 112,207. يتهم شبيب الزعيم قاسم بعدم العفة في اللسان، والسبب، حسب مذكراته ص. 112، لأن الزعيم قاسم، وصف الرئيس عبد الناصر، أول وآخر مرة، (بمسيلمة الكذاب)، وذلك في إحدى خطبه في منتصف عام 1959، بعد أن كال عبد الناصر الشتائم وشتى النعوت له، وكان لا يرد عليها. إلا أنه رد عليه بعبارة واحدة وهي (إلا يسكت مسيلمة الكذاب)، وعليها بنى شبيب كون قاسم غير عفيف اللسان. كما يحاول شبيب أن يساوي بينهم (قادة الانقلاب) وبين الزعيم قاسم، بين الجناة والضحية، فيقول قضينا على بعضنا، في الوقت أن الزعيم وباعتراف شبيب كما مر بنا، رفضوا التعاون وإياه في وقف مسلسل الانقلابات الدموية والعنف السياسي، التي اختطوها نهجاً لهم.

حسين جميل شاكراً الزعيم على شعوره هذا وطلبت إليه نقل تحياتي له وتقديري لثورة 14 تموز العظيمة وتمنياتي لها بالموفقية[66]].

34 ـ قائد أفريقي والانقلاب ضد الزعيم قاسم:

عقب الدكتور كوامي نكروما، الرئيس السابق لجمهورية غانا على الانقلاب بالقول:

[إن الزعماء الأفارقة يجب عليهم أن ينظروا من خلال هذه المأساة التي أخذت تنكشف، على الإمكانيات المؤلمة في إعادة تثبيت وتقوية الاستعمار الجديد في الشرق الأوسط. إن هذه الإمكانية هي تهديد ليس فقط ضد استقلال دول الشرق الأوسط، بل ضد أفريقيا أيضاً[67]].

35 ـ تعليق:

كتبت مجلة نيوتايمز حول الوضع بالعراق بعد انقلاب شباط 1963 ما يلي:

[إن الأخبار الواردة من العراق خلال الأشهر الستة الماضية تألفت من تقارير مقتضبة عن الإعدامات، الموت رمياً بالرصاص، الشنق، معسكرات الموت. إن البعثيين قد حولوا العراق إلى إسبانيا فرانكوية ثانية، أما اشتراكية الحكم البعثي، فقد انعكست في التأييد الذي يلاقيه النظام الحالي من الإقطاعيين وأصحاب البنوك وشركات النفط. لقد نشرت إدارة (بنك إنترا) وشركة (كات) الوثيقة الارتباط بالرأسمال البريطاني، تهنئة في الصحافة اللبنانية لقادة الانقلاب عقب حدوثه، أعلنت فيها ابتهاجها بذلك الحدث التاريخي. وتبرع المليونير العراقي محمد الدامرجي بـ10 آلاف دينار للمجلس الوطني لقيادة الثورة. وطمأن رئيس الوزراء ووزير الصناعة المصالح المصرفية الكبرى مراراً عديدة. وجمدت السلطة الجديدة القرار الذي اتخذته الحكومة العراقية السابقة (بتعريق) الشركات الأجنبية العاملة في العراق، بعدها سمح لـ 272 منها بإعادة فتح فروعها فيه بعد أن كانت قد أغلقت إثر قيام ثورة 14 تموز 1958[68]].

---

(66) من أوراق نجيب الصائغ، في العهدين الملكي والجمهوري،، ص. 144 و193، دار اليقظة العربية، بغداد 1990.

(67) راجع نص التصريح لمراسل وكالة رويتر للأنباء في21/02/ 1963. مستل من ثمينة ناجي يوسف ونزار خالد، الجزء 2 ص. 367. مصدر سابق.

(68) مستل من المصدر السابق، ص. 368.

36 ـ قاسم وأحلام الفقراء:

كتب د. علي ثويني بمناسبة الذكرى الأربعين لاستشهاد قاسم يقول:

[قبل أربعين عاماً اجتثت يد القدر، روح الزعيم قاسم فسمت إلى ربها لتحتل موضعها بين أرواح صفوة البشر من القديسين والأخيار. لقد ضرجت دماؤه كل ارض العراق، ولم تقتصر على مساحة ستوديو الإذاعة التي لم يجد المجرمون غيره لتنفيذ جريمتهم، لتكون مكتومة الصوت ومحجوبة النظر، ووقف وراءها طابور من الأشرار.

كان الزعيم عبد الكريم زاهداً، عفيفاً، ومتواضعاً، نزيهاً لم يطمع في الدنيا حتى بقبر، ولم يتزوج ولم يملك أموالاً أو أولاداً/ ولم يدخن ولم يشرب، وحين لحظة إطلاق النار عليه في صبيحة 15 رمضان، قابل ربه وهو صائم. لقد رآه الناس في القمر، وفي أحلامهم وبكوه بحرقة. ونتذكر في طفولتنا تلك الأيام المرة. لقد حزنت كل أحياء الفقراء وكان أهلنا هم الأكثر من ذرف الدموع.

ذهب الزعيم إلى القتلة بنفسه ليخلص الناس من الاقتتال. فضحى من أجلهم، وهذه صفة لا تتوفر لدى عامة الناس، فهي صفة القديسين، الذين كسبوا الحظوة في الدنيا والآخرة بعد أن باعوا الثانية بالأولى في صفقة تجارية مربحة.

وهي حالة لا تتكرر لدى الإنسانية جمعاء، وهي سيان لدي بين تضحيات الحسين أبي عبد الله وزيد بن علي والحسين الحلاج أو محمد باقر الصدر والإمام محمد الصدر حتى تشي غيفارا الذي ترك الثراء ليموت في عراء بوليفيا أو زعيمنا المنقذ الذي طلق الدنيا من أجل العراق.

كم نحتاج إلى لحظة ترحم على روحه الطاهرة. فليتمتم كل منا على دينه ليقرا الفاتحة أو يرسم الصليب. رحماك يا رب، لقد فرطنا بهذا الرجل. كم يحز بالنفس ما حدث، وكم نحن بحاجة اليوم لأن نقتدي به وبالحسين وبكل من لم يتبع الشيطان ويخنع للسلطان ويرخص بالأمانة البشرية. لقد أسقط العروبيون سلطة الزعيم الشهيد بدعاوى واهية، داعين لخطاب طنان لم نجد خلال الأربعين عاماً بعضا منه. لا أعرف لمن نوجه اللوم، ولأي جيل نوجه اتهامنا. ولكننا عموماً ـ وبعد خراب البصرة ـ نعض على إصبع الندم على تفريطنا بثورة تموز وقائدها العراقي. نشرت مجلة «الحرية» الفلسطينية في نهاية السبعينيات نصاً للرسالة الصوتية التي كان يفترض أن يوجهها الزعيم من المذياع، وكان آخر ما قاله رحمه الله: سوف تأكلكم كلاب الاستعمار. وقد نطق بنبوءة تستحق التوقف

عندها. فهاهم المتخلفون يقودون بلداً جلس على عرشه أخير الناس فدنسوا كل مقدس على أرضه، وقتلوا أطهاره وشتتوا طاقاته وبخسوا بناسه وثرواته، وجلبوا إليه الكوارث تلو الكوارث، ومرغوا باسمه التراب، ومازالوا يتبجحون بأنهم منتصرون.

الثامن من شباط الأسود مناسبة ذات دلالات تستحق التوقف. ندعو فيها الجميع إلى كتابة «رؤيا للزعيم بعد الأربعين» كما دعونا أستاذنا حسن العلوي الذي كان أتحفنا بـ«رؤية بعد العشرين». وبين العشرين والأربعين رمز لجيلين ما زالا يحلمان بفجر جديد. لقد ولد جيل جديد لم يطلع إلا على «أخلاق البعث» وتقمص ما ألقي عليه من سفاهات القول وترهات الفعل. وهو بحاجة لأن تبث في روحه سمات الأخلاق «الكريمة» المتجسدة في النزاهة والصدق والزهد والطهارة وقول الحق التي استرسلت من أعرافنا، ولمسناه في طباع أهلنا الكرام، وما عبد الكريم وجيله إلا نموذج، بحاجة إلى تنشيط روحه في نفوس شعبنا المتعبة[69].

37 ـ ثقافة عبد الكريم قاسم:

كتب د. علاء الدين الظاهر حول ثقافة عبد الكريم قاسم، يقول:

[في عام 1962، ألقى رئيس وفد شركات النفط التفاوضي، محاضرة في كلية الأركان البريطانية في كمبرلي، قال فيها: كلما نركب الطائرة من بغداد نتوقع تأميم النفط. إن الزعيم قاسم (يجننا) ولا نعرف ما يريد...

وكثيراً ما نقرأ من أحد المتأدلجين يتهم عبد الكريم بأنه غير مثقف. لنراجع خلفية عبد الكريم قاسم: أنهى الرجل الكلية العسكرية وكلية الأركان ودورة ضباط القادة في بريطانيا[70] وكان يقرأ الصحف البريطانية. وقد سألت المرحوم محمد حديد عن هذا الموضوع فرد: بالنظر لخلفيته العسكرية، كانت ثقافته جيدة وكان اطلاعه السياسي وفهمه للأوضاع الدولية جيدة.

وفي موضوع آخر قال المرحوم محمد حديد: كان يقرأ جريدة الأهالي ويتأثر بسياسة الحزب الوطني الديمقراطي. ووزير خارجيته هاشم جواد قال إنه كان يقرأ الكتب عندما

---

(69) د. علي ثويني، قاسم وأحلام الفقراء، جريدة المؤتمر، العدد 338 في 21 ـ 2003 /02/27.

(70) أنهى كلية الأركان، الدورة السابعة، في1941/12/11، وينال درجة (أ) وقدماً لمدة سنتين، أما دورة تعبئة الضباط الأقدمين، فالتحق بها من 1950/10/04 ولغاية 1950/12/22. وحصل فيها على تقدير ممتاز.

يذهب إلى بيته أيام الجمع. وحسن العلوي رأى مكتبة عبد الكريم قاسم وفتح كتبه ورأى تعليقات قاسم على ما فيها وبخط يده. واللواء كمال مصطفى علمدار يتضايق عندما يقرأ بأن عبد الكريم قاسم لم يكن مثقفاً ويقول: «مثقف ونصف».

عندما يقول العراقي المتأدلج بأن عبد الكريم قاسم ليس مثقفاً، يعني إما أن عبد الكريم قاسم لم يؤمن بعقيدة شيوعية أو عقيدة بعثية ـ عروبية، أو يقارن عبد الكريم قاسم بجان بول سارتر وبرتراند رسل! والسليم أن نقارنه بمن سبقه ولحقه من حكام العراق. فثقافة الملك فيصل الأول عثمانية، وثقافة ابنه غازي شبه معدومة. وعبد الإله لم ينه الدراسة الثانوية. وثقافة نوري السعيد كمعظم السياسيين الملكيين عسكرية عثمانية. والرجل عاش ومات من دون أن نعرف هل نجح أو فشل في دورة الأركان العثمانية. وثقافة عبد السلام عارف لا تستحق الذكر وثقافة أخيه عبد الرحمن أقل منها كما هي ثقافة أحمد حسن البكر وطاهر يحيى. وثقافة عبد الناصر عسكرية مصرية!

قارن هذا بذاك وإذا أخرجنا الثقافة الحزبية من عقل حسين الرضي، لما بقيت له ثقافة تذكر. وإذا أخرجنا الهذر العفلقي من رأس علي صالح السعدي لما بقى لديه غير السكر والعربدة[71]].

38 ـ وحول الموضوع ذاته يكتب د. عبد الخالق حسين:

[أما إذا كان المقصود بالمثقف بأن نقارن ثقافة قاسم ببرتراند رسل أو جان بول سارتر أو روجيه غارودي وغيرهم من محترفي الثقافة، نعم فثقافة عبد الكريم قاسم دون ثقافة هؤلاء بكثير، لأنه لم يكن فيلسوفاً وكما يقول علي الوردي ليس من صالح الشعب أن يصير الفيلسوف حاكماً، كما طالب به أفلاطون، لأن الحاكم الفيلسوف يحمّل شعبه فوق طاقته. ولكن لو قارنا ثقافة قاسم بمن حكم من قبله ومن بعده لتبيَّن لنا أنه كان أثقفهم[72]].

39 ـ وكتب الروائي مصطفى علي نعمان،

تعليقاً على قول د. عزيز الحاج في البرنامج التلفزيوني (عبد الكريم قاسم بين زمنين)،

(71) د. علاء الدين الظاهر، تفكيك التجني،، مصدر سابق، الحلقتين الأولى والخامسة، جريدة الزمان العددان 571 و575.

(72) د. عبد الخاق حسين، ثورة 14 تموز 1958 العراقية وعبد الكريم قاسم، ص، 178، دار الحصاد دمشق 2003.

جاء فيه [ادعى عزيز الحاج أن عبد الكريم أثقف من عبد السلام بالرغم من كونه غير مثقف سياسياً. وهذا ادعاء متأدلج فارغ، الزعيم عبد الكريم قاسم أثقف من عزيز الحاج نفسه، ومن زعماء كل الأحزاب والمنظمات إطلاقاً، ولا تكفي قراءة كتاب ماركسي لتجعل من القارئ مثقفاً، ربما قرأ عزيز الحاج بعض الكتب... كان الزعيم يخطب ارتجالاً، ولم أسمعه يخطئ قط باللغة العربية، كلن يتكلم الفصحى الواضحة القريبة إلى الجماهير، وأتحدى أي شخص يثبت العكس. ولم يكن هذا متيسراً لزعماء معاصرين له، كعبد الناصر، أو لدعي ساذج كعبد السلام، أو حتى لأساتذة جامعيين مختصين باللغة العربية. لم أرَ أي زعيم دولة عربية يرتجل فلا يخطئ كعبد الكريم قاسم. كما أنه يرصع خطبه بأمثلة جميلة وآيات قرآنية وحكم يضعها في مكانها الصحيح. وفي إحدى المناسبات ردت عليه مدرسة بذكر آية قرآنية، فأجابها بسرعة مذهلة تدل على حيوية فكرية وسرعة بديهة، بآية أخرى ألقمتها حجراً، ثم تدخل غيرها فذكر آية أخرى، فرد عليه الزعيم بآية أخرى دحضت مقالته، فلم يكن حظه بأفضل من حظ سابقته. وتكرر الرد والرد المعاكس نحو نصف ساعة! انتهى السجال بانتصار الزعيم، وبعد تحرير العراق، ربما سنتمكن من رؤية ذلك السجال الديمقراطي بين قائد ثورة وأمة وبين أبناء الشعب. ابتدع الزعيم تعبيرات بليغة مذهلة ذهبت مثلاً مثل تعبيره الرائع (الرحمة فوق العدل)... كان سلوك الزعيم سلوك شخص على أعلى درجات الثقافة، على أعلى درجات التهذيب والأدب، وعندما هاجمه شاه إيران، مستغلاً تآمر مصر عليه وتكالب دور الولايات المتحدة وإنكلترا ودول الجوار عليه، مطالباً بضم شط العرب، رد عليه بشكل مؤدب ووصفه بالطامع فقط[73]].

40 ـ لقاء بين العالم د. جواد علي والزعيم قاسم:

كتب د. جليل العطية من خزين أوراقه ما يلي:

[حدثني د. جواد علي في مكتبة المجمع العلمي العراقي ببغداد في 4 ماي/ أيار 1977 قال:

كنت ـ ولم أزل ـ بعيداً عن السياسة والتحزب لقناعتي بأنني خلقت للعلم. والتجربة

(73) مصطفى علي نعمان، عبد الكريم قاسم المغدور مرتين، صفحة صوت العراق في الأنترنيت، بتاريخ 1/6/ 2003. والمقالة تحليل مطول ذو صبغة واقعية للبرنامج التلفزيوني الذي بثته محطة أبو ظبي عام 2002 وكان من إعداد أحمد المهنا.

السياسية الوحيدة التي خضتها في حياتي كانت تأييدي لحركة 1941 كونها تحررية تهدف إلى تحرير وطني من الاستعمار.

وعندما سقط الحكم الملكي أيدت الحكم الجمهوري واستبشرت خيراً، وكانت لي معرفة طيبة باللواء عبد الكريم قاسم منذ أن تعرفت عليه بواسطة صديقي الأديب الوزير (مصطفى علي 1900 - 1980) غير أنني لم اندفع في دعم السلطة الجديدة لأسباب منها زهدي بالمناصب. وفي ساعة متأخرة من إحدى الليالي قرع جرس داري وإذا بضابطين يطلبان مني التوجه لمقابلة الزعيم.

وقد بان للضابطين ـ وكانا مهذبين جداً ـ أنني كنت قلقاً، مضطرباً ـ فأكدا لي أن لا شيء يدعو للقلق وبعد أقل من ساعة كنت بين يدي قائد الثورة التي هزت الشرق الأوسط أثناء انفجارها.

رحب بي الرجل كثيراً، وعاتبني واعتذر لإزعاجي في هذه الساعة المتأخرة، ثم شرح سبب دعوتي المفاجئة بما خلاصته: تشغلني هذه الأيام القضية الفلسطينية، وأنا أعرف فلسطين منذ مشاركتي في حربها سنة 1948 وقد زودني السيد أمين الحسيني (رئيس الهيئة العليا) بكثير من الوثائق والكتب عن أبعاد القضية، وهو يرغب أن يساهم العراق في عملية تحرير فلسطين مساهمة فعالة، أي أن ينهض الجيش العراقي بهذه المسألة الخطيرة.

وأسهب الزعيم في الحديث مستعيناً بالخرائط ثم طلب رأيي في الختام، فقلت:

يا سيدي إن القضية الفلسطينية عادلة والشعب الفلسطيني مظلوم لاشك في ذلك، لكن تحريره وإعادة كيان دولة فلسطين ليست سهلة في ظل تعقد الظروف الدولية ولست عسكرياً لكي أدلو بدلوي. فماذا تريد مني؟

قال: سألت عن أهم المؤرخين العراقيين اليوم فذكروا لي أسماء ثلاثة اخترتك منهم، ولا يخفي عليك أنها قضية خطيرة وعمل يقتضي السرية والكتمان والحذر والإخلاص.

فشكرت الزعيم على حسن ظنه، وطلب مني أن أعد له دراسة موجزة عن القضية الفلسطينية فوعدته خيراً.. وانهمكت في كتابة خلاصة تاريخ فلسطين استغرقت نحو خمسين صفحة وقبل تسليمها فكرت في إطلاع اثنين من خلصائي عليها فوقع اختياري على الشيخ محمد بهجت الأثري (1904 - 1996) وهو أستاذي في الثانوية المركزية ليلاحظها من الناحية اللغوية. والدكتور أحمد نسيم سوسة (189 - 1982) ليلاحظها من الناحية التاريخية.

وقد اتصلت بمرافق الزعيم (وصفي طاهر، توفي 1963) - وكنت أعرفه - فحدد لي موعداً مناسباً فسلمت الزعيم الدراسة المطلوبة، فشكرني كثيراً وتبسط معي وعرض عليّ التفرغ وتمثيله لدى عدد من الرؤساء والملوك في مهمات خاصة فقدمت له الأعذار المناسبة فقبلها وكانت تلك آخر مقابلة لي بالزعيم عبد الكريم[74]].

41 ـ من السلوكية السياسية للزعيم قاسم:

كتب جرجيس فتح الله حول هذا الموضوع ما يلي:

[ولم يؤثر عن عبد الكريم قاسم أنه شجع مادياً أو أدبياً أية حركة معادية (لناصر)، أو اتخذ موقفا سياسيا خارجيا مخالفا لسياسة ج ع. م. ولم يستغل عداء رؤساء الدول الأخرى لناصر للتقرب منهم واستغلال ذلك العداء حتى عندما بلغت الحملة الإعلامية درجتها القصوى.

وفي أثناء الحملة الضارية التي ضاعت فيها الحقائق في خضم الأكاذيب، لم تصدر عبارة واحدة من قاسم فيها تحريض على عبد الناصر. بل تحاشى ذكر اسمه تماما. في حين بدا (قاسم العراق) في خطب الزعيم المصري كثيرا. وهنا.. هنا فقط نرى وجها للحق في وصف الأستاذ هيكل تصرفات قاسم بالغرابة. فقد تعرض لاستفزاز لم يتعرض له أحد قبله أو بعده فبقي ملتزما صمتا عجيبا، كصمت أبي الهول وهو من الغرابة بمكان حقاً[75]].

42 ـ رجل عسكري بالصورة:

نشر الكاتب عبد الحميد الصائح نص كلمته التي ألقاها في الحفل التأبيني بمناسبة الذكرى الأربعين لاستشهاد الزعيم قاسم والتي أقامها د. نجم الدين غلام بالتعاون مع مجموعة من القاسميين المقيمين في لندن يوم 8 شباط 2003.

[في صبيحة ذلك اليوم الشتائي التاسع من شباط كنت ابن الثالثة إلا ثلاثة أشهر

---

(74) جليل العطية، جواد علي، صاحب المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، جريدة المؤتمر العدد 289 في 2002/01/26.

(75) جرجيس فتح الله، العراق في عهد قاسم، الجزء الثاني، ص. 694، مصدر سابق

بالضبط. وفي تلك المدينة الجنوبية البعيدة، أسمع أمي المرأة الريفية الشابة التي لا تجيد القراءة والكتابة، تبكي أمام صورة عسكري يبتسم، هي ذات الصورة التي وضعها القائمون على هذه الاحتفائية على بطاقة الدعوة. تصورت الأمر بداية أنها تبكي على أبي الذي لم يعد في موعد إجازته، فلم يسبق أن تعرفت إلى صاحب الصورة، وربما من أقاربنا أو شيء من هذا القبيل، فقلت لها من هذا؟ قالت وعيناها مسمرتان باتجاه الصورة، بالعامية، (هذا رجل يحبه أبوك وهو يحب العراق، والبارحة قتلوه).

لم يستوقف الطفل الصغير من هذه العبارة التي لا يعرف مغزاها سوى كلمة (قتلوه)، وهي أول كلمة قتل يسمعها الطفل ابن الثالثة في حياته، تركها تبكي أمام صورة العسكري، الذي بسبب قسوة أبي لا أحب أمثاله، ولا أحب البذلة التي يرتديها حتى هذا اليوم.

يبتعد ذلك المشهد، مشهد المرأة الأمية البسيطة التي لم تخرج طيلة حياتها آنذاك من مدينة سوق الشيوخ، ولم تر جهاز تلفزيون ولم تقرأ صحيفة.

ومع ابتعاد ذلك المشهد وتضاؤله، وبعد أن دخلت رؤوسنا وأرواحنا في مفرمة السياسة والثقافة والقلق والهم العام، أصبح لتلك الجملة أغصان وفروع وأشواك أيضاً.

كانت عبارتها تنمو معي (هذا الرجل أحب العراق فقتلوه)، ما معنى يحب العراق ومن قتله؟ ولماذا؟ وهل يمكن اعتبار حب العراق امتيازاً؟ أم هو شيء طبيعي لا فضل للعراقي فيه على بلده؟ وما هو ثمن (العراقية) حين تستقل، وأي خديعة تحكم هذا البلد وتريد احتواءه، عبر مؤامرات، ليس من أجل إعلاء شأنه، بل من أجل ليّ ذراعه وتقويض خصائصه ودفعه إلى نسيان عظمته والانشغال بقضايا مهما كبرت فهي أقل شأناً من تاريخ العراق وتعددية العراق وعناصر نهوض العراق وسمات شعبه كدولة مستقلة أساسية ليس في المنطقة بل في العالم. مهولة تلك الجملة المنسية التي سمعها الطفل واتضح أنها لفظت ببراءة وعفوية لكنها سر مشكلة هذا البلد وقادته على مدى التاريخ. ولعل تاريخنا السياسي لم يستطع حتى الآن إجراء مسح شامل لكل من دفع ثمن (عراقيته) ثمناً شرساً من الانتهاك القومي والديني والطائفي والمثالي، وسلسلة انتهاكات طويلة تمتص دماءنا حتى اللحظة.

أحياناً أقول كيف يصبح عسكري مسؤولاً عن دولة مدنية، ومن يحتوي حماقة

العسكري إذا استلم السلطة، وحماقة المدني إذا تعسكر. وكيف يقود شخص بلداً لا يعرف عن شعرائه ومفكريه وفنانيه وعلماء الاجتماع فيه مثلما يعرف عدد جيشه وكمية احتياطي النفط لديه؟

وأين يقع صاحب تلك الصورة من هذا كله؟

أن تكون عسكرياً وسياسياً معتدلاً لهو أمر مثير ولا رصيد له حتى الآن، وأن تكون سياسياً وعسكرياً متحمساً مندفعاً، فهي الكارثة بعينها. كارثة أن يقودك شخص كلما شاهد رجلا يحمل كتابا تحسس مسدسه.

غير أن صاحب الصورة عبد الكريم قاسم سرق الأضواء، ورغم أنه أحيط بتهمة نقل السلطة إلى مسلسل الانقلابات والثورات وعنجهية العسكر والتاريخ الدموي لهم وخديعة الثورات، فقد ظل النهر العراقي على ضفاف الحلم القومي المتشنج والدور المغامر للفعالية العراقية، فاعترضته النار ومؤامرات الأشقاء والشوفينيين والأخوة والرفاق وحاصرته الذرائع، لأنه صدر لبلدان العرب الأخرى الأطباء والفلاحين والمدرسين والمهندسين ولم يصدر لهم رجال المخابرات وحقن الثاليوم وكراديس التشويه الإعلامي. فكان ضحية لعراقيته، ضحية لسياسة حسن الظن التي تعد انتحاراً للرؤساء العرب إذا ما سلكوها. في زمن عبد لكريم قاسم شهد العراق أغرب ساعتين طريفتين كما يروي الإذاعي المعروف محمد علي كريم، حين استدعى الزعيم من الإذاعة الشاعر المتمرد حسين مردان. وفي جلسة مرح عرض عليه أن يكون رئيساً للعراق لمدة ساعتين، وأن يحتل مكانه خلف مكتب الرئيس ويجيب عن المكالمات ويأمر رجال الحماية بما يشاء. تركه في الغرفة وحيدا، فهمّ حسين مردان صائحاً.. تعالوا راح أموت. وحين عاد الزعيم ضاحكاً سمع حسين مردان يقول له: يا إلهي سيادة الزعيم دخيلك، ما أن جلست خلف مكتبك حتى شعرت بالسماء تمطر مسدسات! ربما كانت نبوءة من حسين مردان الشاعر المتمرد أو أنها مواصفات الرئاسة في العراق حتى يومنا هذا.

(رجل أحب العراق فقتلوه). هكذا جملة تخرج من امرأة لا تجيد القراءة والكتابة ولا تعرف عن وسائل الإعلام شيئاً، إنما هو مؤشر لكيفية تسلل قائد لم ينكث تراب بدلته إلى خبز الناس وبساطة الفلاحين وجنون الشعراء ومطاليبهم اليومية والسرية، فأحبوه، حتى وإن تعثر، حتى وإن اختلط دم الحق ببارود الباطل من حوله، ومهما اعترضنا وأولنا واستدعينا

أسفار المؤرخين وأسلحة الكتبة وخبث السياسيين في بلد قوي كان بحاجة إلى قائد يقرأ تاريخه وحضارته ويحترم ناسه وحقوقهم، غير أنه ترك للناقصين وقطاع الطرق وشذّاذ الآفاق، فانتهى إلى حروب العسكر المزوّرين غير العادلة، ومجزرة الضمائر التي تتساقط يومياً أمام أنظار شعب حوله يأسه من المراهنة على الغد، إلى عضّ الأصابع على ما مضى[77].

43 ـ أحوال.. شكرا كاكه مسعود:

كتب الباحث التراثي د. رشيد خيون.. عن وفاة الزعيم قاسم، بالقول:

عاش ومات الزعيم عبد الكريم قاسم ولم يملك غير عراقيته. وكان عف اليدين والضمير، وتفرد بعبارته الشهيرة «عفا الله عما سلف». لم يجدوا في حسابه ـ إن كان له حساب بنكي ـ غير دينار وربع. وإن زاد فخمسة دنانير، أثبتها قتلته قبل غيرهم. والحاكم قصره غرفة بوزارة الدفاع للعمل والمعيشة، وخطط تنموية وعمرانية لم تسع سنوات حكمه لتنفيذها. فأخذ الناس ينسبون له كل مشروع تحقق بعد غيابه بسنوات. لكنه أمم النفط فكانت الكارثة.

ومودتي للزعيم مثلما ورد في القرآن الكريم (ألفينا عليه آباءنا)، أهلي وكل منطقتنا، بعثييها وقومييها، ولم أسمع أحداً يشتمه أيام الحرس القومي غير المعلمين الفلسطينيين، سعيد وفايد. ولما جمعت الشرطة رشاشات بور سعيد كانا أول المستسلمين، فصدق عليهم قول المتنبي (إذ أنت أكرمت الكريم.. الخ) فالفلسطينيان فايد وسعيد كانا لئيمين، لعدم تذكرهم بسالة عبد الكريم دفاعاً عن فلسطين، وبقائه محتضناً قضيتهما طيلة حكمه، وأكرمهما وأبناء شعبهما بمنازل ووظائف.

وحول الرشاش بور سعيد، استفسرت أمين هويدي سفير مصر ببغداد، ووزير الدفاع ورئيس جهاز المخابرات ـ أثناء مؤتمر عقد في لندن لمؤازرة عدن بعد اجتياحها (1994)، من قبل علي عبد الله صالح ـ قال: أنا الذي فعلت ذلك! قلت كيف؟ قال بالحرف الواحد ونبرة حادة، وكأنه استعار لسان توفيق الدقن وانفعاله في تلك اللحظة، الله أولك أنا اتروح

---

(77) عبد الحميد الصائح، رجل عسكري في صورة، جريدة المؤتمر، العدد 338 في 21 - 27 شباط 2003.

تؤلي ازاي؟ قلت: ذاكرة الشعب العراقي محملة كراهية لهذا الرشاش وأنت أحد الشهود! قال: القاهرة بعثت بهذا العدد (حوالي العشرين ألفاً) من سلاح بور سعيد من أجل القضاء على الأكراد! ثم استدرك: لا أقصد ذلك، وإنما لمساعدة الحكومة الجديدة للقضاء على التمرد الكردي في شمال العراق! فقلت: لكنها وزعت في الشوارع، وأصبحت بأيدي شبان لا يجيدون استعمالها؟ قال: هذه مشكلة البعثيين وإن الرئيس جمال عبد الناصر زعل كثيرا (على حد تعبيره) فقدم اللوم لحازم جواد وطالب شبيب يومها. وبما أن الرشاش نزل إلى الشارع في الأيام الأولى للحرس القومي، والاتفاق كان كما ذكر معاليه. إذن كانت هناك خطة مسبقة ضد الأكراد.

وإنصافاً لعبد الكريم قاسم تحدث السيد مسعود البرزاني، إلى جريدة الحياة في 12 تشرين الثاني / نوفمبر 2002 في مقابلة شاملة، وقال في معرض إجابته عن سؤال «ما هي قصة زيارتك لعبد الكريم قاسم وأنت تلميذ صغير؟» قال: «كنا قيد الإقامة الجبرية بمعنى محظور علينا العودة إلى منطقة بارزان. بعد الثورة سمح لنا. كان عمي الشيخ أحمد سجيناً ومحكوماً بالإعدام فأفرج عنه بعد الثورة بأسبوع، وكان والدي في الاتحاد السوفيتي وعاد في 10/6/ 1958، إلى العراق عن طريق القاهرة. البارزانيون الذين كانوا مع الوالد وهم نحو خمسمئة عادوا في ربيع 1959... كان عبد الكريم قاسم يقيم استقبالاً في قاعة بغداد فدخلت مع والدي. شاهدني عبد الكريم قاسم فسألني في أي صف أنت فأجبته، وماذا تمارس من رياضة فأجبت، بعدها قال قاسم لوالدي: هذا الولد سنأخذه منك. وخاطبني قائلاك حضر نفسك سنرسلك في بعثة. وقال لي: تعال إليّ وقت ما تريد فأنت صديقي. كنت في الثالثة عشرة من عمري» وفعلا ذهب مسعود ليفخر أمام زميله في المدرسة أنه يستطيع مقابلة الزعيم. ومن استعلامات وزارة الدفاع اتصل بوصفي طاهر. وبعد دقائق حضر عسكري وقال: أين ابن الملا؟ فاصطحبني ورفيقي وإذا بنا أمام الزعيم». ثم زاره عدة مرات بعد إصابته ومكوثه بمستشفى السلام.

رد مسعود على سؤال الصحيفة: «هل كنت معجباً فعلاً بعبد الكريم قاسم؟»: «أنا أعتقد بأنه أكثر الحكام نزاهة في العراق حتى يومنا هذا. إنه صاحب فضل على الشعب الكردي عموماً وعلى البرزانيين بشكل خاص» أقول: شكراً لكاكه مسعود، أول سياسي عراقي ظل وفياً لصباه الذي زها بحنو عبد الكريم قاسم، فلم يقلقه بغاز خردل أو أنفال أو متفجرات يحملها رجال دين تهز حاج عمران. وقبل أربعين عاماً، وفي صبيحة الجمعة

الثامن من شباط، مرَّ بنا رئيس عرفاء الشرطة مطشر مطلك، فقال لوالدي بألم: عمي انقلاب على عبد الكريم قاسم! ظل الوالد يردد: «الله لا ينصرهم». وبعتب المحبين قال: «ما خلَ أحد يساعده». يومها كنا نتابع الأخبار من تلفزيون الكويت، فهي أقرب إلينا من بغداد مسافة لا روحاً، عبر شاشة كانت الوحيدة بالمنطقة، لحظتها كان الشاعر الشعبي مجيد جاسم الخيّون بيننا، ويردد مستهيناً بالبعثيين «خلهم هيته وما مش رداد إلهم خلهم». إلى أن ظهرت صورة جثة الزعيم وجندي يمسك شعر رأسه، كأنه الشمر ابن ذي الجوشن، فاستسلم الجميع لليأس وأيام ويعتقل مجيد. كان عرساً بالكويت ومأتماً بالعراق. ومضت السنون وإذا قتلة الزعيم يحققون للكويت مأتماً ندموا فيه على فرحتهم تلك. غير أن صورة الجثة لم تمنع الحاج عبد الأئمة من رؤية الزعيم وهو يزور الرضا بإيران ولم يمنع زايرة شهد من رؤيته بكبد القمر. ولم تمنعني من الأمل بحاكم نزيه نزاهة عبد الكريم قاسم ويوفر دستوراً وبرلماناً[78].

44 ـ شهادة معتقل إبان حكم الزعيم قاسم:

في رده على الافتراءات التي وردت في مذكرات فيصل حبيب الخيزران، يتذكر أحد قياديي حزب البعث العراقي السابق معاذ عبد الرحيم حول ظروف اعتقاله بعد غلق جريدة الجمهورية في نهاية عام 1958 بالقول:

[لقد كان العقيد أحمد حسن البكر ومعه المقدم صالح مهدي عماش، وعدد من الضباط الموقوفين بتهمة محاولة القيام بانقلاب عسكري على نظام عبد الكريم قاسم. وبعد انتهاء التحقيق معهم ونحن أعضاء حزب البعث من العاملين في جريدة الجمهورية، جمعتنا إدارة المعتقل سوية في قاعة واحدة، ولم يكن من تقاليد البعثيين وكذلك الضباط القوميين تنظيم أنفسهم وشؤونهم الحياتية والسياسية في المعتقل..

كنا نعيش على هوانا وحسب تقارب أمزجتنا، فعلى سبيل المثال كان فيصل (الخيزران) وصالح عماش وعلي صالح السعدي يشكلون جماعة منسجمة من حيث

---

(78) د. رشيد الخيون، أربعون عاما على مجزرة 8 شباط؟ مجلة رسالة العراق، ص، 17 العدد 96 / شباط 2003. ويشير المؤلف بقوله (متفجرات يحملها رجال)، إلى محاولة الاغتيال التي تعرض لها والده والتي دبرتها السلطة عام 1971. وكانت بإشراف مدير الأمن العام ناظم كزار.

السهر والأكل ولعب الورق وقراءة الشعر والكصيد البدوي. وساعد على ذلك أن الاعتقال أيام عبد الكريم قاسم كان بالنسبة لنا بالذات نحن وجماعة البكر أشبه بالفندق. لا تعذيب ولا تنكيل، فالعناية جيدة ومواجهة الأهل مستمرة وما يصلنا من الأهل من طعام وملابس متيسر، بل أن الموسرين من المعتقلين يطلب من أهله أن يزودونه بأكلة (الباجة) وبالدولمة وغيرها من الأكلات العراقية المشهورة وكنت من أعضاء الحزب الذين لم يمنعهم الاعتقال من العمل على كسب الأنصار والمؤيدين للحزب...[79]].

ويكمل ذات اللوحة حسن العلوي، المدرس آنذاك، الذي اعتقل بسبب مساهمته في إضراب البانزين في نيسان عام 1961 وتحريض الطلاب على الخروج إلى الشارع للتظاهر وقطع طرق المواصلات البرية وإحراق عدد من السيارات الحكومية، بالقول:

[خصص لكل موقوف من الدرجة الأولى 400 فلس يومياً و300 فلس للدرجة الثانية، وكلف متعهد بالحضور مساء كل يوم لتسجيل طلباتنا. بعد أن توزعنا، إلى فرق لا يزيد عدد الواحدة منها على 14 شخصاً. وكانت المواد التموينية تصلنا صباحاً وتسدد أثمانها من مخصصاتنا اليومية. وكان لكل فرقة مطبخ خاص بها.

أما رواتبنا في الدوائر والشركات، فتصرف أنصافها على أن تجمع الأنصاف الأخرى، بعد الخروج من المعتقل، وهي فرصة ثمينة، لمن يريد التوفير. فقد رفضتُ استلام أنصاف الرواتب لحين إطلاق سراحي. وكنت قد استلمت كتاباً من المديرية بترفيعي إلى راتب 36 ديناراً اسمياً وأنا في المعتقل. إذ توجهت حالاً إلى مديرية تربية الرمادي ومعي كتاب إطلاق سراحي، فصرفت رواتبي المتجمعة والتي زادت على ثمن سيارة اشتريتها من معرض بغداد في ساحة الجندي المجهول فعدت بها إلى البيت[80]].

45 ـ ضد المديح الزائد:

[يروي إبراهيم القيسي الكاتب الصحفي، أن صديقه العقيد إبراهيم عباس اللامي - عضو هيئة المحكمة العسكرية العليا الخاصة ـ محكمة المهداوي قبل استقالته منها، روى لي

(79) جريدة الزمان، العدد 985 في 3 آب/أغسطس، 2001.

(80) حسن العلوي، عبد الكريم قاسم، رؤية بعد العشرين، مصدر سابق، ص 95.

الحكاية التالية عن تعفف الزعيم عبد الكريم عن سماع كلمات المديح وقصائد الإطراء، قال:

مرةً، وفي الأشهر الأولى للثورة، دخلنا بصحبة العقيد فاضل عباس المهداوي رئيس المحكمة إلى غرفة الزعيم بعد أن غادرها وفد من العمال والفلاحين جاؤوا لتأييده وإلقاء قصائد المديح والتبجيل.. فوجدنا الزعيم عبد الكريم قاسم يردد بأعلى صوته:

ـ اللهم قني من الغرور.. اللهم أبعد عني الغرور

ثم وجه كلامه إلينا جميعاً قائلاً:

يا جماعة.. تره أني بشر.. مو إله وظل يكرر أني بشر مو إله...

ويضيف إبراهيم القيسي ـ كما سمع ذلك من صديقه المتوفى العقيد اللامي، أنه مرة اصطحبه ليلاً معه في سيارة الزعيم عبد الكريم قاسم في جولته المعتادة كل ليلة في أنحاء مختلفة من بغداد وضواحيها. وعند وصوله الكاظمية شاهد صورة كبيرة له معلقة على جدران مخبز صمون فأمر السائق أن يقف عند ذلك المخبز الحجري، وعندما تفقد المخبز شاهد أن (شنكة) الصمونة صغيرة، فطلب من العامل وزنها فظهرت ناقصة الوزن. بامتعاض قال:

صغروا صورتي وكبروا الشنكة(81)].

46 ـ قالوا فيه:

وأورد هنا بعض الأقوال والتي قيلت بحق الزعيم قاسم، من شخصيات مختلفة المشارب الفكرية والسياسية. إنها تمثل غيضاً من فيض:

• عارف عبد الرزاق: [عبد الكريم قاسم رجل جسور، وإنه لم يكن شيوعيا لكنهم احتضنوه واحتضنهم].

• نعمان ماهر الكنعاني: [إن عبد الكريم قاسم مخلص للعراق، وطني غير مرتبط بأية جهة

(81) مستل من أحمد فوزي، الساعات الأخيرة، مصدر سابق، ص. 53

أجنبية أو حزبية].

* صالح علي السعدي: [إن عبد الكريم قاسم زعيم وطني تقدمي جريء إلا أن وسائل تحقيق أهدافه كانت ملتوية[82]].

* عبد الكريم فرحان: [كان شجاعا وجريئا، عفيف اللسان نظيف اليد أخلص لوطنه وشعبه وحرص على مصالح العراق] كما [كان عبد الكريم قاسم، شجاعاً وجريئاً، أبلى بلاءً حسناً في معارك فلسطين، عفيف اللسان، نظيف اليد وفياً لأصدقائه... حرص عبد الكريم قاسم على تطبيق القانون والتعليمات، ولم يستخدم صلاحيته الواسعة لمنفعته الشخصية أو لمصلحة أقاربه... ومهما قيل في عبد الكريم قاسم أو وصف أو نسب أليه بدافع الكراهية أو الحب، فقد كان وطنياً مخلصاً شجاعاً ونزيهاً[83]].

* هاني الفكيكي: [مع انهمار ذخيرة الموت انطلق صوت قاسم هاتفا بحياة الشعب[84]].

* ناجي طالب: [كان وطنيا غيورا حاول مخلصا ان يخدم شعبه وان يحقق بعض الإصلاحات التي كان يعتقد أنها تخدم الشعب والوطن[85]].

* يعترف خالد علي الصالح بأن الزعيم قاسم [كان يتمتع بشعبية واسعة[86]].

* نجيب الربيعي، عندما كان قائداً للفرقة الثالثة كتب عام 1955[87]:

- [آمر لواء قدير وحريص ونزيه، يتفانى في أداء واجبه، طيب النفس وكريم اليد...]

- وكتب في تقريره السنوي لعام 1956:

[قاسم ضابط كفوء لطيف المعشر، نزيه وجريء. ومندفع وله نظرة طيبة في الأمور الإدارية والتنظيم]. وأن [الزعيم عبد الكريم قاسم من القادة الذين يوثق بهم وأنه قادر على التنفيذ إذا تقرر إعلان الثورة وأنه ضابط جيد وكفوء].

---

(82) الأقوال الثلاثة الأولى مستلة من ليث الزبيدي، ثورة 14 تموز في العراق ص 332.
(83) عبد الكريم فرحان، حصاد ثورة، ص. 116، 159.
(84) هاني الفكيكي، أوكار الهزيمة، مصدر سابق 252.
(85) د. مجيد خدوري، العراق الجمهوري، مصدر سابق، ص 208.
(86) خالد علي الصالح، طريق النوايا، مصدر سابق ص 264.
(87) خليل إبراهيم حسين، الموسوعة، ج 6، ص 147 ، 148، مصدر سابق.

* يقول عبد الحميد السراج مسؤول المكتب الثاني في المخابرات السورية قبل الوحدة والوزير بعده:

ـ [أما عبد الكريم قاسم فظهر أنه رجل غامض ولكنه ضابط نزيه وشريف وشجاع(88)].

* يقول محمد جمال باروت:

[... لقد افتقدت شخصية عبد السلام عارف تمثيل الأبعاد الأساسية في الشخصية الوطنية العراقية التي كان قد مثّلها عبد الكريم قاسم(89)].

* كتب د. مجيد خدوري، غير الموضوعي في نظرته للزعيم قاسم، قائلاً:

[وهكذا فإن عبد الكريم قاسم كان أقدر الضباط على معالجة المتطلبات السياسية ليظل متربعاً في دست الحكم، على الرغم من الفرصة التي سنحت للعقيد عبد السلام عارف ثانية بعد سقوط الزعيم قاسم. وأن دراسة شخصية الزعيم قاسم وخلقه من شأنه أن يلقي الضوء على مجرى حياته بوصفه زعيماً سياسياً... ولم يمنح العراقيون حبهم لزعيم من قبله أبداً(90)].

* كتب العميد المتقاعد خليل إبراهيم حسين، أن عبد الكريم قاسم:

[قد اشتهر بين طلابه بالجدية وأدب الحديث والتزم جانبهم والدفاع عنهم إزاء رؤسائه حقاً أو باطلاً(91)]

* يقول ادوارد صعب مراسل وكالة الأنباء الفرنسية الذي أجرى آخر مقابلة مع الزعيم قاسم:

[إن الزعيم عبد الكريم قاسم لم يعد ثورياً. فلقد وجدته إصلاحياً مؤمناً برسالته ويتمتع بطريقة تفكير راجحة وأكثر تطوراً من تلك التي يتمتع بها الكثير من زعماء الدول العربية سواءً الذين ينظرون له نظرة حقد أو شفقة... ومن موضوعاته المفضلة هي حب الأقرباء والتضامن العالمي، وخصوصاً البؤس، إضافةً إلى الوسائل الكفيلة لتحرير الفقير

---

(88) المصدر السابق، ص. 113

(89) محمد جمال باروت، حركة القوميين العرب، مصدر سابق، ص 248.

(90) د. مجيد خدوري، العراق الجمهوري، مصدر سابق، ص 101.

(91) الموسوعة، ج 1، ص 28.

من مشاكله[92]].

• باتريك كوبيروون: [الزعيم عبد الكريم قاسم أكثر حكام العراق شعبية[93]].

• جاسم العزاوي:

- قبل ثورة 14 تموز [هذا المخبل شنو معتمدين عليه تره هذا جندي واحد ما وياه ولا جندي يمشي وراه].

- بعد الثورة [أن انطباعاتي عن قائد الثورة طيلة المدة التي عرفته خلالها أي من عام 1947 حتى الآن، تتلخص في أنه عادل ولا تأخذه في الحق لومة لائم، كتوم جداً، أمين إلى أقصى حدود الأمانة، وصادق في أعماله وأقواله، حافظ للعهد، لا ينسى أصدقاءه مهما ابتعد عنهم والزعيم عبد الكريم قاسم مخلص لبلاده منتهى الإخلاص، مؤمن بقوة الشعب العربي والعراقي، جريء في الحقوق لا يقبل الباطل مهما كان مصدره. زاهد في المادة وليس له مطمع شخصي في الحياة، صريح في أقواله وأعماله، دؤوب على العمل قليل الكلام، كثير الأعمال، هادئ يعمل بهدوء وبدون ضجة[94]].

- ويقول عن حرب فلسطين الأولى [لازلت أذكر جيداً عملية تقدم الزعيم الركن عبد الكريم قاسم على رأس كتيبته من أقصر الطرق التي تؤدي إلى الشونة بالرغم من مرور هذا الطريق بمحاذاة الجيش اليهودي. ولازلت أذكر غضب القيادة العراقية من هذا العمل الذي اعتبروه مخاطرة كبيرة، وحاولوا منعه بشتى الطرق وقد أصدروا له أمراً خطياً بعدم التقدم من هذا الطريق إلا أنه تقدم على الطريق متحملاً المسؤولية على عاتقه وهو عارف جيداً نتائج عمله ومطمئن من نجاحه. ونجحت فعلاً فكان لها صدى كبير...[95]].

- ويقول العزاوي بعد مقتل الزعيم قاسم: [لقد كان في غروره ما يبعث على الضحك... أن عبد الكريم قاسم لا قياس له ولا قياس عليه. لقد عشت معه عشر سنوات لم أستطع أن أعرف عنه حقيقة واحدة تصلح أن يكون مقياساً لما يحب أو

(92) مجلة «أصوات»: مصدر سابق العدد 13 نيسان 1993 باريس.
(93) راجع جريدة أندبندنت آون صاندي في26 - 6 - 97.
(94) أحمد فوزي، الساعات الأخيرة، مصدر سابق، ص. 33.
(95) مستل من جمال مصطفى مردان، مصدر سابق، ص. 17.

يكره... لا قيمة له للوقت ولا المواعيد لا يهمه المأكل والمشرب]... [أن عبد الكريم قاسم كان حذراً ويشك حتى في نفسه... أن عبد الكريم قاسم لم يقرأ منذ 14 تموز 58 وحتى 8 شباط كتاباً واحداً. أنه كان ثلاثة أرباع أمي، وهذه هي عقدته[96]].

---

(96) أحمد فوزي الساعات الأخيرة، ص. 47، مصدر سابق.

الملاحق(97)

ملحق رقم 1

جدول يوضح التدرج الوظيفي للزعيم عبد الكريم قاسم
ومشاركته في الحركات العسكرية الفعلية

الرتبة	التاريخ	الحركات الفعلية
ملازم ثان	1934.04.15	الفرات الأوسط 11/أيار - 29 تموز 1935
ملازم أول	1937.09.08	
نقيب (رئيس)	1941.05.02	حركة مايس/ أيار 1941
رائد (رئيس أول) ركن	1943.05.02	بارزان، أيلول - تشرين أول 1945
مقدم ركن	1947.05.02	حرب فلسطين الأولى من 1948/5/5 - 11/6/ 1949
عقيد ركن	1951.05.02	
عميد (زعيم) ركن	1955.05.02	
لواء ركن	1961.01.06	
فريق ركن	1963.01.06	

(97) جمعت المعلومات في هذه الملاحق من عدة مصادر أهمها، من جمال مصطفى مردان، عبد الكريم قاسم البداية والسقوط، ص 154 - 156 المكتبة الشرقية، بغداد 1989.

ملحق رقم 2

جدول يوضح عدد الأوسمة والأنواط التي نالها الزعيم قاسم ونوعها ومناسبتها

المناسبة	التاريخ	نوع الوسام والنوط	الرتبة
اشتراكه في حركات الفرات الأوسط	1935.08.13	الخدمة الفعلية	ملازم ثان
اشتراكه في حركة بارزان/ زيبار	1945.10.01	نوط الشجاعة	رائد ركن
الهجوم على مواقع صهيونية	1948.06.14	شكر	مقدم ركن
استرجاع مواقع من الصهاينة	1948.0824	شكر	مقدم ركن
لشجاعته	1951.09.09	نوط الحرب والنصر	عقيد ركن
لشجاعته	1953.04.30	وسام الرافدين من الدرجة الرابعة والعسكري	عقيد ركن
لشجاعته	1954	وسام الإنقاذ، فيضان دجلة	عقيد ركن
لشجاعته	1957.04.29	نوط الشرطة للخدمة الممتازة	عميد ركن

ملحق رقم 3

أهم الدورات التي شارك فيها:

- دورة السواق / ضابط آلي؛
- دورة الأركان السابعة
- دورة الحروب الجبلية للضباط الأقدمين؛
- - دورة تعبئة الضباط الأقدمين في المملكة المتحدة.

ملحق رقم 4

المناصب العسكرية التي شغلها عبد الكريم قاسم

المنصب	التاريخ
طالب في الكلية العسكرية	1932/05,09 - 1934
آمر فصيل في الفوج الثالث	1934
آمر فصيل في الديوانية	1937
مساعد في الفوج الثاني / اللواء الثاني	1937
آمر فصيل في الكلية العسكرية	1938
طالب في كلية الأركان	1940 - 1941
مقدم لواء المشاة الرابع عشر	1943
مقدم لواء المشاة السابع	1943
مقدم لواء المشاة الثالث	1944
آمر الفوج الثالث	1945
ضابط ركن لواء مشاة التاسع	1947
معاون مدير إدارة الفرقة الثانية في الأردن	1948
معاون مدير الإدارة للقوات العراقية في الأردن	1948
آمر الفوج الثاني للواء الأول فلسطين	1948 أيار
آمر الفوج الأول للواء الأول فلسطين	1948 آب
مسؤول زمرة التدريب في مقر وزارة الدفاع	1952
معاون مدير العينة	1953
آمر اللواء التاسع عشر	1953
القائد العام للقوات المسلحة وزير الدفاع	1958

المصادر والمراجع:

أولاً: الكتب:

1 ـ أحمد فوزي: عبد الكريم قاسم وساعاته الأخيرة، ط2، مطابع الدار العربية، 1989 بغداد.

2 ـ = = غرب أم غروب، قصة عبد الكريم قاسم، دار الشرق الجديد 1961 المكان بلا

3 ـ = = عبد السلام محمد عارف، بغداد 1989 مطبعة الديواني.

4 ـ = = ثورة 14 رمضان، القاهرة 1963، دار النشر بلا.

5 ـ أحمد الزيدي (العقيد الركن)، البناء المعنوي للقوات المسلحة العراقية، دار الروضة، بيروت 1990.

6 ـ أحمد حمروش، الانقلابات العسكرية، دار ابن خلدون، بيوت 1980.

7 ـ أحمد حمروش، قصة ثورة 23 يوليو، ج 3، عبد الناصر والعرب، ط 2 مكتبة مدبولي القاهرة، التاريخ بلا.

8 ـ إسماعيل العارف، أسرار ثورة 14 تموز وتأسيس الجمهورية في العراق، دار لانا، لندن 1986.

9 ـ أوريل دان، العراق في عهد قاسم، ترجمة جرجيس فتح الله، دار نبز/ استكهولم 1989.

10 ـ اليعازر بعيري، ضباط الجيش والسياسة والمجتمع العربي، ترجمة بدر الدين الرفاعي، دار سينا والمكتبة الثقافية، القاهرة ـ بيروت 1992.

11 ـ إسحاق النقاش، شيعة العراق، ترجمة عبد الإله النعيمي، دار المدى، دمشق 1996.

12 ـ إبراهيم كبة، هذا طريق 14 تموز، دار الطليعة بيروت 1969.

13 ـ إبراهيم علاوي، المقايضة برلين ـ بغداد، منشورات مجلة الغد، لندن 1991.

14 ـ إبراهيم علاوي (نجم محمود) الصراع في الحزب الشيوعي العراقي وقضايا الخلاف

في الحركة الشيوعية العالمية، باريس 1984، دار النشر بلا.
15 ـ أياد سعيد ثابت، عندما يواجه الثائر قدره، المؤسسة العامة للصحافة، ليبيا، ج الأول.
16 ـ أمين هويدي، كنت سفيراً في العراق، دار المستقبل العربي، القاهرة، 1983.
17 ـ آشيريان، الحركة الوطنية الديمقراطية في كردستان العراق 1961 ـ 1968، تعريب لاتو، رابطة كاوا، بيروت 1978.
18 ـ أحمد كاظم البياتي، ناظم الطبقجلي وجوره العسكري والسياسي 1935 ـ 1959، الدار العربية للموسوعات بيروت 2002.
19 ـ باقر إبراهيم الموسوي المذكرات، دار الطليعة، بيروت 2002.
20 ـ باقر ياسين: تاريخ العنف الدموي في العراق، دار الكنوز الأدبية، بيروت 1999.
21 ـ = = ، الأسباب التاريخية للنزعة الفردية والعنف الدموي في سلوك الفرد العراقي، كتاب نشر على حلقات في جريدة الزمان منذ تاريخ 2001/3/23.
22 ـ بينزور (الأكاديميان) العراق: دراسة في علاقاته الخارجية وتطوراته الداخلية 1915 ـ 1975، ترجمة عبد المجيد حسيب القيسي في جزأين، الدار العربية للموسوعات، بيروت 1989.
23 ـ باسل الكبيسي، حركة القوميين العرب، تعريب نادرة الخضيري الكبيسي، ط 4، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت 1997.
24 ـ بهاء الدين نوري، المذكرات، دار الحكمة، لندن 2001.
25 ـ ثمينة ناجي يوسف ونزيهة الدليمي (الدكتورة)، موجز سيرة سلام عادل/ نشرت في 12 حلقة في جريدة الزمان منذ تاريخ 2000/4/17.
26 ـ ثمينة ناجي يوسف ونزار خالد، سيرة سلام عادل، في جزأين، توزيع دار المدى، دمشق 2000.
27 ـ جرجيس فتح الله: العراق في عهد قاسم ـ آراء وخواطر، دار نبز، استوكهولم 1989.
28 ـ = = ، أراء محظورة في شؤون عراقية معاصرة، دار الشمس استوكهولم 1994.
29 ـ جاسم العزاوي، ثورة 14 تموز: أسرارها، أحداثها، رجالها، شركة المعرفة للنشر، بغداد 1990.
30 ـ جوناثان راندل، أمة في شقاق دروب كردستان كما سلكتها، ترجمة فادي حمود، دار النهار بيروت 1997.
31 ـ جمال مصطفى مردان، عبد الكريم قاسم، البداية والسقوط، المكتبة الشرقية، بغداد 1989.

32 ـ حنا بطاطو، الطبقات الاجتماعية والحركات الثورية في العراق، ترجمة عفيف الرزاز، في ثلاثة أجزاء، ط الأولى، المؤسسة الأبحاث العربية، بيروت 1990.
33 ـ حسن العلوي: عبد الكريم قاسم رؤية بعد العشرين، دار الزوراء، لندن 1993.
34 ـ = = الشيعة والدولة القومية في العراق 1914 ـ 1990 ط 2 ، دار النشر بلا 1990.
35 ـ = = أسوار الطين في عقد الكويت، دار الكنوز الأدبية، ط 1، بيروت 1995.
36 ـ = = دولة الاستعارة القومية، دار الزوراء، لندن، 1997.
37 ـ = = التأثيرات التركية في المشروع القومي في العراق، الزوراء، لندن، 1988.
38 ـ = = العراق ـ دولة المنظمة السرية، الشركة السعودية للابحاث والنشر، 1990.
39 ـ حسين الزبيدي (الدكتور)، ثورة 14 تموز في العراق 1958، منشورات وزارة الإعلام بغداد 1975.
40 ـ حامد محمود عيسى (الدكتور) المشكلة الكردية في الشرق الأوسط، مكتبة مدبولي القاهرة 1991.
41 ـ حسن السعيد، نواطير الغرب، صفحات من ملف حزب البعث العراقي 1948 ـ 1968، مؤسسة الوحدة للدراسات، بيروت 1992.
42 ـ حامد البياتي (الدكتور) أسرار انقلاب 8 شباط في العراق في الوثائق السرية البريطانية، مؤسسة الرافد للنشر والتوزيع، لندن 1996.
43 ـ خليل سعيد (اللواء الركن) تاريخ حرب الجيش العراقي في فلسطين. بغداد.
44 ـ خلدون حسن النقيب: الدولة التسلطية في المشرق العربي المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية، ط 1 ط 1، بيروت 1991.
45 ـ = = في البدء كان الصراع، جدل الدين والإثنية، الأمة والطبقة عند العرب، دار الساقي لندن 1997.
46 ـ خليل إبراهيم حسين (العميد المتقاعد): موسوعة 14 تموز في سبعة أجزاء، دار الحرية للطباعة، 92 ـ بغداد 1988 ـ 1990.

العراق في الوثائق البريطانية 1958 ـ 1959، في 4 أجزاء، ترجمة وتعليق، بيت الحكمة، 2000 ـ 2002 بغداد.

47 ـ خلدون ساطع الحصري، ثورة 14 تموز وحقيقة الشيوعيين في العراق، دار الطليعة، بيروت 1963.
48 ـ خالد علي الصالح، طريق النوايا الطيبة، دار رياض الريس، لندن 2000.
49 ـ خليل الجندي (الدكتور) حركة التحرر الوطني الكردستاني في كردستان

الجنوبية 1939 - 1968، استوكهولم 1991.

50 - ديفيد آدمسون، الحرب الكردية وانشقاق 1964، ترجمة وتعليق جرجيس فتح الله، استوكهولم 1990.

51 - الذاكرة التاريخية لثورة 14 تموز، ندوة مع مجموعة من الضباط الأحرار، نظمتها مجلة آفاق عربية، وزارة الإعلام بغداد 1987.

52 - زكي خيري: صدى السنين في ذاكرة شيوعي مخضرم، 1995 مكان ودار النشر بلا.

53 - = = ، صدى السنين في كتابات شيوعي مخضرم، إعداد د. سعاد خيري 1996 مكان ودار النشر بلا.

54 - = = وسعاد خيري، دراسات في تاريخ الحزب الشيوعي العراقي، 1984 مكان ودار النشر بلا.

55 - سعاد خيري، ثورة 14 تموز بعد 4 عقود، استوكهولم 1998 مطبعة ALL M. R. A..

56 - سمير عبد الكريم، أضواء على الحركة الشيوعية في العراق، في 5 أجزاء، دار الراصد، بيروت التاريخ بلا.

57 - سيار الجميل (الدكتور) تفكيك هيكل، الدار الأهلية للنشر، عمان 2000.

58 - سليم طه التكريتي، محمد مهدي الجواهري، دار الريس، لندن 1986.

59 - سلام عبود، ثقافة العنف، دار الجمل، كولون 2002.

60 - سلكليت ماريون وبيتر (الأكاديميان) العراق الحديث من الثورة إلى الدكتاتورية، ترجمة ونشر دار الزهراء للإعلام العربي، القاهرة 1992.

61 - شامل عبد القادر، عبد الكريم قاسم: البداية والسقوط، الدار الأهلية للنشر، عمان 2002.

62 - شلومو نكديمون، الموساد في العراق ودول الجوار، ترجمة بدر عقيلي، دار الجليل للنشر، ط 1 عمان 1997.

63 - صبحي عبد الحميد، أسرار ثورة 14 تموز في العراق 1958: البداية - التنظيم - التنفيذ - الانحراف مكتبة بشار 1983 بغداد.

64 - صبيح علي غالب، قصة ثورة 14 تموز والضباط الأحرار، دار الطليعة، بيروت 1968.

65 - صلاح الخرسان: صفحات من تاريخ الحركة الشيوعية في العراق، دار الفرات، . بيروت 1994.

66 - = = ، التيارات السياسية في كردستان العراق 1946 - 2001، مؤسسة البلاغ

بيروت 2001.
67 ـ = = ، صفحات من تاريخ العراق السياسي الحديث، الحركات الماركسية، 1920 ـ 1990، مؤسسة العارف للمطبوعات، بيروت 2001.
68 ـ صالح مهدي دكلة، من الذاكرة ـ سيرة حياة، دار المدى دمشق 2000.
69 ـ صالح حسين الجبوري، ثورة 8 شباط في العراق ونهاية حكم عبد الكريم قاسم، رسالة ماجستير، دار الحرية للطباعة، بغداد 1990.
70 ـ طالب مشتاق، مذكرات سفير عراقي في تركيا، ج 2، دار الكتاب العربي، بيروت، التاريخ بلا.
71 ـ علي كريم سعيد (الدكتور): عراق 8 شباط، من حوار الدم إلى حوار المفاهيم ـ مراجعات في ذاكرة طالب شبيب، دار الكنوز الأدبية، بيروت 1999.
72 ـ = = ، العراق ـ البيرية المسلحة، حركة حسن سريع وقطار الموت 1963، بيروت 2002
73 ـ علي الوردي (الدكتور): لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، ط 2، في6 أجزاء، كوفان لندن 146 ـ 1993.
74 ـ = = ، دراسة في طبيعة المجتمع العراقي، ط 2، المطبعة الحيدرية، قم ـ إيران 1998.
75 ـ = = ، الأحلام بين العلم والعقيدة، ط 2، دار كوفان لندن 1993.
76 ـ = = ، وعاظ السلاطين، ط 2/ دار كوفان، لندن، 1994
77 ـ عقيل الناصري (الدكتور): الجيش والسلطة في العراق الملكي، دار الحصاد دمشق 2000.
78 ـ = = ، محطات من سيرة عبد الكريم قاسم، كتاب نشر في جريدة الزمان منذ 2001/3/14.
79 ـ = = ، عبد الكريم قاسم في يومه الأخير، بيروت 2003، توزيع دار الحصاد.
80 ـ عبد الرزاق الحسني، تاريخ الوزارات العراقية في 10 أجزاء، ط 4، بيروت 1974.
81 ـ عبد الوهاب رشيد (الدكتور)، العراق المعاصر، دار المدى، دمشق، 2002.
82 ـ عزيز الحاج (الدكتور): اللون الآخر، باريس نيسان 1999، طبع خاص محمود.
83 ـ = = ، حدث بين النهرين، ج 1، باريس 1994، طبع خاص محدود.
84 ـ = = ، مع الأعوام، ط 2، المؤسسة العربية للدراسات، بيروت 1993.
85 ـ = = ، القضية الكردية، المؤسسة العربية للدراسات، بيروت 1994،

86 ـ = = ، ذاكرة النخيل.
87 ـ = = ، شهادة للتاريخ، مؤسسة الرافد، لندن 2001.
88 ـ عبد المجيد حسيب القيسي، التاريخ يكتب غداً، دار الحكمة، لندن 1993.
89 ـ عبد الكريم فرحان (العميد الركن)،: ثورة 14 تموز في العراق، ط 2، مؤسسة الكتاب العربي، باريس 1986.
90 ـ = = ، حصاد ثورة، تجربة السلطة في العراق 1958 ـ 1968، دار البراق دمشق 1994.
91 ـ عدنان سامي نذير، عبد الجبار الجومرد، نشاطه الثقافي ودوره السياسي، شركة المعرفة، بغداد 1991.
92 ـ علاء الدين الظاهر (الدكتور)، تفكيك التجني، كتاب نشر في جريدة الزمان منذ 2000/3/12.
93 ـ عبد الخالق حسين (الدكتور) ثورة 14 تموز1958 العراقية وعبد الكريم قاسم، دار الحصاد، دمشق 2002.
94 ـ عبد الله إسماعيل، مفاوضات النفط العراقية، 1952 ـ 1968، دار لام لندن 1989.
95 ـ علاء موسى نورس (الدكتور) ثورة 14 تموز في تقارير الدبلوماسيين البريطانيين والصحافة الغربية، وزارة الثقافة والإعلام، الدار الوطنية للنشر، بغداد 1990.
96 ـ عبد الهادي البكار، أسرار سياسية وعربية، كتاب منشور في حلقات في جريدة القدس الدولي منذ 2000/5/16 لندن.
97 ـ عبد الكريم الجدة، ثورة الزعيم المنقذ، بغداد 1960.
98 ـ عبد الله جدوع، مولد زعيم، شركة التجارة والطباعة، بغداد 1959.
99 ـ عصمت السعيد، نوري السعيد، رجل الدولة والإنسان، لندن 1991.
100 ـ عامر عبد الله، مقوضات النظام الاشتراكي العالمي، مكتبة رمضان، لندن، 1997.
101 ـ عبد اللطيف البغدادي، المذكرات، ج 2، المكتب المصري الحديث، القاهرة 1977.
102 ـ عماد نعمة العبادي، رفعت الحاج سري ودورة العسكري والسياسي 1948 ـ 1959، الدار العربية للموسوعات، بيروت 2001.
103 ـ فالح عبد الجبار (الدكتور)، الدولة والمجتمع المدني والتحول الديمقراطي في العراق، مركز ابن خلدون، القاهرة 1995.
104 ـ فؤاد عارف (الزعيم) المذكرات، تقديم وتعليق د. كمال أحمد مظهر دهوك 2000 مطبعة خابات.

105 ـ فرهاد إبراهيم (الدكتور)، الطائفية السياسية في العالم العربي ـ نموذج شيعة العراق، ترجمة مركز دراسات التفاعل الثقافي والبرمجة/ مكتبة مدبولي، القاهرة 1996.
106 ـ فاضل حسين (الدكتور)، سقوط النظام الملكي في العراق، مكتبة آفاق عربية، بغداد 1986.
107 ـ فؤاد الركابي، الحل الأوحد، دار النشر بلا، مطابع دار الكتاب العربي، القاهرة 1963.
108 ـ فيصل حسون، شهادات في هوامش التاريخ، دار الوراق للنشر، بيروت 2001.
109 ـ فيصل حبيب الخيزران (المحامي) المذكرات، نشرت في جريدة الزمان منذ 20 تموز 2001.
110 كارل ماركس، الثامن عشر من برومير، لويس بونابارت، دار التقدم المختارات في 4 مجلدات.
111 ـ كمال مجيد (البر فسور)، النفط والأكراد، دار الحكمة لندن 1997.
112 ـ كاظم الموسوي (الدكتور) العراق، صفحات من التاريخ السياسي 1945 ـ 1958، السويد 1992، دار النشر بلا.
113 ـ كاظم السماوي، خمسون عاماً من الرحيل بين المنافي، نشرت على حلقات في جريدة الاتحاد الأسبوعية الناطقة باسم الاتحاد الوطني الكردستاني عام 2000.
114 ـ ليث الزبيدي، ثورة 14 تموز في العراق، ط 2، مكتبة اليقظة العربية، بغداد 1981.
115 ـ مجيد خدوري (الدكتور): العراق الجمهوري، الدار المتحدة للنشر، بيروت 1974.
116 ـ = = ، العراق الاشتراكي، الدار المتحدة للنشر، بيروت 1985.
117 ـ = = ، الاتجاهات السياسية في العالم العربي، الدار المتحدة بيروت 1972.
118 ـ = = ، عرب معاصرون، أدوار القادة في السياسة، الدار المتحدة للنشر بيروت 1973.
119 ـ مجموعة باحثين، تاريخ الأقطار العربية الحديث، ترجمة عفيفة البستاني دار التقدم موسكو السنة بلا
120 ـ مجموعة باحثين، المذكرات الشخصية مصدراً لكتابة التاريخ، بيت الحكمة، بغداد 2001
121 ـ محمد جمال باروت، حركة القوميين العرب، المركز العربي للدراسات الاستراتيجية، دمشق، 1997.

122 ـ مير بصري، أعلام السياسة في العراق الحديث، دار رياض الريس، لندن 1987.
123 ـ محسن حسين الحبيب (العميد الركن) حقائق عن ثورة 14 تموز في العراق، دار الأندلس 1981.
124 ـ محمد سلمان حسن (الدكتور)، نحو تأميم البترول العراقي، دار الطليعة بيروت 1968.
مسعود البرزاني، البارزاني مصطفى والحركة التحررية الكردية، الزمان على حلقات منذ 2002/10/4.
125 ـ محمد حسنين هيكل، سنوات الغليان، دار الأهرام، ج 1، القاهرة 1988.
126 ـ محمود الدرة، ثورة الموصل القومية 1959، ط 1، دار اليقظة العربية، بغداد 1987.
127 ـ ميرسكي، الجيش والمجتمع والسياسة في البلدان النامية، ترجمة دار التقدم، موسكو 1987.
128 ـ منير علي، مذكرات عبد السلام عارف، ط 1، المؤسسة القومية للتأليف والنشر، بغداد 1967.
129 مايلز كوبلاند، لعبة الأمم، ترجمة مروان خير، ط 1، انترناشنال سنتر، بيروت 1970.
130 ـ محمد كاظم علي، العراق في عهد قاسم، دراسة في القوى السياسية والصراع الأيديولوجي 1958 ـ 1963، رسالة ماجستير، مكتبة اليقظة العربية، بغداد 1989.
131 ـ مؤيد إبراهيم الونداوي (الدكتور) وثائق ثورة 14 تموز 1958 في ملفات الحكومة البريطانية، بغداد 1990.
132 ـ محمد عويد الدليمي، (الدكتور) كامل الجادرجي ودوره في السياسة العراقية، 1897 ـ 1968، رسالة دكتوراه من جامعة بغداد، بغداد 1997، دار النشر بلا، مطبعة الأديب البغدادية.
133 ـ مجموعة باحثين، تاريخ الوزارات العراقية في العهد الجمهوري، في 6 أجزاء، بيت الحكمة بغداد 2000 ـ 2002.
134 ـ مجموعة باحثين، المفصل في تاريخ العراق المعاصر، بيت الحكمة، بغداد 2002.
135 ـ مجموعة باحثين، أسس المعارف الفلسفية، موسكو 1985، باللغة الروسية.
136 ـ مجموعة مؤلفين، تاريخ الأقطار العربية المعاصر، جزءان، ترجمة دار التقدم، موسكو 1975.
137 ـ مديرية الأمن العامة/ الحركة الشيوعية في العراق، 1958 ـ 1963، ج 2، بغداد 1966.

138 ـ ناصر الدين النشاشيبي، ماذا جرى في الشرق الأوسط، ط 5، دار الحكمة لندن 2000.
139 ـ نجم الدين السهروردي، التاريخ لم يبدأ غداً، حقائق وأسرار عن ثورتي رشيد عالي الكيلاني 41 و1958 في العراق، ط 2، شركة المعرفة، بغداد 1990.
140 ـ نصير الجادرجي، من أوراق كامل الجادرجي، دار الطليعة بيروت 1971.
141 ـ نجيب الصائغ، من أوراق نجيب الصائغ في العهدين الملكي والجمهوري، ص 144 و 193، دار اليقظة العربية، بغداد 1990
142 ـ نيكوس بولانتسكي، السلطة والطبقات الاجتماعية، ترجمة عادل غنيم، دار ابن خلدون، ط 2، بيروت 1982.
143 ـ هاني الفكيكي، أوكار الهزيمة، دار رياض الريس، لندن 1993.
144 ـ هادي العلوي، المرئي واللا مرئي في الأدب والسياسة، دار الكنوز الأدبية، ط 1، بيوت 1998.
145 ـ هادي حسن عليوي: عبد الكريم قاسم ـ الحقيقة، ج 1، دار الحرية بغداد 1990.
146 ـ = = ، محاولات القضاء على عبد الكريم قاسم، ج 2، دار الحرية 1990.
147 ـ = = ، الأحزاب السياسية في العراق العلنية والسرية، دار رياض الريس، بيروت 2001
148 ـ هيلين داكنوس، السياسة السوفيتية في الشرق الأوسط 1955 ـ 1975، تعريب عبد الله أسكندر، ط 2، دار الكلمة بيروت 1983.
149 ـ هيثم غالب الناهي (الدكتور)، خيانة النص في الخريطة السياسية للمعارضة العراقية، الدار الأندلسية، لندن 2002.
150 ـ وفيق السامرائي (اللواء الركن) حطام البوابة الشرقية ـ حقائق عن الزمن السيئ في العراق، شركة دار القبس، الكويت، 1997.
151 يونس بحري، ثورة 14 رمضان المبارك،، دار الأندلس بيروت 1963.

ثانياً: الدوريات

1 ـ أكرم الحكيم في ذكرى 14 تموز، مجلة رسالة العراق العدد 43 تموز 1998.
2 ـ أبو أيسر، نظرية المستبد العادل، جريدة الوفاق العدد 361 في 1999/10/14.
3 ـ باقر إبراهيم: ثورة 14 تموز.. العيد ومفترق الطرق، جريدة القدس العربي والدولي،

العدد 1937 في 1995/7/31 لندن.

4 ـ باقر الصراف، ثورة 14 تموز وعد لم يتحقق كاملاً، كراس، منشورات نداء الوطن، كانون 1، 2001.

5 ـ برهان ياسين، (الدكتور) الجدوى السياسية والعسكرية للكفاح المسلح في كردستان، ترجمة فائق سعيد، دراسة في 5 حلقات في جريدة الزمان منذ تاريخ 2000/5/20.

6 ـ ثابت حبيب العاني: الحزب الشيوعي: السلطة والقوات المسلحة، مجلة الثقافة الجديدة، العدد 266.

7 ـ = = ، ثورة 14 تموز، رسالة العراق العدد 5 تموز 1995.

8 ـ جليل العطية (الدكتور) د. جواد علي، جريدة المؤتمر، العدد 289 في 2002/1/26.

9 ـ جريدة الديوان، الجزء الثالث، لسنة 2000 ـ إصدار أكاديمية الكوفة، امستردام.

10 ـ حمزة الحسن: إنصافاً للرجل والتاريخ من قتل الزعيم، الغد الديمقراطي العدد 121 تموز 1995.

11 ـ = = ، محارب نظيف، جريدة الوفاق، العدد 250 كانون ثاني 1997.

12 ـ حسين الهنداوي (الدكتور) بين ثورتي 14 تموز فرنسية وعراقية؟ مجلة الاغتراب الأدبي، العدد 47، 2001 لندن.

13 ـ حسن العلوي: البارزاني: مئذنة عباسية من صخور الجبل، جريدة المؤتمر في 6/14/ 2003.

14 ـ = = ، عبد الكريم قاسم رؤية بعد الأربعين، نص الكلمة التي ألقيت بمناسبة الذكرى الأربعين لاستشهاد عبد الكريم قاسم والتي أقامتها المجموعة القاسمية في لندن يوم 8 شباط 2003.

15 ـ دلير مصطفى، (المهندس) ملف الزعيم عبد الكريم قاسم، جريدة المجرشة العدد 52، لندن.

16 ـ ذياب مهدي محسن، موقف المؤسسة الدينية الشيعية والسنية من ثورة 14 تموز 1958 والشهيد عبد الكريم قاسم، مقالة في صفحات الأنترنيت.

17 ـ رفعت كامل الجادرجي، مقابلة منشورة في جريدة المؤتمر العدد 351 في 2003/5/23

18 ـ رشيد الخيون (الدكتور)، أربعون عاماً على مجزرة 8 شباط، رسالة العراق العدد 96 / شباط 2003.

19 ـ سليم مطر، النزعة الاستشراقية العنصرية في فكر الحداثة، علي الوردي وبداوة المجتمع العراقي، جريدة الزمان الأعداد 610 ـ 615.

20 ـ سلام عبود، الأدب والحرية، ج 1، أوراق عراقية العدد 10، ملحق جريدة المجرشة لندن 2001.
21 ـ سلمان شمسة (الدكتور) عبد الكريم قاسم، صفحة كتابات، في الشبكة العالمية للانترنتيت 2003.
22 ـ طلال شاكر، التعصب السياسي. تأييداً ورفضاً، الزمان في 2001/10/26.
23 ـ طالب خزعل القطان، عبد الكريم قاسم، جريدة الوفاق العدد 222 في 11: 1996/7.
24 ـ عبد الإله البياتي، نهاية عهد لماذا؟ الوفاق العدد 375 في 2000/5/25.
25 ـ علاء الدين الظاهر (الدكتور): التاريخ كما يلقنه القصخون، أوراق عراقية، العدد 3، ملحق جريدة المجرشة لعدد تموز 1997.
26 ـ = = ، الزعيم والرفق بالحيوان، مجلة الموسم العدد 32 سنة 1987، امستردام.
27 ـ = = ، صورة عن الممارسات لديمقراطية في عهد الزعيم، الموسم العدد 32
28 ـ = = ، تعقيبات على تعقيبات، جريدة الزمان في 6/1/ 2000، لندن
29 ـ = = ، الجوانب الإيجابية في عهد وشخصية الفريق الركن عبد الكريم قاسم، الموسم العدد 32 سنة 1997
30 ـ = = ، صورة من الذاكرة.. صورة من المستقبل، الموسم العدد 32 سنة 1997
31 ـ = = ، سيطرة الضباط الأحرار على اللواء الأول في 14 تموز 1958. مخطوطة
32 ـ علاء الدين اللامي: النزعة العراقوية من الجاحظ إلى عبد الكريم قاسم، صفحة حوار التمدن في الأنترنيت، حزيران 2002.
33 = = ، الانحطاط المضموني لخطاب دعاة الحرب ضد العراق، لذكرى مؤسس الجمهورية العراقية الخالدة الشهيد عبد الكريم قاسم وزملائه الأبطال، شباط 2003، صفحة حوار التمدن في الانترنيت.
34 ـ عبد الخالق حسين (الدكتور)، ثورة 14 تموز، أوراق عراقية العدد 5 ملحق المجرشة 1998
35 ـ = = ، ثورة 14 تموز والوحدة العربية، دراسة موسعة تحت الطبع.
36 ـ = = ، لماذا الكتابة عن عبد الكريم قاسم؟ مجلة الموسم العدد 32لسنة 1997.
37 ـ = = ، عبد الكريم قاسم وموضوعة الديمقراطية، الموسم العدد 32 لسنة 1997.
38 ـ = = ، عبد الكريم قاسم شهيد الوطنية العراقية الموسم العدد32 لسنة 1997
39 ـ = = ، عبد الكريم قاسم الحاضر دائماً، مجلة الموسم العدد 32 لسنة 1997.
40 ـ = = ، عادت حليمة لعادتها القديمة، القدس العربي والدولي، في 2001/3/9.

40 ـ عزيز الحاج (الدكتور): زمن الأضداد، جريدة الزمان العدد 606 في 2000/4/17.
41 ـ = = ، جذور العنف السياسي العراقي، الزمان العدد 888 في 2001/4/9.
42 ـ = = ، ثورة 14 تموز 1958 ضحية لصراعات سياسية، كراس طبع خاص 2001.
43 ـ = = ، ملاحظات عن الصراعات السياسية، الزمان 14 ـ 2000/7/15.
44 ـ = = ، القومية العربية والديمقراطية، محاضرة ألقيت في كانون أول/ ديسمبر 1958، ط2، أعاد المؤلف طبعها عام 1996 في باريس.
45 ـ = = ، تقييم القادة الوطنيين بين التجريح والتقديس، الزمان في 2003/7/27.
46 ـ = = ، عبد الكريم قاسم وثورة 14 تموز، جريدة الحياة في 7/16/ 1998.
47 ـ = = ، ثورة 14تموز العراقية من منظار مختلف، القدس العربي العدد 2237 في 7/18/ 1996
48 ـ عامر عبد الله: حين كانت الثورة تطرق على الأبواب، جريدة طريق الشعب14 تموز 1974.
49 ـ = = ، الاتحاد السوفيتي وثورة تموز، الغد الديمقراطي، العددان 57 و58 تموز وآب 1985.
50 ـ = = ثورة 14 تموز، الثقافة الجديدة العدد 144 لسنة 1983.
51 ـ = = مقابلة أجراها حازم صاغية، نشرت في مجلة أبواب العددان 2و3، لندن 1993.
52 ـ عدنان فاضل (الدكتور): عبد الكريم قاسم والطائفية، جريدة المؤتمر العدد 162 في 1996/8/2.
53 ـ = = ، المعارضون لقاسم نادمون، المؤتمر العدد 11 في 7/21/ 1993 والموسم عدد 32.
54 ـ عبد الله المدني، 14 تموز وصورة قاسم، مجلة الموسم العدد 32، امستردام.
55 ـ عبد المنعم الخطيب، حوادث 8 شباط 1963، جريدة الحياة. 8 شباط 1994
56 ـ عبد الغني الراوي (الزعيم الركن) المذكرات جريدة الزمان نشرت منذ 1999/4/8.
57 ـ عبد الحميد الصائح، رجل عسكري في صورة، المؤتمر العدد 338 في 2003/2/21.
58 ـ علي ثويني (الدكتور) قاسم وأحلام الفقراء، جريدة المؤتمر العدد 338 في 2003/2/21.
59 ـ عقيل الناصري (الدكتور): قراءة أولية في المشروع القاسمي الغد الديمقراطي العددان 120 ، 121
60 ـ = = ، القانون الذي حكم بالإعدام على الزعيم/ مجلة الموسم العدد 32 لسنة 1997، امستردام.

61 ـ = = ، الجادرجي وتموز واللقاء الذي لم يتم، جريدة الوفاق العددان 260 ، 261، نيسان 1997.
62 ـ = = ، عبد الكريم قاسم ـ الحاضر دائماً مجلة المجتمع العدد 2، غوتنبرغ ـ السويد.
63 ـ = = ، التحالفات بين الأمس واليوم، جريدة طريق الشعب، نيسان 1998
64 ـ = = ، ثورة 14 تموز وردود الفعل الدولية الأولى، مجلة التواصل، العدد 1 سنة 1998 استوكهولم
65 ـ = = ، 14 تموز جدلية الفهم والموضوعية، أوراق عراقية العدد 6 ملحق جريدة المجرشة 1998.
66 ـ = = ، ليلة الصعود إلى سماء الخلود، ملحق جريدة المجرشة شباط 1995 والموسم عدد 32
67 ـ = = ، دور الفرد في التاريخ ـ عبد الكريم قاسم نموذجاً صفحة طريق الشعب في الانترنيت 2003
68 ـ كاظم السماوي، ذكرياتي مع عبد الكريم قاسم، مجلة المجتمع العدد 8، 1997 غوتنبرغ، السويد.
69 ـ كامل شياع، عن التاريخ والتأويل وحقيقة 14 تموز، مجلة الثقافة لجديدة،، العدد 278 لسنة 1997.
70 ـ مازن العاني، عن قاسم، رسالة العراق العدد 69 أيلول 2999.
71 ـ ماجد أمين، ثورة 14 تموز1958 منعطف هام في التاريخ العراقي والعربي، الثقافة الجديدة العدد 187 تموز 1987.
72 ـ مهدي الحافظ (الدكتور) عن عبد اللطيف الشواف، جريدة السفير بتاريخ 9/10/ 1996
73 ـ محمد توفيق، ذكريات عن الجنوب، جريدة الاتحاد العدد 434 في 2001/8/17 السليمانية.
74 ـ منقذ عبد الغفور، لقاء الأضداد واختلاف الليل والنهار، جريدة الوفاق العدد 265 في 1997/4/15
75 ـ مجلة الموسم.. العدد 32 الخاص عن عبد الكريم قاسم ـ امستردام 1997.
76 ـ مجلة الموسم العدد المزدوج 9 ـ 10لسنة 1991 أكاديمية الكوفة امستردام.
77 ـ مجلة أصوات، العدد 13، 1993، حيث نشرت ترجمة لآخر مقابلة للزعيم قاسم، باريس

78 ـ مرتضى الشيخ حسين، عبد الكريم قاسم بين المطرقة والسندان السوفيتي، جريدة الديوان، ج 2 ، سنة 2000.

79 ـ = = ، مقالة في جريدة العراق الحر بتاريخ 9/1/ 2002

80 ـ معاذ عبد الرحيم ردود على مذكرات فيصل حبيب الخيزران، الزمان العدد 985 في 3/8/ 2001.

81 ـ مصطفى علي نعمان، عبد الكريم قاسم المغدور مرتين، صفحة صوت العراق في الأنترنيت

82 ـ هاني الفكيكي، الانقلاب العسكري في العراق الحديث، محاضرة ألقيت في ديوان الكوفة في لندن، عام 1990 ونشرت في جريدة الديوان في الجزء 3 عام 2000، امستردام.

83 ـ هادي العلوي حوار الحاضر والمستقبل، مجلة النهج العدد 52 خريف 1998.

84 ـ هارون محمد ثورة 14 تموز العراقية بين الحقائق التاريخية والمغالطات الثأرية، جريدة القدس العربي في 8/7/ 1999، لندن.

85 ـ وليد عبد الخالق (الدكتور) إعادة بناء أمة العراق، جريدة المؤتمر العدد 287 في 12/1/ 2002.

THANKS

I would like to thank with my deepest appreciation and gratitude Ninni Bergren, Aino Calmeyer Directors of the Culture Organisation of La tting in Ga vle, Sweden. Ulrich Lundeberg head of the International department at La tting, Jonas Ullberg head of the newspaper editorial at La tting and Stefan Gagnefur Producer of the editorial section of La tting for giving me the opportunity and support to finish my book.

I thank them all for giving me the chance to work at La tting, which gave me precious time and support that I needed to work with my book. I appreciate all the help they've given me, and words is not even enough for me to express the gratefulness that I am feeling.

I would also like to thank the people working at La tting for also helping me. Especially those who supported me and even took time to help me out when I had problems.

I will always remember these people every time I look at my book. knowing that it wouldn't have been possible if it wasn't for them.

I thank you all for everything.

Dr. AL - NASSERI AKEEL

قراءة أولية في سيرة

عبد الكريم قاسم

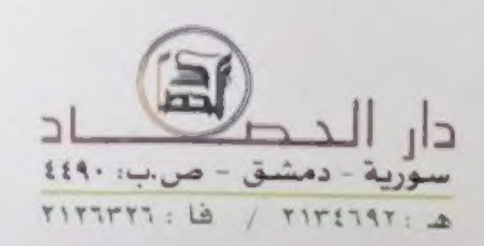
يعد عبد الكريم قاسم من أهم قادة العرب في العصر الحديث بعامة ورجل العراق الأول بخاصة. إذ أنه شكل مفصلا" في تاريخه. أنهى الملكية و أقام النظام الجمهوري. وفي فترة قصيرة جدا" حقق إنجازات كبيرة: رفع مستوى التعليم بقوة، تنمية الثروة الوطنية باشراك القطاعات الشعبية، تأميم الثروات الوطنية التي كان ينهبها الاستعماريون واستعان على ذلك بتحريك فاعلية قوى الشعب الكبيرة التي كانت شبه مهمشة، إضافة إلى أمور أخرى كثيرة.

ويكفي للتدليل على أهمية ما جاء به عبد الكريم قاسم تذكّر سلوك أعتى إمبرياليتين في العالم (أمريكا وبريطانيا) إزاء المهام التي نهض لها، إذ أنزلتا جيوشهما عام ١٩٥٨ في الأردن ولبنان تمهيدا" لغزو العراق وكادت تنشب حربا" عالمية. وقد وصل الأمر حد تهديد وزير خارجية بريطانيا إيدن باستعمال القنابل الذرية. وما كان ليحدث كل هذا الصخب لو لم تكن طموحات عبد الكريم قاسم الوطنية تشكل خطرا" حقيقيا" على الاحتكارات والمصالح الاستعمارية.

وعلى الرغم من مرور قرابة نصف قرن على تراجيديا مقتله ما يزال كثير من العراقيين ومنهم أعداؤه، يعيدون التقييم ويراجعون المواقف حوله.

ويأتي هذا الكتاب ليقدم قراءة في سيرة هذه الشخصية المثيرة.

الناشر



دار الحصاد
سورية - دمشق - ص.ب: ٤٤٩٠
هـ: ٢١٣٤٦٩٢ / فا: ٢١٢٦٣٢٦